

الرسائل الجامعية

جامعة بغداد
كلية الآداب – قسم التاريخ
الدراسات العليا

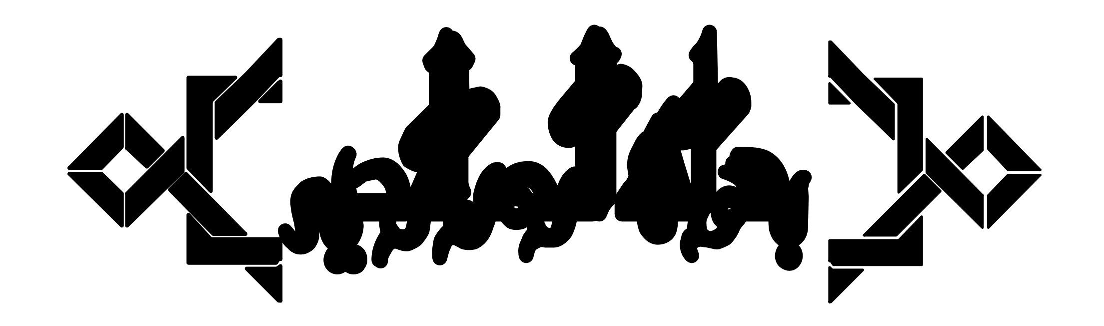
دراسات ليفي بروفنسال
في تاريخ الأندلس

رسالة تقدمت بها

سلمى حسين علوان الموسوي

إلى مجلس كلية الآداب في جامعة بغداد وهي من متطلبات نيل درجة الماجستير آداب في التاريخ الإسلامي

باشراف
الأستاذ الدكتور
بهجت كامل عبد اللطيف التكريتي



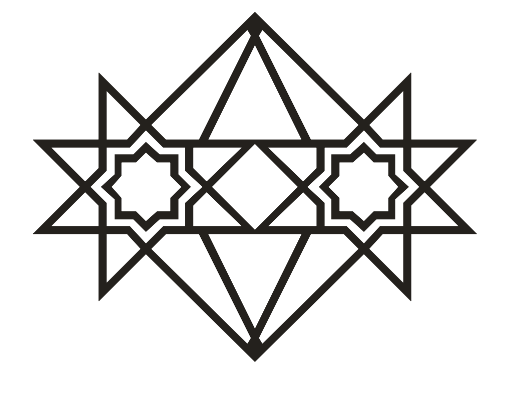
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ

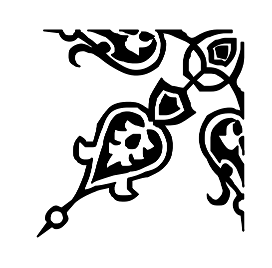
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)

صدق الله العظيم

(الحجرات ١٣)







الإهداء

إلــى روح والــدي الطاهـرة
أبداً ووفاء...

إلــى الأم الحنونــة التي أفنت حياتـها في سبيـل راحتنـا
تقديـراً وعـرفاناً...

إلــى جميـع العائلـة ، محبـة ومودةً...

إلــى هـؤلاء
أقـدم ثمـرة جهـدي

بسم الله الرحمن الرحيم

إقــرار المشــرف

أشهد بان إعداد هذه الرسالة جرى تحت اشرافي في جامعة بغداد – كلية الاداب وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي .

المشرف

أ . د.

بهجت كامل عبد اللطيف التكريتي

بناءً على التوصيات المقرة أُرشح هذه الرسالة للمناقشة .

أ . د.

مرتضى النقيب

رئيس القسم التاريخ



شكر وتقدير



الحمد لله العلي القدير على تمام نعمائه ، والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد (ﷺ) وبعد .

من دواعي سروري وسعادتي وأنا أنهي بحثي هذا أن أقف لأعرب بكل فخر واعتزاز وودًّ وعرفان عن شكري وتقديري لأستاذي الفاضل بهجت كامل عبد اللطيف التكريتي لتفضله بقبول إشرافه على رسالتي ، ولما أبداه من توجيهات سديدة وجهود صادقة في إنجاز هذه الرسالة ، وكان لي خير معلم ترك في نفسي أثراً طيباً لا أنساه أبداً .

ولا يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى أساتذتي الأفاضل وهم كل من أ.د مرتضى النقيب ، و أ.د صباح ابراهيم الشيخلي ، و أ.د قحطان عبد الستار الحديثي ، و أ.د حمدان عبد المجيد الكبيسي الذين تتلمذت على أيديهم في السنة التحضيرية ويطيب لي أن أتقدم بالشكر الخالص إلى الأخ أبي أركان وعائلته الذين تجشموا العناء لتوفير الراحة لي لإكمال الرسالة على الرغم من الظروف القاسية التي يمر بها قطرنا العزيز . كما أشكر الأخوين ((عمار نصار)) ، و((مشتاق بشير)) لما أبداه لي من توجيهات ولما قدّمه لي من المصادر في البحث .

كما أوجه شكري وتقديري إلى منتسبي كُلّ من المكتبة الوطنية في بغداد ومكتبة كلية الآداب ومكتبتي الدراسات العليا ومكتبة قسم التاريخ في جامعة بغداد ومكتبة المتحف الوطني ومكتبة المجمع العلمي العراقي ومكتبة كلية الآداب/جامعة الكوفة ، كما أشكر كلَّ من سعى في مساعدتي لإتمام البحث ، أدعوا الله تعالى أن يوفق الجميع .

الباحثة

الفهرست

التفاصيل	الصفحة

الفهرست

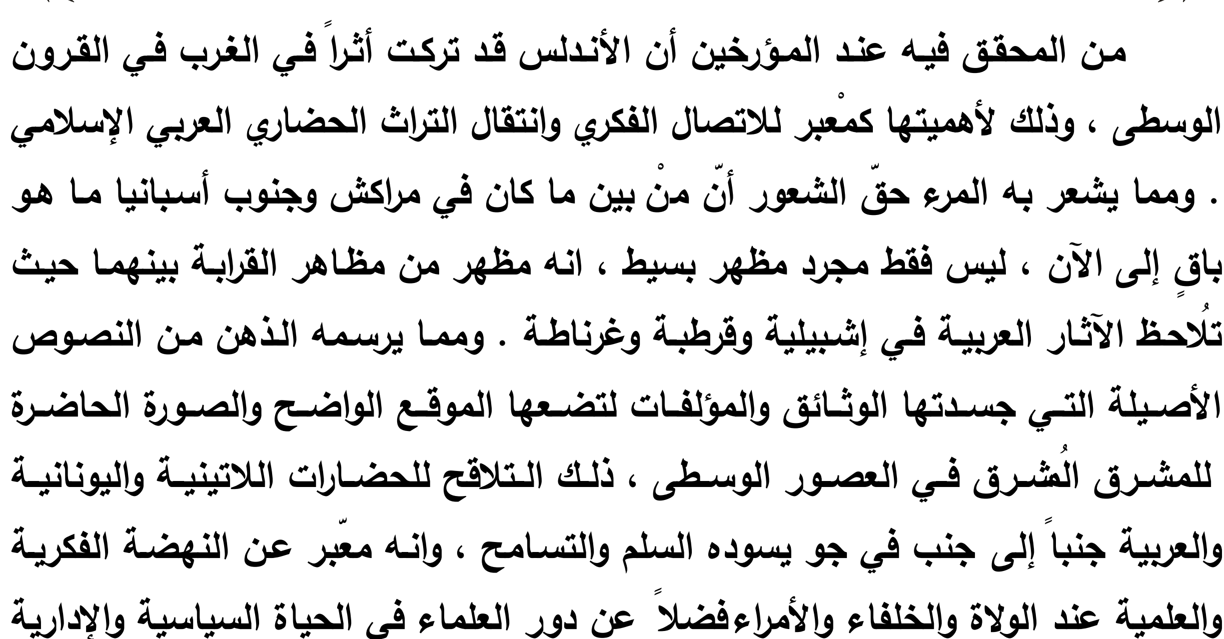
الفهرست

المقدمة

واطار البحث



اولا : اطار البحث



من المحقق فيه عند المؤرخين أن الأندلس قد تركت أثراً في الغرب في القرون الوسطى ، وذلك لأهميتها كمْعبر للاتصال الفكري وإنتقال التراث الحضاري العربي الإسلامي . ومما يشعر به المرء حقّ الشعور أنّ منْ بين ما كان في مراكش وجنوب أسبانيا ما هو باقٍ إلى الآن ، ليس فقط مجرد مظهر بسيط ، انه مظهر من مظاهر القرابة بينهما حيث تُلاحظ الآثار العربية في إشبيلية وقرطبة وغرناطة . ومما يرسمه الذهن من النصوص الأصيلة التي جسدتها الوثائق والمؤلفات لتضعها الموقع الواضح والصورة الحاضرة للمشرق الُمشرق في العصور الوسطى ، ذلك التلاقح للحضارات اللاتينية واليونانية والعربية جنباً إلى جنب في جو يسوده السلم والتسامح ، وانه معّبر عن النهضة الفكرية والعلمية عند الولاة والخلفاء والأمراءفضلاً عن دور العلماء في الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية ... الخ .

لقد تناول المستشرقون تاريخ الأندلس بالدراسة والتحليل ، وقد اتسم قسم منهم بعلميته ودقته وإعتماده في استنباط الحقائق من مصادرها الاولى ماوسع ذلك توثيقا ليعززوا آراءهم ومواقفهم من التاريخ العربي الإسلامي وحضارته ، فصارت تلك الدراسات المرجع الأول للباحثين في تاريخ الأندلس . ولعل أول من أثار قضية أسبانيا الإسلامية من المستشرقين هو القس الأسباني خوان اندرس (من مؤرخي القرن ٦هـ/١٢م) ، تحدث عن أصول وتطور الآداب الأوربية باللغة الايطالية ونشره في (٨مجلدات) فجّر فيه الكثير من القضايا الأدبية والفكرية والتاريخية ولم يغفل عن ذكر فضل العرب المسلمين – من منطق تاريخهم في أسبانيا على الحضارة الأوربية – مما سبب فورانا عند معاصريه فنشطوا للرد عليه ، لاسيما الإيطاليين منهم فكان ذلك إرهاصا مبكراً يشير إلى العناية بالأندلس ودراسة تاريخها الإسلامي .

ولكن الدراسات الأندلسية أصبحت موضوعا هاما للمباحث الاستشراقية في القرن التاسع عشر الميلادي فكثر عدد المستشرقين الذين توافدوا على الأندلس وشكلوا مدارس

فكرية تباينت في اتجاهاتها بين العصبية المطلقة التي تفرغ مواقف أصحابها من وقار العلم وجدته وبين القصد في الأحكام والاعتدال في الموازين .

أسهمت فرنسا في العناية بدراسة التراث العربي في أسبانيا المسلمة وخير من كتب هو (ايفرست ليفي بروفنسال) وهو موضوع هذه الدراسة ، فقد وقف عمره على دراسة الحضارة العربية في الأندلس والمغرب الإسلامي في مختلف جوانبها وقدم لنا في هذا المجال عدداً هائلاً من الأبحاث والكتب والمقالات ونشر وحقق المخطوطات وأعانه عليها ان المغرب الكبير في تلك المدة من الزمن كان واقعا بأكمله تحت الاستعمار الفرنسي ، فأتيح له ان يقتحم المكتبات العامة والخاصة وأن يقع على مخطوطات لاتصل إليها يد غيره ، ولم يترك في هذا سبيلاً إلا سلكه ولا وسيلة إلا استخدمها مهما يكن موضعها من الرضى او الكره ، لا يرده عنها ما تواضع عليه الناس من سلوك أو ماساد بينهم من أعراف ومهما تجاوز به الأمر حدود اللياقة أو الأخلاق . ومما ساعده على ذلك اللغات التي كان يتقنها (العربية ، الأسبانية ، البرتغالية)فضلاً عن اللغة الفرنسية وان انخراطه في السلك الدبلوماسي قد ساعده للتحرك في الجانب الأسباني حيث جاب المكتبات باحثا عن تراث أسبانيا المسلمة وكذلك عمله في الآثار والتنقيب سهل مهمة الحصول على الحقائق التاريخية لذلك جاءت بحوثه ومؤلفاته لتسد فراغاً في (المكتبة الأندلسية) التي ندرك بان جانباً كبيراً منها يكتنفه الغموض ومتقطع الصورة .

لذلك ينبغي أن نتناوله بالبحث الكافي ، فوجدنا أنه ميدان خصب للدراسات العلمية لم تتصد لدراسة جوانب منه إلا بحوث علمية قليلة فهو بحاجة إلى مزيد من الدراسات العلمية والأكاديمية . لقد أثار اهتمامنا دراسة أسبانيا المسلمة كثيرا وذلك لانها تلقي الضوء على أبعاد وأعماق هذا الاحتكاك بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي الصليبي ،فضلاً عن هذا التمازج الحضاري بين الديانتين ليعبر عن حضارة أسبانيا المسلمة بجميع مميزاتها وخصوصيتها والذي طبعها بهذا الطابع الشرقي الذي لا تستطيع ان تنفك منه بسهولة حتى الوقت الحاضر ، وكما جاء على لسان (الدكتور بدرو مونتايت) الأستاذ بجامعة مدريد في مؤتمر مدريد الأول عام ١٩٧٦ حيث قال : " أسبانيا ما كان لها ان

تدخل التاريخ الحضاري لولا القرون الثمانية التي عاشتها في ظلّ الإسلام وحضارته وكانت بذلك باعثة النور والثقافة إلى الأقطار الأوربية المجاورة المتخبطة آنذاك في ظلمات الجهل والأمية والتخلف "[١] .

ثانيا : فصول البحث

يقع البحث في ثلاثة فصول وخاتمة

الفصل الاول : تحت عنوان (نظرة عامة إلى الاستشراق والاستشراق الفرنسي) وقد اتبعت في هذا الفصل الإيجاز ما استطعت إلىذلك سبيلاً وخاصة في الموضوعات المطروقة المشهورة ، وفصلت بعض التفصيل في الأمور التي يشوبها خلاف أو جدل . وقد تضمن ثلاثة مباحث تناولت في المبحث الأول الاستشراق وأهدافه ونظرة تاريخية عن الاستشراق وهي نظرة تشتمل على معنى الاستشراق لغة واصطلاحاً ثم أهداف الاستشراق وتتضمن الهدف (الديني التبشيري والسياسي الاستعماري والاقتصادي والهدف العلمي) ثم عرجنا إلى نظرة تاريخية عن الاستشراق ومدارسه وأطواره . في المبحث الثاني عالجنا الاستشراق الفرنسي ، النشأة والتطور وبعد ذلك دخلنا في المبحث الثالث الذي كان منصباً على واقع الاستشراق الفرنسي الجديد ودراسة المستشرقين لتاريخ الأندلس وتناولناه في عدد من المحاور هي عوامل ظهور الاستشراق الفرنسي في القرن العشرين وسمات الاستشراق الفرنسي واهتمامه بتاريخ الأندلس .

الفصل الثاني : تناول دراسة (افرست ليفي بروفنسال ، حياته وبنائه الفكري) وفيه مبحثان ، الأول تطرق إلى مولده ونشأته ،ومناصبه ،وصفاته ،وأساتذته ورفاقه ، وآراء الآخرين في ليفي بروفنسال وآخر أيامه . اما الثاني فقد عالج آثاره العلمية التي تناولها في جانب الدوريات والصحف والتأليف والكتب والتحقيق ونشر المخطوطات .

---

(١) مصطفى الشكعة : " مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية في الأندلس" ، مناهج المستشرقين ، ج٢ ، ص٢٧٧

الفصل الثالث : خصص هذا الفصل لدراسة المنهج التاريخي عند ليفي بروفنسال وسمات مؤلفاته وفيه مبحثان ، الاول : دراسة منهجه التاريخي واهتمامه بتحقيق الخبر من الوثيقة والرواية عن طريق الآثار . والثاني سمات مؤلفاته وهي (الحالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والحالة العلمية) وكان هذا الفصل من الأهمية وذلك لان الفصلين الأول والثاني كانا تمهيداً أو نظرة عامة لسبر أغوار أفكار ليفي ، لذلك جاء هذا الفصل مسلطاً الضوء على الجانب الحضاري والثقافي لتاريخ الأندلس .

اما الخاتمة وهي تقديم عام لاهم النتائج التي توصل تليها البحث وابرز الحقائق في تاريخ الأندلس .

ثالثاً: دراسة المصادر

إن هذا الموضوع الشاق والشيق، استغرق من الوقت كثيرا للصعوبات التي مرّ بها قطرنا الحبيب من احتلال وتمزيق وإتلاف لجميع دور العلم والمكتبات ،فضلاً عن ما يكتنف مثل هذه الدراسة وخاصة العصور الوسطى من صعاب وما يحتاجه البحث من دراسة مختلف المصادر القديمة العربية والغربية وتفنيدها . كذلك احتاج البحث لترجمة الكثير من الوثائق وخاصة التي تهم (حياة ليفي) لأنها كانت إما باللغة الفرنسية مثل بحث :

Garcia Gomez:"Levi-Provencal(1894-1956)" Al Andalus (Madrid ,Granad , 1956) v:xx1,p. 1-23

او بالاسبانية او البرتغالية مثل كتاب

Levi-Provencal ,E:Uneheoine de La resistance Musulumane ensicile an debut du XIII (siecle , Orieut,Moderno , 34 , 1954) p. 283-288.

وقد أفاد منها البحث بما تضمنته من معلومات متنوعة رفدت الفصل الثاني عند حديثنا عن آراء الآخرين في ليفي بروفنسال مما أغنى البحث .

اما موارد الرسالة العربية فقد تنوعت وتعددت من مؤلفات تاريخية وأدبية وجغرافية وغيرها وكانت المصادر الأندلسية معتمدي الرئيس فهي اقرب واكثر وفاء بالغرض من

المصادر المشرقية ولما تضمنته من معلومات متنوعة وجامعة رفدت فصول الرسالة بمعلومات قيمة وافية . ولم يسعنا ان نعرض الا بعضاً منها ممّا أغنى البحث وأثراه ، لأن ذكرها جميعا يطيل بنا المقام ، ويمكن الإشارة إليها حسب وفيات مصنفيها وعلى النحو التالي :

- كتاب تاريخ افتتاح الأندلس لأبي بكر محمد بن القوطيه القرطبي (٣٦٧هـ/٩٧٧م) من كتب التاريخ العام الأندلسي التي أغنت البحث بمعلومات تميزت بدقتها عن بعض الجوانب الحضارية والسياسية بأسلوب سهل واضح أقرب إلى الاقتضاب منه إلى الإسهاب وتأتي قيمة رواياته من كونه احد سكان قرطبة .
- كتاب المقتبس لابن حيان القرطبي أبي مروان حيان بن خلف (٤٦٩هـ/١٠٧٦م) يعد شيخ مؤرخي الأندلس ، أهميته الكبيرة جاءت من شخصيته العلمية وأسلوبه مؤرخا ووقوفه على وثائق من عصر الخلافة وقد رفد البحث بسيل متدفق من المعلومات الموثقة في مختلف الفصول .

اما كتب التراجم الواردة في هذا البحث فهي أقرب إليهم ووضعها علماء عاشوا في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، واهم هذه الكتب :

كتاب جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس لمؤلفه ابي عبد الله محمد بن ابي نصر فتوح بن عبد الله الازدي الحميدي (٤٨٨هـ/١٠٨٢م) وكتاب الصلة لابي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود ابن بشكوال الانصاري (٥٧٧هـ/١١٨٢م) ، وكتاب بغية الملتمس في تاريخ علماء الأندلس تأليف العالم المرسي أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي(٥٩٩هـ/١٢٠٢م) والذي اعتمد في كتابه على ما ذكره الحميدي وابن بشكوال في الدرجة الأولى واستفاد البحث منه عند الكتابة عن الأمراء والعلماء والشعراء وذوي النباهة فيما يتعلق بالقطع المفقودة منها . ومعلوماته موثقة أخذها عن رواة مشهورين ، وهذه الكتب كانت بحق من أوسع كتب التراجم أفادت البحث بمعلومات غزيرة في جوانب مختلفة من فصوله .

واستفاد البحث من كتب التاريخ العام المشرقية مثل كتاب الكامل في التاريخ لعز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن الاثير (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، الذي يعد من اشهر مؤرخي المشرق الذين عنوا بتاريخ الأندلس إلا أنه لايذكر أسماء المصنفات او المؤلفين الأندلسيين الذين أخذ عنهم ، وقد رفد البحث بمعلومات ولاسيما في فصله الأول.

ومن مصادر التاريخ العام الأندلسية التي أفادت البحث ببعض الآراء وما توصلت اليه من استنتاجات ، نذكر كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لأبي عبد الله محمد المراكشي ابن عذارى(٧١٢هـ/١٣١٢م) ، وكتاب أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ومايجر ذلك من شجون الكلام ، لمؤلفه لسان الدين ابن الخطيب التلمساني (٧٧٦هـ/١٣٧٤م) .

استفاد البحث من القسم الثاني الذي تطرق إلى تاريخ الأندلس من الفتح العربي حتى عصر المؤلف فهو أول تاريخ شامل لأسبانيا وقد نشره المستشرق ليفي بروفنسال سنة ١٩٣٤م ، وقد أفاد منه الفصل الثالث إذ كانت معلوماته موثقة من مصادر ضاعت وتبرز أهمية كتاب (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) لمؤلفه احمد بن محمد المقري (١٠٤١هـ/١٦٣١م) في أغناء البحث بالمعلومات الوافية في كثير من الفصول .

أما كتب الأدب فهي كنز لا يمكن الاستغناء عنه لما احتوته من معلومات جيدة لتوضيح الكثير من الحالات الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية وما كان عليه المجتمع من العادات والتقاليد . ومن أهم كتب الأدب التي أفاد منها البحث ديوان ابن خفاجة لمؤلفه أبي اسحاق إبراهيم بن خفاجة الأندلسي (٥٣٣هـ/١١٣٨م) وكتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لمؤلفه أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (٥٤٢هـ/١١٤٧م) .

وفيما يخص الكتب الجغرافية فقد أغنت البحث بمعلومات قيمة لبعض الوقائع التاريخية يندر ان نجدها في غيرها من المصادر ويأتي في طليعتها كتاب المسالك والممالك لابي القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة (٣٠٠هـ/٩١٢م) ، وكتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم لمؤلفه شمس الدين ابو عبد الله بن ابي بكر الشامي البشاري المقدسي (٣٣٥هـ/٩٤٦م) وكتاب جغرافية الأندلس واوربا من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) .

أما الكتب والبحوث الحديثة التي أفادت البحث ببعض الآراء وما توصلت إليه من استنتاجات من خلال تطرق مؤلفيها في كتاباتهم إلى بعض أحداث تاريخ الأندلس لفترة العصور الوسطى فهي عديدة ويمكن الرجوع إليها في الهوامش او قائمة المصادر والمراجع المثبتة في نهاية الرسالة .

انها فرصة نادرة ومفيدة وفرها لي موضوع البحث أن أعيش مايزيد على عامين ونصف العام مع مصادرنا الإسلامية الزاخرة بعطائها الثر حيث زادتني شوقا إلى أن اضع يدي على بداية الطريق في البحث . ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا البحث لا نراه استوفى جميع جوانب الدراسة لذا نطلب العذر لما فيه من هنات وهفوات قد يقف عندها أساتذتي الأفاضل . فقد علمت أنه " لا يحيط المخلوق بالغاية ولا يبلغ البشر النهاية " " وفوق كل ذي علم عليم" وإنما قصدنا معرفة ما لا يسع جهله ولا يحسن بالعاقل خلافه وستجد الرسالة بمشيئة الله ومنته صيغتها المثلى بما سينفع به المكتبة الأندلسية بعد أنْ تنتفع من تقويم أساتذتي الكرام رئيس وأعضاء لجنة المناقشة والله أسأل أن يوفقنا إلى سواء السبيل .

الرموز والمصطلحات المستعملة في الرسالة

الرمز	الكلمة المقابلة للرمز
ج	جزء
مج	مجلد
ص	صفحة
ق	قسم
تر	ترجمة
ط	طبعة
د.ت	دون تاريخ طبع
ن.م	نفس المصدر أو المصدر نفسه
ت	توفي
هـ	هجرية
م	ميلادية
ع	العدد
p	صفحة
v. volume	جزء
El , Encyclopedia	انسكلوبيديا

الفصل الأول

نظرة عامة
إلى الاستشراق ،
والاستشراق الفرنسي

المبحث الأول

الاستشراق واهدافه ... نظرة تاريخية عن الاستشراق

أ- التسمية لغة واصطلاحاً :

لفظة (استشراق) – ومشتقاتها– مولّدة استعملها المحدثون من ترجمة (Oreintalism) ، ثم استعملوا من الاسم فعلا ، فقالوا استشرق وليس في اللغات الاجنبية فعل مرادف للفعل العربي ، والمدققون يؤثرون استعمال (علماء المشرقيات) بدلا من (المستشرقين) ويؤثرون استعمال (عُرباني) لدارس العربية ، مقابل لفظة (Arabist)[(1)] وظهر مصطلح الاستشراق في الربع الأخير من القرن الثامن عشر وهو حديث الاستعمال يتصل أصله بـ (الشرق) [(2)]، ويعني لغة طلوع الشمس من الشرق[(3)] وشاعت هذه الكلمة فكانت تعني كافة مناطق شرق وجنوب شرق البحر المتوسط ، أي المنطقة التي تشرق عندها الشمس . وهو مفهوم ظل شائعا في التحديد الجغرافي الحالي الذي قصد بالشرق (حوض البحر المتوسط)[(4)]، فان مفهوم هذه الكلمة يتغير تبعا لاختلاف المكان وتبعا لتغير الازمان وأدى الاتساع الجغرافي والحضاري إلى تغير مضمون ومفهوم (الشرق) .

ونلاحظ خلو الموسوعات المتخصصة كالموسوعة الإسلامية والموسوعة البريطانية وغيرها من مادة (استشراق) ، وظهرت الكلمة أول مرة بالانجليزية في عام ١٧٧٩م ثم

---

(١) اسحق موسى الحسيني (دكتور) ، الاستشراق نشأته وتطوره وأهدافه ، مصر ، (القاهرة ، ١٩٦٧م) ، ص١ .

(٢) فؤاد افرام البستاني ، دائرة المعارف ، (بيروت ، ١٩٧٧) ، مجلد١٢ ، ص١١ .

(٣) ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، ابن منظور (ت٧٧١هـ) ، لسان العرب ، دار صادر ، (بيروت،د.ت) ، مادة الشرق .

(٤) علي حسني الخربوطلي(دكتور) ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ، ١٩٨٨م) ، ص١١–١٢ ؛ اميرة قاسم ابو هاشم ، الاستشراق والسيرة النبوية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة المستنصرية ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، (بغداد ، ٢٠٠١م) ، ص٦–٧ .

بالفرنسية في عام ١٧٩٩م ، "وقيل تبنت الأكاديمية الفرنسية كلمة (الاستشراق) في ١٨٣٨م" [١] ، الى أن استقر مصطلح الاستشراق في المؤتمر (الأول) للمستشرقين في باريس سنة ١٨٧٣م[٢] .

أما معنى الاستشراق اصطلاحا فان عددا من المفكرين والباحثين عرّف الكلمة بعدة تعريفات منها ، "أسلوب غربي في الهيمنة ، وممارسة في الاستبناء والسيادة على الشرق "[٣]،او أنه "واقع معرفي مارسته أوربا على الشرق"[٤] ، او"انشغال نفر من العلماء الغربيين بأحوال الشرق"[٥] وجميع التعريفات التي وضعت تدور حول هذا المفهوم والمستشرق (Orientalist) يعني العالم المتخصص في معرفة الشرق ولغاته وآدابه ، والاستشراق هو بالتحديد هذه المعرفة وقد تراكمت وترسخت في تقليد وانتظمت في نسق له مقدمات ونتائج يعمل بتقنيات ومناهج مخصوصة تصور الشرق ويزود بها المستشرق مجتمعة بجميع المعلومات عنه[٦].

ب- أهدافه :

إن الإطلاع على الخطوط العريضة التي ترسم هوية (الاستشراق) دعتنا إلى التعجب والتساؤل عن الأسباب التي دفعت هؤلاء أن يجهدوا أنفسهم من أجل أن يستكشفوا الشرق وأسراره ، وان يبحثوا عن حقيقة هذا العالم الذي يختلف عنهم ، وأياً كانت هذه الدراسة

---

(١) محمد فتح الله الزيادي ، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، (طرابلس ، ١٩٨٣) ، ص٥٨-٥٩ .

(٢) محسن جاسم الموسوي (دكتور) ، "الاستشراق السياسي فرضياته واستنتاجاته " مجلة الاستشراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، ١٩٨٩م) ، السنة الثالثة ، العدد٣ ، ص٥ .

(٣) ادورد سعيد (دكتور) ، (الاستشراق ، المعرفة ، السلطة ، الانشاء) ، ترجمة كمال ابو ديب ، منشورات مركز الانماء القومي ، (بيروت ، ١٩٨٤م) ، ص٢٥٣ .

(٤) سالم حميش ، الاستشراق في افق انسداده ، المملكة المغربية ، (الرباط ، ١٩٩١م) ، ص٧ .

(٥) عمر فروخ (دكتور) ، "المستشرقون مالهم وماعليهم" ، مجلة الاستشراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، ١٩٨٩م) ، السنة الأولى ، العدد الأول ، ص٥٤ .

(٦) الزيادي ، محمد فتح الله ، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها ، ص١٦١ ؛ الخربوطلي ، علي حسني ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، ص٢٢ .

فإنها تحمل تيارين يتنازعان سلبيا أو ايجابيا ، " تيار يواصل التقاليد الاستشراقية بوصفها امتدادا للحركة الاستعمارية وتعبيرا عنها ، وتيار يقدم العالم المعرفي على ما سواه ويعكس في المقام الأول حركة نمو العلوم الإنسانية منذ منتصف القرن الثامن عشر"[١] .

وإذا سلطنا الأضواء على الأهداف التي حدت المستشرقين إلى القيام بأبحاثهم ودراساتهم فاننا نستطيع حصرها بالأهداف الآتية :-

١- الهدف الديني التبشيري:

ظهرت الدوافع الدينية جلية في العصور الوسطى وبداية التاريخ الحديث كان سببه سيطرة الكنيسة على أهالي العصور الوسطى ، فقد أدى انتشار الإسلام وقوته الى شعور أوربا بالخطر مما دعى المستشرقين ومعظمهم من اللاهوتيين إلى دراسة الإسلام ليبعدوا قومهم عن الاستسلام لهذا الدين الجديد الذي ذاع ذيوعا سريعا في البلدان التي كان معظم سكانها يدينون بالمسيحية[٢] وقد بدأ الاستشراق اللاهوتي بشكل رسمي حين صدور قرار مجمع فينا الكنسي عام ١٣١٢م وذلك بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية ، وطمع بعضهم فيما بعد بنشر المسيحية بين المسلمين ، ومنهم – وهم قلة – مَنْ أراد أن يطلّع على الجدل الديني في إثبات وجود الله واثبات التوحيد والأيمان بالآخرة ، وما الى ذلك من قضايا دينية برع فيها المسلمون من فلاسفة ومتكلمين[٣] . فأخذ هدفهم التبشيري يظهر عند رجال الدين المسيحيين فعملوا على تشويه سمعة الإسلام في نفوس رواد ثقافتهم من

---

(١) معن خليل عمر (دكتور) ، "التباين الثقافي بين المستشرق والمجتمع العربي " ، مجلة الاستشراق ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد ، ١٩٨٧م) ، السنة الأولى ، العدد الأول ، ص٣١ .

(٢) الخربوطلي ، علي حسني ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، ص٥٥ ؛ ر.و.سذرن ، نظرة الغرب الى الإسلام في القرون الوسطى ، ترجمة الدكتور علي فهمي خشيم والدكتور صلاح الدين حسن ، دار مكتبة الفكر ، (طرابلس ، ١٩٧٥م) ، ص٧٥-٧٦ .

(٣) الحسيني ، اسحق موسى ، الاستشراق نشأته وتطوره ، وأهدافه ، ص١٦ .

المسلمين لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية والتشكيك في التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية ، وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث[1].

٢- الهدف السياسي الاستعماري :

بما ان حركة الاستشراق ترتبط بشكل او آخر بسياسات الدول التي كانت تنتمي إليها وان المنفعة كانت متبادلة بين المستشرقين وحكوماتهم فقد كان كل منهما يفتش عن مصلحته وينتفع احدهما من الآخر ، فأصبحت حركة الاستشراق في حقب زمنية متعددة أداة طيعة بيد الدول التي تحفزت لاستعمار الشرق وقدم الاستشراق للاستعمار كل المعلومات الدقيقة عن شعوب الشرق والشرق الإسلامي بالذات[2].

لذا كانت ظاهرة الاستعمار هي الأمر الواقع الذي تبلور منذ بداية القرن التاسع عشر في اقتسام العالم العربي بشتى أنواع الهيمنات من قبل الدول الغربية[3] وخاصة مايتعلق بالجوانب التراثية والحضارية والتاريخية وعرض الأمور التي بالامكان استغلالها واستثمارها لصالح تلك الدول من أجل توطيد سيطرتهم على المنطقة[4] . وكان من شأن ذلك انه فتح أبواب البلاد الإسلامية على مصراعيها أمام الاستعمار الغربي وأمام ثقافته .

---

(١) مصطفى السباعي (دكتور) ، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم ، مكتبة دار البيان ، (الكويت ،١٩٦٨م) ، ص١٨ ؛ مصطفى الخالدي وعمر فروخ ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، المكتبة العصرية ، (بيروت ، ١٩٧٠) ، ص١٧٨ .

(٢)مصطفى السباعي (دكتور) ، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم ، ص١٩ ؛ صبحي ناصر حسين (دكتور) ، "موقف المشارقة من المستشرقين " ، مجلة الاستشراق ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد ، ١٩٧٨) ، السنة الأولى ، العدد الأول ، ص٤٧ .

(٣) الخربوطلي ، علي حسني ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، ص١٧-١٨ .

(٤) عبد الجبار ناجي (دكتور) ، تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي ، الموسوعة الصغيرة ، العدد٨٥ ، دار الجاحظ للنشر ، (بغداد ، ١٩٨١) ، ص٢٦ .

ويأتي الباعث السياسي بعد الباعث الديني ، وقد وجدنا كثيرا من الباحثين لم يفصل بين الهدفين وعدّ احدهما مكملا للآخر وهذا صحيح لأن كليهما متلازمان وأحدهما يخدم الآخر[١].

٣- الهدف الاقتصادي :

شهدت المنطقة العربية منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى الربع الأول من القرن العشرين تصارعا حادا بين الدول الغربية نفسها حول السيطرة على اكبر حصة ممكنة من عطاء المنطقة الاقتصادي والستيراتيجي ، كان همهم ان يتوسعوا في تجارتهم ، وان يحصلوا على موارد أولية ، وعلى أسواق للتصريف في الشرق ، لترويج منتجاتهم التي ازدهرت وتراكمت في الأسواق الأوربية ، ورأوا ضرورة السفر الى تلك البلاد ومعرفة جغرافيتها الطبيعية والبشرية ، ليحسنوا التعامل مع أبنائها لتحقيق أرباحهم ومآربهم[٢].

لذلك كانت بيوت المال والشركات ، وأحيانا الملوك تمد الباحثين بما يلزمهم من مال وكانت الحكومات تمنحهم الرعاية والحماية ، وبما ان الدين ذو أثر فعال في الأخلاق والمعاملات فقد انصرفوا الى درسه وكتابة التقارير عنه ، ولكن هذه الطائفة قلة كقلة الطائفة الثانية[٣].

٤- الهدف العلمي :

من الأهداف الرئيسية أو المهمة للمسألة الاستشراقية وهو الهدف الوحيد الذي يحمل جانباً ايجابياً ، لأنه يجعل دافع المستشرقين في الدرجة الأولى محاولة لاتتعدى أكثر من حب الاستطلاع والتتبع العلميين[٤]. وانطلقوا من اعجاب خالص لمعرفة أدب

(١) الخربوطلي ، علي حسني ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، ص٨٣ ؛ محمد عبد الفتاح عليان (دكتور) ، أضواء على الاستشراق ، مطبعة الجيلاوي ، (القاهرة ، ١٩٨٠م) ، ص٤٣ ؛ محمد غلاب (دكتور) ، نظرات استشراقية في الإسلام ، دار الكاتب العربي للطباعة ، (القاهرة ، د.ت) ، ص٢١ .

(٢) حسين ، موقف المشارقة من المستشرقين ، ص٤٨ .

(٣) الحسيني ، الاستشراق نشأته وتطوره وأهدافه ، ص١٧ .

(٤) ناجي ، تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي ، ص٢٦ .

وفلسفة وعلوم العرب ، وهم قلة إذا قسناهم بالذين رغبوا في الاستشراق انطلاقا من أهدافهم السابقة .

فكان فضلهم في ما أسدوه من خدمات للتراث العربي وللحضارة العربية في جمع المخطوطات ونشرها وفهرستها وتحقيق المراجع وطبعها ووضع الدراسات الموسوعية في الأدب العربي وتاريخه ، وما ألفوه من معاجم وما قدموه للإسلام من أبحاث ودراسات وفهارس وما إلى ذلك ، بل إن فضلهم هذا لا يقف عند هذا الحد بل يشمل أجيالا من الأساتذة العرب الذين درسوا على أيديهم إما في الجامعات العربية أو في الجامعات الأوربية ، وإخذوا عنهم مناهج البحث التي نقلوها بدورهم الى طلابهم العرب(١).وقد تحرر هذا الصنف من المستشرقين من الأهواء والدوافع الأخرى التي ذكرناها سابقا ، لذلك اهتدى قسم منهم الى الإسلام وآمن برسالته ، على ان هؤلاء لا يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص لان أبحاثهم المجردة عن الهوى لا تلقي رواجا لا عند رجال الدين ، ولا عند رجال السياسة ، ولا عند عامة الباحثين ، ومن ثم فهي لا تدر عليهم ربحا ولا مالا ، ولهذا يندر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين(٢).

يرى بعض الباحثين ان للاستشراق أهدافا أخرى جانبية ، قد يكون بعضها شخصيا متصلا بمزاج بعض الناس الذين توفر لهم المال والوقت فاتخذوا الاستشراق وسيلة للتنقل والترحال بين الأمم الشرقية للإطلاع على عاداتها وتقاليدها وثقافتها وحضارتها ، وهناك نوع من المستشرقين دخلوا هذا الميدان استرزاقا عندما ضاقت بهم سبل العيش في أماكن أخرى ومنهم من دخل هذا الميدان نتيجة عدم قدرته الفكرية على الوصول إلى مستوى العلماء في العلوم الأخرى ، ومنهم من دخله

---

(١) ميشال حجا (دكتور) ، "موقف العرب من المستعربين " ، مجلة الاستشراق ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد ، ١٩٨٧م) ، السنة الأولى ، العدد الأول ، ص٤٤–٤٥ .

(٢) السباعي ، الاستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم ، ص٢١ .

تخلصا من مسؤولياته المباشرة في مجتمعه المسيحي ، على ان هذه الأصناف لم تكن بالكثرة حتى يمكن عدّ هذه الدوافع رئيسة في ميدان الاستشراق[1].

ج- الأسس التي قام عليها الاستشراق .

من المعروف تاريخيا ان اهتمام الغرب بالشرق يعود إلى خبرات وتجارب واتصالات قديمة تبدأ مع بدايات الألف الثانية من التاريخ الميلادي ، واتخذ هذا الاهتمام أشكالا مختلفة من العلاقات التجارية والدينية والحربية والحضارية ، وقد ظلت هذه التجارب والخبرات متأصلة وفاعلة في العقل الأوربي بحيث كونت قيما ومُثُلاً وأحكاما ومصطلحات ومناهج بحث لا تزال تعمل عملها عن قصد او أحيانا دون قصد بالتاثير في تحليلات المستشرقين حتى يومنا هذا[2].

من هذا يتضح لنا ان دراستنا للاستشراق فيها صعوبة بحثية في معالجته تعود أساسا الى طبيعة هذه المادة التي لا تشكل كلا متجانسا متراصا ولا عقدة في قصة تخضع لوحدة الزمان والمكان ووحدة الفعل ، بل انها مجموع حركات معرفية تتباين فيها الازمنة واللغات وتختلف مستويات مواضيعها وادراكاتها وغاياتها [3].

لذا ينبغي ان ننظر الى الاستشراق على انه تيار حضاري فيه ما في الحضارة من محامد ومساوئ ، ولو تقصينا تاريخ الاستشراق نلاحظ أنه مر في أطوار مختلفة هي :-

- **الطور الأول :**

الذي يعد بداية للاستشراق وكان المستشرقون مسحورين بالشرق والحضارة العربية الإسلامية ، وهذا الانبهار قاد الى تكوين مجموعات طلائع المستشرقين الذين قاموا بترجمة جانبا مهما من الثقافة العربية الإسلامية إلى اللغة اللاتينية واشتهرت في

---

(١) عمر عودة الخطيب ، لمحات في الثقافة الإسلامية ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، ١٩٧٧) ، ص١٩٨ ؛ الزيادي ، محمد فتح الله ، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها ، ص٨٨-٨٩ .

(٢) فاروق عمر فوزي (دكتور) ، "الاستشراق وتاريخ العصر العباسي" ، مجلة الاستشراق ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد ، ١٩٨٧) ، السنة الأولى ، العدد الأول ، ص١٢٠ .

(٣) حميش ، الاستشراق في افق انسداده ، ص٩ .

هذا الطور أسماء عربية كثيرة لا تحصى في الأوساط الثقافية الاوربية[1] من أمثال جيرارد الكريميوني ، ويوحنا الاشبيلي وفرجيل القرطبي وغيرهم ، ترجموا أعمال الفلاسفة العرب والفكر الكلامي الإسلامي والأدب والشعر .

- الطور الثاني :

ظهر هذا التيار في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي نتيجة للاتصال المباشر بين الشرق والغرب الذي أحدثته الحروب الصليبية ، ازداد انبهار الأوربيين بالشرق العربي الإسلامي ، واتجه الاستشراق إلى قراءة ودراسة الثقافة العربية الإسلامية الموجودة عندهم باللغة اللاتينية [2] وأخذ المستشرقون يتواصلون دراسة منابع أصول دراسة الشرق العربي الإسلامي على نحو مباشر من بلدانه العربية الإسلامية وظهرت خيوط مؤسسات التوسع في النفوذ الأوربي في الشرق عموما وبلاد العرب على نحو الخصوص .

- الطور الثالث :

في عصر الاستعمار المباشر والصراع بين الشرق والغرب ، وتحول الاستشراق من طور الاستطلاع لظواهر الشرق لخدمة الرغبة وسد الحاجة والتطلع إلى ماض زاهر ، إلى تطويق القوى البشرية في الشرق العربي ، أي أن عوامل متعددة جديدة ظهرت على النشاط الأوربي منها عصر النهضة وظهور التفوق الأوربي[3].

من هذا يتضح انّ الأطوار التي مر بها الاستشراق هي التحول من اقتباس الشرق العربي إلى (دراسة) صورة الشرق العربي ، إلى تحوير الشرق العربي في القراءة[4].

---

(١) هانيا نيكوتسكا (مستعربة) ، "حول تراجم الأدب العربي في بولندا" ، مجلة الاستشراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، ١٩٨٧) ، السنة الأولى ، العدد الأول ، ص٧٨ .

(٢) محمد البهي (دكتور) ، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، ط٥ ، دار الفكر ، (بيروت ، ١٩٧٠) ، ص٩٤

(٣) الخربوطلي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، ص٦٥ .

(٤) عبد الامير عبد المنعم الاعسم (دكتور) ، "الاستشراق من منظور فلسفي عربي معاصر " ، مجلة الاستشراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، ١٩٧٨م) ، السنة الأولى ، العدد الأول ، ص١٨-١٩ .

وبهذا الدأب المتواصل عند علمائهم والتفرغ الكامل له والرغبة الاستعمارية والدينية التي ألمحت إليها بالأطوار السابقة استطاعوا أن ينظموا الحديث عن ثقافتنا تنظيما بهر أبصار مثقفينا واستولى على البابهم وخاصة عندما قارنوا بين أسلوبهم وأسلوب كتبنا العلمية القديمة فاندفعوا للاقتباس من كتب المستشرقين معجبين بعلمهم وسعة إطلاعهم ضانين أنهم لا يقولون إلا الحق ، وأنهم في ما خالفوا فيه الحقائق المقررة عندنا – اصح حكما وأصوب رأيا – لأنهم يسيرون وفق منهج علمي دقيق لا يحيدون عنه(١).

(١) عدنان علي البكاء (دكتور) ، المستشرقون وموقفهم من التراث العربي الإسلامي ، المؤتمر العلمي الأول ، الجامعة المستنصرية ، (كلية الفقه ، ١٩٨٦) ، ص٣ .

المبحث الثاني

الاستشراق الفرنسي النشأة والتطور

اولا :البدايات الأولى لظهور الاستشراق الفرنسي :

بدأ الاحتكاك العربي الإسلامي بفرنسا في القرن الثاني الهجري /النصف الأول من القرن الثامن الميلادي عندما بدأ نشاط العرب العسكري بالتوغل في أوربا انطلاقا من الأندلس(١) .وكان من ابرز مظاهر الاحتكاك معركة بلاط الشهداء(*) في رمضان سنة ١١٤هـ/٧٣٢م ، والتي كانت حدا فاصلا للتقدم شمالا ، فمنعتهم هذه الهزيمة من التقدم وغزو أوربا أو الأرض الكبيرة كما كانت تسمى ، فلم يعد المسلمون يفكرون في دفع فتوحاتهم إلى الأمام ، واكتفوا بالمحافظة على ما بأيديهم من الأراضي عاملين على تحصينها وإيصال بذور الحضارة إليها ، وما لحقها من صدامات عسكرية ، لتبدأ بدلا من الصدام صلات دبلوماسية بين هارون الرشيد وشارلمان(٢).

كانت أوربا لحظة وصول العرب إلى الأندلس في أواخر القرن الأول الهجري/السابع للميلاد ومن بعد إلى صقلية وجنوب ايطاليا ، ترقد فيما عُرف بين الناس تسميته (بظلام العصور الوسطى) ، تجثو ساكنة دون حراك تحت سلطة أسياد الأرض من جهة وسلطة الآباء الروحية من جهة ثانية ، فكان وصول العرب إلى أبواب القارة الاوربية بمثابة

---

(١) زيغريد هونكة ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي ، (بيروت ، ١٩٦٤) ، ص٦٨-٧٤ ؛ عبد الرحمن علي الحجي (دكتور) ، أندلسيات ، دار الارشاد ، (بيروت ، ١٩٦٩) ، ص١٨ .

(*) بلاط الشهداء : سميت بالعربية نسبة الى طريق روماني قديم دارت عنده هذه المعركة وبالفرنسية تسمى تور وبواتيه وهي المدينتان التي التقى الجيشان فيهما ودارت معركة عنيفة ضارية لمدة ثلاثة ايام انتصر العرب فيها لولا وفاة القائد عبد الرحمن الغافقي وعدد كبير من رجاله فاختل التوازن وخسروا المعركة بالانسحاب ، انظر للمزيد عن المعركة : احمد مختار العبادي (دكتور) ، في تاريخ المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية ، (بيروت ، ١٩٧٨) ، ص٨٤ .

(٢) جورج حداد ، المدخل الى تاريخ الحضارة ، مطبعة الجامعة السورية ، (سوريا ، ١٩٥٨) ، ص٣٦١ .

عاصفة هزت البنى الثابتة الراقدة وبعثت الحياة في ذلك السبات فكان عاملا ايجابيا بالغ الأهمية في دفع عملية النهوض الأوربي الى الإمام[1].

فواجهت أوربا الغربية الحضارة الإسلامية بشعور من النقص والضعف وكانت التقنية الإسلامية متفوقة في أكثر من ميدان على التقنية الأوربية . من هنا فان الاستشراق الفرنسي لم ترتسم ملامحه الا في القرن السادس عشر ، اما قبل هذه الفترة فان الفرنسيين كانوا يجهلون كل شيء عن العالم الإسلامي واذا ماصادف ان ترك لنا بعض أصحاب المذكرات سرد أحداث بعض الحملات الصليبية فهم لم يروا في المسلمين الا أعداء لهم ، وربما اظهروا في حالات نادرة الإعجاب بهم والتقدير لفروسيتهم اما عن دياناتهم فلم يكونوا يعرفون أي شيء وكذلك عن مجتمعهم وحياتهم اليومية[2].

أن المستشرقين الذين وفدوا الشرق عن طريق الحملات الصليبية أو الرحلات أو السفارات استفادوا من العرب فوائد علمية واجتماعية جمة ، وقد رأوا مدينته أرقى من مدينتهم إذ ذاك ، وعلماً وصناعات لا عهد لهم بها ، وأخلاقا ووفاء وعهدا ندرت في غيرهم وتعلم الكثير من سكان فرنسا اللغة العربية واشتهر بها بعض أمرائهم وقوادهم واذكيائهم وأهل الفكر فيهم ، بل كان بعض الأوربيين قبل الحروب الصليبية يختلفون الى الأندلس ويأخذون العلم عن علمائها[3].

وبهذا يمكن القول أن الاستشراق في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي كان واقعا معرفيا مارسته أوربا على الشرق وحتى قبل ظهور كلمة مستشرق التي استعملت

---

(١) البير نصري نادر ،" اهتمام المستشرقين بالفكر العربي الإسلامي القديم " ، مجلة الاستشراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، ١٩٨٧) ، السنة الاولى ، العدد الاول ، ص١٠٦ .

(٢) روبير منتران ، " الاستشراق الفرنسي ، اصوله ، تطوره ، آفاقه ، بداية الاستشراق الفرنسي " ، مجلة الاستشراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، ١٩٨٧) ، ، السنة الاولى ، العدد الاول ، ص٣٢ .

(٣) محمد كرد علي ، أثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية ، مجلة المجمع العلمي العربي ، (دمشق ، ١٩٢٧) ، مجلد ٧ ، ، الجزء١٠ ، ص٤٣٤ .

أول مرة بالفرنسية في عام ١٥٣٩(*)، وأول المستشرقين الفرنسيين كان (دي اورياك غربرت)(**) الذي جلس على كرسي البابوية في الفترة (٣٨٩-٣٩٣هـ/٩٩٩-١٠٠٣م) وقد قدم إلى الأندلس في شبابه ودرس في قرطبة واشبيلية على يد علماء العرب الرياضيات والفلك ورسم الأرض وبقي مدة ثلاث سنوات ثم انه لما غادر الأندلس ذهب أولا الى روما ثم انتقل إلى بلاط آوتو الأول الكبير ملك جرمانية (ألمانيا) وإمبراطور الرومانية المقدسة[١].

لذا يمكن ان نعد عهده بداية محاولة الفرنسيين للاستفادة من علوم المسلمين حتى خلافة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) ، عندما بلغت الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس أوج ازدهارها وأعلى مراتبها والفرق واضح بينها وبين الدول الأوربية المجاورة والبعيدة حتى إن اذفونش او الفونسو الثالث (٢٥٢-٢٩٧هـ/٨٦٦-٩١٠م) ، ملك اشتورش وجليقية (ليون) ، لم يجد إلا أن يعهد بتربية ابنه إلى مربين قرطبيين[٢]. وكذلك تعلم شانجه الأول (٣٥٤-٣٥٥هـ/٩٥٦-٩٦٦م) ملك ليون واستوريا والملقب بالسمين الطب على علماء قرطبة[٣].

ومر زمن طويل والفرنسيون يغترفون من الثقافة الإسلامية المكتوبة باللغة العربية لينتفعوا بما كان عند العرب فنقلوا من تراث الأمم الى لغتهم وبمرور الزمن ازدادت ترجمة ونقل الكتب العربية (في العلوم الرياضية والطبيعية وفي الفلسفة) الى اللغة اللاتينية كما

(*) المعروف تاريخيا ان الاستشراق الفرنسي يعد من اهم المدارس الاستشراقية واقدمها تاريخيا وان اول كرسي للغة العربية قد تاسس في باريس وفي كولج دي فرانس (College De France) عام ١٥٣٩م ، وكان قد شغله آنذاك المستشرق الفرنسي غليوم بوستل (G.Postel) ، ينظر : ناجي ، عبد الجبار ، تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي ، ص٢٩ .

(**) للمزيد عنه ينظر : عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين ، (بيروت ، تموز ١٩٩٣م) ، ص١٧٩ .

(١) فروخ ، عمر ، المستشرقون مالهم وماعليهم ، ص٥٤ .

(٢) الحجي ، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، ص٣٠٣ ؛اندلسيات، ٥٨/٢؛الحضارة الاسلامية في الاندلس ، بيروت ،١٩٦٩ ،ص٣١.٢٥ .

(٣) كرد علي ، اثر المستعربين من علماء المشرقيات ، ص٤٣٤ .

كان العرب قبل قرنين من الزمن قد أخذوا ينقلون كتب العلم والفلسفة من اللغة اليونانية الى اللغة العربية ، ومنذ ذلك الوقت المبكر بدأ اليهود عملية الترجمة[١].

ثانيا : الاستشراق الفرنسي خلال القرنيين (٥ -٦هـ/ ١١-١٢م)

وفي القرنين الخامس والسادس للهجرة/ الحادي عشر والثاني عشر الميلادي اتضحت معالم المدرسة الاستشراقية الفرنسية وذلك لان الطبقة المثقفة وحتى أقطاب الكنيسة اخذوا يدعون الى استبدال نهج الحرب على الإسلام الى البحث عن أسباب نهضة المسلمين ولاسيما في الأندلس وبلوغهم هذا المجد العظيم فبدأوا يدرسون علوم المسلمين ولغاتهم لعلهم يظفرون بما يوقفون به هذا التيار الجديد او يكتسبون من علومه ما ينفعهم في إنقاذهم من تخلفهم وجهلهم ، ويؤكد بعض الباحثين ان بعض الرهبان اتجهوا الى الأندلس وغيرها من مراكز الحضارة الإسلامية من أوربا في أيام ازدهارها وتعلموا في مدارسها وتثقفوا بعلوم المسلمين وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم[٢].

ومن اهم الوجوه التي عبرت أحسن تعبير عن خصائص هذا التحويل القائم على معرفة الدين الإسلامي وتعلم اللغة العربية ما قام به بطرس الذي يسميه قومه بطرس المحترم[*] (ت١٥٥١هـ/١١٥٦م) فقد نقل القرآن الكريم (او قسما من القرآن الكريم) ليرد

---

(١) فروخ ، المستشرقون مالهم وماعليهم ، ص٥٥ .

(٢) الزيادي ، محمد فتح الله ، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها ، ص٦٣-٦٤ .

(*) هو الراهب بطرس ، فرنسي زار أسبانيا حين كان رئيسا لدير كلوني للاطلاع على احوال رعيته ، والاستزادة من علوم العرب في الأندلس اطلع خلالها على المجادلات القائمة بين المسلمين والمسيحيين فتولدت لديه قناعة بان الرد لايكون الا بقوة الكلمة والحجة المنطقية وتعلم اللغة العربية وهذا يحتاج برأيه الى المعرفة العميقة بالدين الإسلامي لذا قرر ان يعمل الى ترجمة القرآن الكريم ، ينظر ايضا : بدوي ، عبد الرحمن ، موسوعة المستشرقين ، ص١١٠ .

على ما لا يوافق الكنيسة منه[1]، مستعينا بمدرسة المترجمين في طليطلة فقد قبلا العمل معه مقابل مبلغ من المال[2].

ان نقل القرآن الكريم الى اللاتينية أضرم الصراعات المسيحية الداخلية وقد دفع ببعض المفكرين الى الإلحاح على ضرورة إصلاح الكنيسة من الداخل كشرط لازم واكيد للتغلب على الإسلام[3]،وهذا مانتج عنه تبسيط في معرفة الشرق دينا وحضارة وتاريخا ، ولكن من دون ان يضعف استمرار الاهتمام بعلوم المسلمين وتراثهم في الحقب التاريخية اللاحقة[4].وبقي هدف الاستشراق الفرنسي في الشرق خلال القرنين (٥ و ٦ هـ/١١ و ١٢ م) موسوما بالتبشير الديني وخدمة سياسة الامبراطورية الفرنجية وبقي قاصرا في نجاحه وذلك لانه لم يقم على اساس علمي منظم وهذا ما نشهده في قول دوجا عن الراهب بطرس أيضا : "حين دحض القرآن بعد ان كلف من ينقله الى اللاتينية من اجل محاربته ، اشتكى من اهمال الذين لايعرفون سوى لغتهم"[5]. وعلى هذا الأساس كانت أوربا لاتزال تسبح في دياجير الظلام ولم تجر بعد أي دراسة تميز الكفر والوثنية ولم تقم أي حجج مضادة يمكن دحضها وذلك لتسلط الكنيسة وهي لم تسمح للعامة مناقشة هذه الموضوعات وبسبب من النتائج السيئة التي خلفتها كنيسة العصور الوسطى وعجز حركات الاصلاح الديني من تحقيق النجاح الروحي ، ضعفت السلطة الروحية للتفكير المسيحي الى ان أزيلت سيطرة الكنيسة تماما بفعل الثورة الفرنسية في فرنسا نفسها وتأثير أفكارها في البلاد الاوربية الاخرى[6].

---

(١) الخطيب ، عمر عودة ، لمحات في الثقافة الإسلامية ، ص١٨٧ .

(٢) يوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق ،ترجمة عمر لطفي العالم ، دار قتيبة ، (بيروت ، ١٩٦٦) ، ص١٣-١٥ .

(٣) حميش ، سالم ، الاستشراق في افق انسداده ، ص١٥-١٦ .

(٤) الخربوطلي ، علي حسني ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، ص٣٤-٣٥ .

(٥) ج دوجا : تاريخ مستشرقي اوربا من القرن الثاني عشر الى القرن التاسع عشر ،ميزونوف ، (باريس ، ١٩٦٨) ، ج١ ، ص١٥ ؛ محمد صالح البنداق (دكتور) ، المستشرقون وترجمة القرآن ، دار الافاق الجديدة ، (بيروت ، ١٩٨٠) ، ص٩٠ .

(٦) ابو هاشم ، اميرة قاسم ، الاستشراق الفرنسي والسيرة النبوية ، ص٤٠ .

ثالثا ـ تطور الاستشراق الفرنسي خلال القرن(٧هـ/١٣م)

وفي القرن السابع الهجري/القرن الثالث عشر للميلاد تكونت الممالك الاوربية الحديثة واتت الحروب الصليبية ثمارا لم تكن مقصودة منها ، ولكن كانت ذات اثر كبير في تطور أوربا فتوثقت العلاقات الثقافية بين الغرب والشرق ، وفتح البحر المتوسط للتجارة الأوربية فبرزت الطبقة الوسطى (الطبقة البرجوازية) ، ونافست بثرائها نفوذ الإشراف ، وناصرت العلم والفن وفي هذا الوسط وثبت الفلسفة ووثب اللاهوت وثبة كبرى ، وبلغ العلمان اوجهما[1]، ويرجع ذلك الى عاملين رئيسين هما :-

١-استبحار التعليم ، فنشأت الجامعات وتكاثرت المدارس الخاص(*) ة وكان اشهرها (السوربون) اقامها سنة (٦٥١هـ/١٢٥٣م) روبير دي سوربون(*) (٥٩٨-٦٧٣هـ/١٢٠١-١٢٧٤م) ، وهو كاهن الملك لويس التاسع .

٢- الكتب المنقولة عن العربية واليونانية وخاصة كتب ارسطو وشراحه[2].

وكانت فرنسا سباقة في ذلك فكان معظم الشعب يسهم في العمل بمزاجه ومواهبه[3]، وأخذت الأمم الأوربية تبتاع بواسطة وكلائها وقناصلها وتجارها في الشرق مخطوطات عربية تزين بها قصور ملوكها واديرتها وبيعها ودور العلم فيها . وكان سان

---

(١) نادر ، البيرنصري ، اهتمام المستشرقين بالفكر العربي الإسلامي القديم ، ص١٠٩ .

(*) روبير دي سوربون : اسم يطلق غالبا على جامعة باريس في فرنسا ، والاصل انه اسم لاولى كلياتها الموهوبة انشأها روبير دي سوربون (١٢٠١-١٢٧٤م) ، وهو راهب لويس التاسع ، وافتتحت عام ١٢٥٧ وتوفير المكان لطلاب اللاهوت من غير الرهبان) ، للمزيد عنها ينظر : الموسوعة الميسرة ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية ، (مصر ١٩٥٩) ، ص١٠٣١-١٠٣٢ ؛ نجيب العقيقي ، المستشرقون ، دار المعارف ، (مصر ١٩٦٤م) ، ، الجزء ١ ، ص١٥٣ .

ارسطو (٣٢٢.٣٨٤ق.م)، فيلسوف وعالم موسوعي ومؤسس علم المنطق وعدد من الفروع الاخرى للمعرفة الخاصة .ينظر للمزيد روزنثال . بودين ، الموسوعة الفلسفي، دار الطليعة،بيروت ،١٩٨٠ ،ص١٩ .

(٢) نادر ، البيرنصري ، اهتمام المستشرقين بالفكر العربي الإسلامي القديم ، ص١٠٨-١٠٩ .

(٣) الزيادي ، محمد فتح الله ، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها ، ص٦٦ .

لوي او لويس التاسع أول ملوك فرنسا الشارعين بتأسيس خزائن الكتب ، وذلك انه بلغه ما كان في الشرق على عهد الحروب الصليبية من ان بعض أمراء المسلمين جعلوا لأنفسهم خزائن يطالعونها ساعات فراغهم فجرى هو على منوالهم[١] ، وكان للترجمة في القرن الثالث عشر الميلادي عهدان الأول : جاءت فيه عن العربية اكثر منها عن اليونانية ، وفي الثاني : جاءت فيه كلها عن اليونانية .

وأصبح في الدول الأوربية مراكز للترجمة ومن هذه المراكز (مركز القسطنطينية) وكان الصليبيون قد فتحوها سنة (٦٠١هـ/١٢٤٠م) وأسسوا فيها الامبراطورية اللاتينية حتى سنة (٦٦٠هـ/١٢٦١م) فقصد اليها مرسلون فرنسيون واساتذة من جامعة باريس اشتغلوا بالنقل عن اليونانية[٢]، او أرسلوا المخطوطات الى باريس فنقلت فيها .

وما ان شاعت آثار ابن رشد[*] بين الفلاسفة المدرسين حتى شهدوا بعلو كعبه في الفلسفة لاسيما مدى نفوذه الى غور الفلسفة الارسطوطالية[**]. ومن الفلاسفة الذين تأثروا بالفكر الإسلامي في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر الميلادي من الفرنسيين (سيجر دي برايان)(٦٢٣-٦٨١هـ/١٢٣٥-١٢٨٢م) اشهر الرشديين[***] اللاتينيين ، وكان قد تعرض الى مضايقات عديدة اهمها الذي قام حين انكر أسقف باريس القضايا الرشدية سنة (٦٦٩هـ/١٢٧٠م) ، فمضى هو في تعليمه وضم اليه فريقا هاما من أساتذة

---

(١) علي ، محمد كرد ، اثر المستعربين من علماء المشرقيات ، ص٤٣٧ .

(٢) يوسف كرم (دكتور) ، تاريخ الفلسفة الاوربية في العصر الوسيط ، دار الكاتب المصري (القاهرة ، ١٩٤٦) ، ص١٢٧-١٢٨ .

(*) ابن رشد (١١٢٦-١١٩٨م) ، فيلسوف وعالم عربي عاش في الاندلس ابان الخلافة الاسلامية في قرطبة ، وقد استطاع ودون أن يتخلى عن الديانة الاسلامية أن يطور العناصر المادية في فلسفة ارسطو .ينظر للمزيد : كحالة ،معجم المؤلفين ،٣١٣/٨ ؛ الموسوعة الفلسفية ،ص٨ .

(**) الارسطو طالية : نسبة الى ارسطو طاليس ، للمزيد ينظر: عبد الرحمن بدوي ، الموسوعة الفسلفية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت ، ١٩٨٤) ، ، الجزء ١ ، ص٩٨-١٢٨ .

(***) الرشديين : نسبة الى ابن رشد ، للمزيد ينظر : فؤاد كامل وآخرون ، الموسوعة الفلسفية المختصرة ، مكتبة النهضة ، (بغداد ، ١٩٨٣) ، ص١٥-١٦ .

الكلية وطلابها ذهبوا الى حد انتخابه عميدا لهم والغالبية تقاومهم ، حتى اصدر الأسقف سنة ٦٧٦هـ / آذار ١٢٧٧م ، ثبتا بمائتين وتسع عشرة قضية حظر تعليمها منها عدد من (القضايا الفلسفية الكبرى) التي تلزم عن تأويل ابن رشد وأتباعه لارسطو وتصطدم بالعقيدة المسيحية ، وكذلك تقديم الفلسفة على الشريعة وقولهم بازلية العالم وباستحالة الخلق عن العدم وإنكارهم علم الله للجزئيات وغيرها ، وبعد هذا الحظر الذي اصدره الاسقف كف سيجر عن التعليم ، لكن محكمة التفتيش طلبته للمثول امامها ، ويلوح ان سيجر احتكم الى روما ، فحبس وصدر ضده الحرمان ، كان القضاء المبرم على التعليم الرشدي بباريس(١).

رابعا- الاستشراق الفرنسي خلال عصر النهضة (٨-١٠هـ/١٤-١٦م)

اما في عصر النهضة ، فنرى أنّ موقف المستشرقين هو التنكير للعرب ولدورهم التقليدي في نقل التراث اليوناني الكلاسيكي(٢). فالعرب في ادراك مثقفي هذا العصر لم يحتلوا المعبر الضروري الى فلسفة الاغريق وعلومهم لاسيما بعد ان تمكن اولئك المثقفون من الرجوع الى النصوص الاصلية المتوفرة في اللغة اليونانية والطعن في صحة الترجمات العربية عبر السريانية(٣).

ومنع البابوات عدة مرات الكهنة والرهبان من دراسة العلوم الزمنية ، وركزوا ابحاثهم على الدراسات اللغوية وما حققه المسلمون من فتوحات وتقدم في العلوم والفنون والاداب بهرت العالم المسيحي فعكف على درسها والافادة منها(٤). كما ان عمل التبشير الديني في الأندلس اصبح لا جدوى له بسبب سقوط غرناطة بين ايدي المسيحيين سنة

---

(١) نادر ، البير نصري ، اهتمام المستشرقين بالفكر العربي الإسلامي القديم ، ص١١٠ .

(٢) احمد محمود صبحي (دكتور) ، في فلسفة التاريخ ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، (الاسكندرية، د.ت) ، ص١٨٩ .

(٣) حميش ، سالم ، الاستشراق في افق انسداده ، ص١٧ .

(٤) الحسيني ، اسحق موسى ، الاستشراق نشأته وتطوره وأهدافه ، ص٤ ؛ جي .ئي ، كرونباوم ، الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية ، ترجمة صدقي حمدي ، مطبعة أسعد ، (بغداد ، ١٩٦٦) ، ص٣٣٥ ؛ نادر ، البير نصري ، اهتمام المستشرقين بالفكر العربي الإسلامي القديم ، ص١١١ .

(٨٩٨هـ/١٤٩٢م) وقد ادى ذلك الى أفول صورة العرب والمسلمين[١].

ومنذ القرن العاشر للهجرة / السادس عشر للميلاد ، بدأ الاستشراق بالمعنى المقصود عندنا الآن : "الاهتمام باللغات الشرقية العربية والفارسية والتركية خاصة" ، والاهتمام بجمع المخطوطات العربية لنشرها في موضوعات شرقية (دينية ولغوية وأدبية) ، وساعد ذلك ظهور عصر الطباعة وازدهار الجامعات الكبرى[٢].

ان النزعة الانسية[*] التي طورها عصر النهضة قد ادت الى تحويل الاستشراق من عصر الصراع بين الشرق والغرب الى استطلاع ظواهر الشرق[٣]. وهذا يعني استعادة الاهتمام بالدراسات الإسلامية ، هذه الدراسات التي خصص لها اذ ذاك كرسيها في كوليج دي فرانس سنة (٩٤٦هـ/١٥٣٩م) ، وكان من ابرز المهتمين موسوعيان فرنسيان هما جيوم بوستل (G.Postel) (١٥١٠-١٥٨١) وهو اول من اسند له الكرسي المذكور[**]. ثم تلميذه يوف سكاليجر (J.Scaliger)(١٥٤٠-١٦٠٩م) ، كان استاذ اللغة العربية ، وكان الاثنان من المبشرين[٤].

---

(١) المقري ، نفح الطيب ، ، الجزء ٤ ، ص٥٢٥ .

(٢) حميش ، سالم ، الاستشراق في افق انسداده ، ص١٧ .

(*) النزعة الانسية : هي (المذهب الانساني) ، ظهر في عصر التنوير ، عقب الكشوف العلمية وقد دعم ثقة الانسان بالمستقبل واستعلائه على الماضي ، ينظر : مصطلحات الفلسفة في التعليم العام ، دار الكتاب ، (الدار البيضاء ، ١٩٧٧) ، ص١٨ .

(٣) الاعسم ، عبد الامير عبد المنعم ، الاستشراق من منظور فلسفي عربي معاصر ، ص١٩ .

(**) من رجال الدين المسيحي كان مندفعا يقود المسيحيين لخدمة الدين وتطويعه لسياسة الدولة ، للمزيد ينظر : ناجي ، عبد الجبار ، تطور الاستشراق في دراسة للتراث العربي ، ص٣٣ .

(٤) مكسيم رودنسون ، الصورة الغربية والدراسات الغربية عن الإسلام ، تحقيق : شاكر مصطفى ، سلسلة تراث الإسلام ، (الكويت ، ١٩٧٨) ، ص٦١ .

خامساً- سمات الاستشراق الفرنسي خلال القرن (١١-١٣هـ/ ١٧-١٩م)

اما القرن (الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي) ، فقد عرف عودة الاهتمام الأوربي بالشرق الإسلامي ليس في الإبداع الأدبي فحسب وانما على صعيد المشاريع المعرفية المتخصصة أيضاً ؛ المستجيبة من جهة لظهور الدولة المركزية القوية في أوربا ولحاجات نموها الاقتصادي المرتبط من جهة اخرى بالتهديد الإسلامي المتمثل في الامبراطورية العثمانية[*] على وجه التحديد[١].

كما ان فتح سفارة القسطنطينية[**] وإقامة قنصليات رسمية في عدة مدن من مدن الامبراطورية العثمانية ، أسهم في توثيق علاقات اكثر متانة بين الفرنسيين (من دبلوماسيين وتجار ذوي مستويات نبيلة) والاتراك[٢]. وظهر سريعا انه على الفرنسيين ان يتعلموا اللغات الشرقية المكتوبة بحرف عربي ، بل الى غيرها مما هو بعيد عن العربية كل البعد (كالسنسكريتية والصينية) جاء بطريقة عفوية كما يزعم من يدعم الاستشراق[٣].

وهذه الفترة أعقبت مؤلفي عصر النهضة التي يطلق عليها الفترة (الرومانتيكية) (Romantic Epoch) ، أنتجت عددا من الإسهامات الاستشراقية الايجابية والمعروف ان انصار الرومانتيكية في اوربا قد نظروا الى الماضي والأحداث التاريخية بعين العطف على عكس ما نظر اليه كتاب فترة عصر النهضة ، فالرومانتيكيون رأوا في التجارب التاريخية

(*) الامبراطورية العثمانية ،اعظم الدول الاسلامية تكونت بين (القرنين ١٤-١٦ م)بالشرق الادنى على يد الاتراك العثمانيين بعد تفكك الامبراطورية السلجوقية واتسعت رقعة البلاد تحت حكم عددمن السلاطين الاكفاء (وكان اولهم عثمان مؤسس الاسرة العثمانية). للمزيد ينظر ؛ الموسوعة الميسرة ،ص٢٢١ .

(١) حميش ، سالم ، الاستشراق في افق انسداده ، ص١٧ ؛ الحسيني ، اسحق موسى ، الاستشراق نشأته وتطوره واهدافه ، ص٧.

(**) سفارة القسطنطينية ؛ نظم ووسائل الاتصال بين الدول الاعضاء في الجماعة الدولية ، والادارة التي تستخدمها هذه الدول في تسيير علاقاتها الواحدة بالاخرى وتنفيذ سياستها الخارجية ، للمزيد ينظر الموسوعة الميسرة ،ص٧٨٣.

(٢) منتران ، روبير ، الاستشراق الفرنسي اصوله تطوره آفاقه ، ص٣٣ .

(٣) مكسيم رودنسون ، وضع الاستشراق المختص بالإسلاميات ، مكتسباته ومشاكله ، ترجمة : هاشم صالح ، دار الساقي ، (بيروت ، ١٩٩٤) ، ص٨٧ .

البعيدة والقريبة الى فترتهم تعبيرا عن جهود إنسانية قيمة ، وان الماضي وأي فترة منه تتضمن قيمة دائمة في ذاتها وتمثل حلقة متصلة بالحلقات الاخرى السابقة والتالية[١].

يعد القرن الثامن عشر ، مرحلة التنظيم الفعلي للاستشراق وهو الوقت الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي والاستيلاء على ممتلكاته ، اذ ظهر الاتجاه الحقيقي والمنظم للاستشراق ، وقد تمثل ذلك في نبوغ بعض علماء الغرب في هذا الميدان وذلك باصدار العديد من المجلات في كثير من بلاد الغرب والاستيلاء على الكنوز العربية المتمثلة في المخطوطات والوثائق الهامة والانتقال بها الى المكتبات والمتاحف الغربية[٢].

وفي اوائل القرن التاسع عشر تزايد نشاط المستشرقين واهتمامهم بهذه الكنوز التي تمثل في الواقع التراث الحقيقي للامة العربية والإسلامية وبمرور الوقت ازدادت هذه الحركة تنظيما وشعر العديد من روادها بضرورة وجود رابط يجمع أعضاء هذه الحركة وتوفر لهم الفرصة للتلاقي والتشاور وتم ذلك عندما عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس سنة ١٨٧٣ م وتبع ذلك الكثير من هذه المؤتمرات التي يتدارس فيها المستشرقون خطط عملهم وتنظيم جهودهم بغية الوصول الى هدفهم المنشود الذي هو حلقة من سلسلة التآمر والكيد على الإسلام والمسلمين[٣].

ان هناك قاسما مشتركا بين هذين القرنين هو الاهتمام بالمدارس الاستشراقية الذي اتخذ الشكل المؤسساتي وقد تجلى في تعدد الجمعيات والمنشورات أهمها (الجمعية الاسيوية) المؤسسة في باريس سنة (١٨٢٢م) [٤] والتي اصدرت (المجلة الاسيوية) في عام (١٨٢٣م) ، ومن قانون المدرسة نجد المادة الاولى اذ نصت على : " انه ستقام في

---

(١) ناجي ، عبد الجبار ، تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي ، ص٩٥-٩٦ .

(٢) الزيادي ، محمد فتح الله ، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها ، ص٦٨ .

(٣) الخربوطلي ، علي حسني ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، ص٧٣-٧٤ .

(٤) ناجي ، عبد الجبار ، تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي ، ص٤٥ ؛ بيرنارد لويس ، حالة الدراسات المتعلقة بالشرق الاوسط ، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي ، (بيروت ، ١٩٩٤) ، ص١٣٧ ؛ الخربوطلي ، علي حسني ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، ص١٢٩ .

محيط الخزانـة الوطنيـة مدرسـة عموميـة وظيفتها تعليم اللغـات الشرقية الحيـة ذات النفـع المعترف به على السياسة والتجارة " [١].

ومن سمات الاستشراق في هذه المرحلة :

١-استمرار الاستشراق الفرنسي فـي اهتماماتـه بالدراسـات اللغويـة والآدبيـة وأكثر الاعلام تمثيلية لهذا العهد هو سيلفستر دي ساسـي (١٧٥٨-١٨٣٨م)[*] ، حيث نشر عـام ١٧٩٩م (التحفـة السنية فـي علـم العربيـة ، ولاميـة العرب للشنفري وترجمة البردة للبوصيري ، والنحو العربـي لاستعمال تلاميذ المدرسة العليا للغات الشرقية)[٢].

٢- توجه المدارس الاستشراقية الواسع نحو نشر المخطوطات العربيـة وتحقيقها وترجمـة البعض منهـا او التقديم للبعض الاخر ، ولكـن المأخذ البـارز علـى أعمـال المستشرقين خـلال هـذه الفتـرة هـو ان الاتجـاه نحـو تحقيـق او نشـر المخطوطـات كـان غيـر منسـق اذ نجد المستشرق ينشـر مخطوطـات تتعلـق بالشـعر والنحـو والتـاريخ والجغرافيـة ، دون التقيـد بفتـرة تاريخيـة معينـة او موضـوع مـن الموضـوعات خـلا مـا قـام بـه الـبعض القليـل مـنهم[٣]. فأخـذ المستشرقون الفرنسيون يبحثـون عن المخطوطـات المتعلقـة بـالتراث الفكري العربـي الإسـلامي والمحفوظـة فـي مختلـف مكتبـات اوربـا وجامعاتهـا العريقـة فضـلا عن مـا وصل الـى أوربـا مـن مخطوطـات اتـى بهـا بعض الرحالـة مـن الشرق ، فمثلا بـاع الفرنسـي غليوم بوستل (١٥٠٥-١٥٨١م) المخطوطات التـي حملهـا معه من رحلتـه الـى الشرق عام (١٥٣٦-١٥٤٧) الـى جامعة

---

(١) دوجا ، تاريخ مستشرقي اوربا ، ج١ ، ص٣١ .

(*) سليفستر دي ساسي : يعتبر شيخ المستشرقين الفرنسيين نظرا لالمامه بلغات شرقية كثيرة وتوليه لمناصب علمية مهمة سواء في حكم نابليون ام عهد الملك لوي فيليب كما ان فضليته تعزى الى تفانيه في نشر وتحقيق نصوص عربية وفارسية في الآدب والتاريخ ، اضافة الى عمله الرائد ذي الطابع العلمي والتعليمي للمزيد ينظر : العقيقي ، نجيب ، المستشرقون ، الجزء٢ ، ص٦٥٤-٦٥٥ .

(٢) ناجي ، عبد الجبار ، تطور الاستشراق ، ص٣٤ ؛ حميش ، سالم ، الاستشراق في افق انسداده ، ص١٩ .

(٣) نادر ، البيرنصري ، اهتمام المستشرقين بالفكر العربي الإسلامي القديم ، ص١١١ .

هيدبرغ في ألمانيا[1]. وقام المستشرقون الفرنسيون بنشر وترجمة البعض منها إلى لغتهم على نحو ما قام به المستشرق سوفاجيه[*] ، الذي ترجم نصوصا من كتاب (الدرر المختارة لابن الشحنة ومن بغية الطالب لابن العديم) ، والمستشرق هنري لاووست[**] ، الذي نشر كتاب (الشرح والابانة على أصول السنة والديانة ، مع مقدمة وترجمة فرنسية لهذا الكتاب – منشورات المعهد الفرنسي بدمشق – والكتاب لابن بطة العكبري (الإمام أبو عبد الله) وكتاب الذيل على طبقات الحنابلة) [2].

٣- ومن التوجهات الملحوظة التي تميز بها الاستشراق الفرنسي في هذين القرنين التوجه نحو دراسة الموضوعات العلمية في الحضارة العربية ، ومن ابرز الأمثلة على ذلك المستشرق الفرنسي كارا دي فو[***]، الذي اهتم بالرياضيات فترجم فصلا من كتاب التذكرة للطوسي وكتابا لأبي الوفاء البوزجاني ، فضلا عن دراسة سوفاجيه عن المدينة العربية الإسلامية حيث

---

(١)ناجي ، عبد الجبار ، تطور الاستشراق ،ص٣١-٣٢ ؛ العقيقي ، المستشرقون ، الجزء١ ، ص١٧١ .

(*) جان سوفاجييه (١٩٠١-١٩٥٠م) ، مستشرق فرنسي تعلم العربية في باريس واقام مدة في الشام ، له دراسات في التاريخ الإسلامي والآثار والفنون الإسلامية ، للمزيد ينظر : الموسوعة الميسرة ، ص١٠٣٤ .

(**) هنري لاووست ، مستشرق فرنسي تخصص في ابن تيمية وفي تاريخ الفرق الإسلامية عامة حول توجهه المثالي ينظر كتابه : الانشقاقات في الإسلام ، للمزيد ينظر : نجيب العقيقي ، المستشرقون ، الجزء١ ، ص٣١٩-٣٢٠ .

(٢) يحيى الجبوري (دكتور) ، المستشرقون والشعر الجاهلي ، مجلة الاستشراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، ١٩٨٧) ، السنة الاولى ، العددالاول ، ص٩٤ ؛ ناجي ، تطور الاستشراق ، ص٦٨ .

(***) البارون كارا دي فو (ولد سنة ١٨٦٧م) مستشرق فرنسي عني بالدراسات العربية عامة ، وبالفكر الإسلامي خاصة ، درس العربية في المعهد الكاثوليكي بباريس وعني بالرياضيات والفلسفة والتاريخ اكثر ماعني ، واشتهر به ، متعصب جدا ضد الإسلام ساهم بنصيب وافر في تحرير دائرة المعارف الإسلامية ، للمزيد ينظر : العقيقي ، المستشرقون ، ج١ ، ص٢٦٣-٢٦٤ ؛ الموسوعة الميسرة ، ص١٤١٩ ؛ السباعي ، مصطفى ، الاستشراق والمستشرقون مالهم ماعليهم ، ص٣٣ ؛ الزيادي ، محمد فتح الله ، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها ، ص٨١ .

كان رأيه متطرفا مفاده إن العرب قد دمروا المدن القديمة الموجودة واضروا بهيئتها العمرانية التخطيطية[١].

٤- بقيت التوجهات الدينية مستمرة لهذين القرنين ، فقد اتصفت المدارس الفرنسية الاستشراقية بارتباطها بالتبشير وخضوعها للتأثير الديني ، وهو استمرارية متعالية في هذا الاتجاه ، متمثلا بنصيب الرهبان الدومينيكان[٢] بارزا فالاب بوركويل الفرنسي نشر عددا من الرسائل في التصوف[٣]. وكتب الأب جاك جومييه في تفسير القرآن بمصر، والتعليم في المدرسة القرآنية ونصيب القرآن من الحياة اليومية للنصارى والمسلمين[٤].

٥-إن عددا من المستشرقين يجمعون بين اتجاهين : السياسي الدبلوماسي والاستشراقي المعرفي ، وان عددا ممن احتل مكانة في حقل الاستشراق في الثمانينات من القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الثانية كان يعمل بشكل بارز في الأجهزة الاستعمارية[٥]، فقد كان لويس مرسيه[٦] على سبيل المثال ، ضابطا فرنسيا ثم وزيرا مفوضا وقد كتب عن تطوان والرباط[٧].

---

(١) ناجي ، عبد الجبار ، موقف الاستشراق الامريكي من دراسة المدينة العربية الإسلامية ، مجلة الاستشراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، ١٩٨٧) ، السنة الاولى ، العددالاول ، ص١٣٦ .

(٢) الرهبان الدومينيكان : جماعة من رهبان الكاثوليك اسسها القديس دومينيك ١٢١٦م ، اسمها الرسمي (جماعة الوعاظ) ، بدأت الوعظ في جمهورية فرنسا لهدي الاليين ثم انتشرت حتى اصبحت لها ثمانية فروع في مختلف البلاد ، للمزيد ينظر : الموسوعة العربية الميسرة ، ص٢٢٨.

(٣) العقيقي ، نجيب ، المستشرقون ، ج٣ ، ص١٥٤ .

(٤)ناجي ، عبد الجبار ، تطور الاستشراق ، ص٧٩ .

(٥) حميش ، سالم ، الاستشراق في افق انسداده ، ص١٠ .

(٦)العقيقي ، نجيب ، المستشرقون ، الجزء٣ ، ص٥٠٣ .

(٧) الاعسم ، عبد الامير ، الاستشراق من منظور فلسفي عربي معاصر ، ص٢١ .

سادسا ـ المدرسة الاستشراقية الفرنسية في القرن(١٤هـ/٢٠م).

أما الاستشراق الفرنسي في القرن العشرين فانه نتاج المؤسسة الاستشراقية الذي ظهر في النصف الأول من القرن العشرين الذي يشير بوضوح لا لبس فيه ولا إبهام إلى إن النظرة الاستشراقية تجاه تاريخنا وحضارتنا لن تتغير وتدور الأطر أنفسها التي رسمها المستشرقون الرواد ذوو النظرة الأحادية الحاقدة التي تسعى الى تفرقة شعوب المنطقة العربية الإسلامية وتوسيع الهوة بينها[١].

وظهرت أبحاث استشراقية سعت إلى (قولبة) الظاهرة التاريخية بقالب يتفق مع ميولها وأهدافها ، ان هذه النظرة الاستعلائية المتحيزة نظرت الى المجتمع الأوربي على انه مجتمع عقلاني متطور أنساني وراق ونظرت الى المجتمع الشرقي العربي الإسلامي في كل العصور على انه مجتمع متخلف حضاريا وغير متطور سياسيا يحتاج الى من يوجهه ويرعاه ويكتب تاريخه[٢].

ومن النصف الثاني من القرن العشرين حصلت عوامل مؤثرة استطاعت ان تجعل الاستشراق يدخل في أزمة بأفكاره وأحكامه المسبقة التي لا أساس لها من العلم[٣]، ومن هذه العوامل الحربان العالميتان (الأولى والثانية) التي أضعفت ثقة الإنسان الغربي بتفوقه الحضاري والعقلي وجعلته يحس بنسبية موقعه وقيمه ، والعامل الآخر هو نمو حركات التحرر في الـ بلدان المُستَعمرة ونجاحاتها مما أدى إلى اضطراب في موضوع ومنهاج معرفة الغرب بالشرق وكذلك تطور العلوم الإنسانية من علم الاجتماع والاقتصاد واللسانيات ، هذا التطور ألغى هيمنة المناهج الاستشراقية التقليدية ، لذلك نجد الاستشراق قد اخذ الاعتبار والاتعاظ بهذه العوامل وحاول تجديده معرفيا وإنسانيا في إطار تعاوني ومن الملاحظ على هذه المرحلة أيضا هو الانخفاض الواضح في مستوى عمل المستشرقين ،

---

(١) فوزي ، الاستشراق وتاريخ العصر العباسي ، ص١٢٩ .

(٢) المرجع نفسه ، ص١٢٢ .

(٣) الخربوطلبي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، ص٨٢ .

إذ لم نعد نرى ذلك النوع من المستشرقين الذين يفنون أعمارهم في تحقيق مخطوط أو في جمع شتات مؤلف مندثر في أماكن متفرقة .

أما من حيث منهج الاستشراق الفرنسي فهو يسير على المنهج نفسه الذي بدأ به، وهو ارتباط المستشرق بالدوائر الاستعمارية والكنيسة لا يزال قائما حتى الآن ، بل ربما زاد هذا الارتباط كثيرا نتيجة للدعم من الحكومة ، الذي استطاع معه المستشرق تغيير أسلوبه ووسائله وتطويرها بتطور الظروف والأحوال(١).

---

(١) الزيادي ، محمد فتح الله ، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها ، ص٧٣-٧٤ .

المبحث الثالث

واقع الأستشراق الفرنسي الجديد ودراسة المستشرقين لتاريخ الأندلس

برز الأستشراق الفرنسي الجديد ، كما أوضحنا سابقا ، في منتصف القرن العشرين ، ولا يمكننا فهمه إلا إذا وضعناه ضمن إطاره العام من الصراع الكائن بين الشرق والغرب ، فالخطاب الجديد أصبح أكثر فتكا وفعالية من الأسلحة المادية الحقيقية وأصبح الأستشراق الفرنسي يبدو باردا هادئا متزنا وأحيانا متغطرسا ، فهو الواثق من علمه وحجته لان الغرب هو الغالب والمسيطر ليس فقط اقتصاديا وتكنلوجيا وسياسيا وعسكريا ومنهجيا ومعرفيا ، لذا فان الجيل الجديد منه استخدم أحدث المنهجيات والمصطلحات[(١)].

مميزات الاستشراق الفرنسي الحديث

هناك عدة عوامل ميزت الأستشراق الفرنسي الحديث يمكن إجمالها بما يأتي :

١- التطورات السياسية العالمية ونهوض حركة التحرر الوطني والقومي في المنطقة العربية[(٢)]، لقد واكب الأستشراق الفرنسي مرحلة الاستعمار للبلاد العربية واستطاع الفرنسيون أن يوفقوا بين المعرفة والسلطة ، وعدّوا من الخطأ إدانة المعرفة بشكل مطلق لأنها لا يمكن أن توجد من دون السلطة ، وكذلك لم يطبقوا أوامر السلطة على العلم والمعرفة أي عد المعرفة مجرد خادم مطيع للسلطة ، وهذا ما أوضحته المدرسة الأستشراقية الفرنسية عن طريق ما أنتجته من الدراسات عن قضايا إسلامية ،واجتماعية ،واقتصادية ، ودينية معاصرة ،

---

(١) هاشم صالح ، الأستشراق بين دعاته ومعارضيه ، دار الساقي ، (بيروت، ١٩٩٤) ، ص١٣ .

(٢) ناجي ، تطور الأستشراق ، ص٧٤ .

وما جاء على لسان المستشرق روبير منتران(*): " لئن اعترف البعض بان السياسة الاستعمارية الفرنسية قد استخدمت الأستشراق بشكل او بآخر لأغراض ترمي إلى السيطرة ، وبهذا المعنى فان بعض المفكرين العرب من بلدان حصلت مؤخرا على الاستقلال ، اتهموا الأستشراق الفرنسي بصفته قاعدة استخدمت لضمان السيطرة والاستعمار ، فيمكننا القول ان غالبية المستشرقين الفرنسيين لم يشجعوا عادة الاستعمار ، وانهم كثيرا ما قاموا ضد مواقف الجهل والاستهان والسيطرة السياسية والثقافية التي كان يحاول بعض مواطنيهم تصعيدها ، وذلك لمعرفتهم بحقيقة العالم العربي الإسلامي " (١).

يستدل منه إن تحرر البلدان المستعمرة من هيمنة الغرب المباشرة قد أدى إلى تصدع المحورية الغربية ، عن طريق تحويل مواضيع البحث الأستشراقي الجديدة التي أتت لتستجلي وتعرض في واضحة النهار تلك الأخطاء والعثرات التي كانت تخلق عند أصحابها ما يشبه العمى او غياب اليقظة المعرفية والتاريخية أمام مبادئ النزعات الإنسانية التحررية ، لذلك قام المستشرقون الفرنسيون بإعادة بناء الأستشراق على ضوء أوضاع العالم الجديد الذي يمثل السلطة المعرفية في نسيج تلك المحورية .

٢- ان إحياء العلوم الإنسانية المتنامية ، وانتعاشها بحيث انها أحدثت في أفق المستشرقين الفرنسيين الفكري والمعرفي صدمة مؤثرة أدت بهم الى الوقوف على وجوه القصور في مدارك الأستشراق التقليدي وفي أدواته ومناهجه ، والذي عبر عنه المستشرق الفرنسي العالم لويس ماسينيون(*)

(*) روبير منتران ، مستشرق فرنسي معاصر ، اهتم بالدراسة العربية الإسلامية ، زار الجامعات العراقية في الثمانينات من القرن العشرين وقدم بحثا بعنوان (الأستشراق الفرنسي اصوله وتطوره وآفاقه) ، مجلة الأستشراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، ١٩٨٧) ، ، السنة الاولى ، العدد الثاني ، ص٣٢-٣٨ .

(١) منتران ، روبير ، الأستشراق الفرنسي اصوله وتطوره وآفاقه ، ص٣٨ .

(*) لويس ماسينيون : مستشرق فرنسي درس في باريس وتونس والجزائر ، رحل الى بلاد إسلامية كثيرة طلبا للعلم وبحثا عن المخطوطات درس في السوربون والكولج دي فرانس والجامعة المصرية القديمة ، عضو مجامع علمية عدة منها مجمع اللغة

(١٨٨٣-١٩٦٢) في خطابه الفرنسيين موضحا عجزهم بان يصيروا ضيوفا روحيين للإسلام الذي يريد أعضاؤه العيش معا – كونهم- لم يتوقفوا في إدراك البنية المشعة للحياة ولا ارتكازها على التعلق المتبادل ، هذه الحياة التي يشرحونها بعلمهم الوافر المتأتي[١].

وماسينيون يعد أول مستشرق وضع الأستشراق على محك العلوم الإنسانية واكبر مستشرقي فرنسا المعاصرين ، ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمالي أفريقيا ، " كان يطالب في تجديد مناهج المستشرقين في البحث العلمي ، على الرغم من تكريسه لبعض عناصره الذهنية الأستشراقية التقليدية ، فان من الإنصاف القول بانه بحساسيته الإنسانية القوية وثقافته الموسوعية العالية المتفتحة ، استطاع ان يجدد الأستشراق ، من خلال مقالات عديدة في السوسيولوجيا الحضرية واللسانيات وعلم النفس والتاريخ "[٢].

وقام ماسينيون بنشر عدد من المخطوطات عن الحلاج والتصوف ، وبقي الإسلام وثقافته عنده هو الموضوع الأساسي " فهو دين ابراهيمي توحيدي يندرج بتأكيد على الإيمان تحت نسق متكامل مع اليهودية ديانة الأمل والنصرانية ديانة الإحسان " [٣]. لذلك نرى ماسينيون قد تميز عن سابقيه بقدرات إبداعية واسعة الأفق قلما تحصل حتى عند العلماء من صنفه ، وعلى الرغم من نزعاته التجديدية لكنه لم يستطيع التخلص من عدائه وبشكل غريزي للجدلية التاريخية بدعوى ظاهريتها وماديتها . ويتجلى ذلك في حواره مع تلميذه جاك بيرك حول العرب فيقول : " مشكل مستقبل العرب يلزم وضعه في السامية ،

العربية ، عني بالدراسات العربية منها (مراكش في القرن١٦م) وفقا لما اورده ابن الوزان الافريقي ، للمزيد ينظر : العقيقي ، نجيب ، المستشرقون ، ج١ ، ص٢٨٧-٢٩١ ؛ الموسوعة الميسرة ، ص١٦٢٤ .

(١) لويس ماسينيون ، شوق الحلاج ، (باريس ، ١٩٢٢) ، ج١ ، ص٤٦٥ .

(٢) حميش ، سالم ، الأستشراق في افق انسداده ، ص٧٥-٧٦ ؛ السباعي ، الأستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم ، ص٣٧

(٣) لويس ماسينيون ، الاعمال الصغرى ، نصوص جمعها ياسين مبارك ، دار المعارف ، (بيروت ، ١٩٦٣) ، الجزء١ ، ص٢٣١ .

وان في عمق صعوبات العرب هناك هذه الصعوبة المأساوية وهي هذه الكراهية القاتلة بين الأخويين إسرائيل وإسماعيل وأرى ان من الضروري تخطيها "[1].

وهذا القول يؤكد المظاهر اليهودية التي ظهرت في الدراسات الأستشراقية الفرنسية خدمة للصهيونية في المجتمع العربي ونشاطاتهم الاقتصادية والسياسية ، وهنا بالتحديد نلاحظ ان ماسينيون بمنهجه التذوقي الاستيطاني قد ظل على الرغم من نزعته التجديدية وثيق الصلة بالأستشراق التقليدي الديني الاستعماري العدائي للإسلام[2].

سمات المدرسة الاستشراقية الفرنسية الحديثة

بعد هذا الاستعراض الموجز والعام للاستشراق الفرنسي يمكن ان نحدد سمات المدرسة الأستشراقية الفرنسية بالاتي :

١- ان زعامة فرنسا للحملات الصليبية[*] واحتضانها للكثلكة واسترداد بيت المقدس من المسلمين تجسدت في نفوس الفرنسيين الذين أصدروا من خلالها أحكامهم على الإسلام والمسلمين وفي معاملاتهم للمسلمين وفي توجيه سياستهم نحو المسلمين الخارجين عنها[3]. فقد سعت المدرسة الأستشراقية الفرنسية إلى إسقاط الدين من حسابهم كثيرا أو قليلا بحجة أن هؤلاء القوميين لايرون في الدين مقوما من مقومات الحياة السياسية بينما بعضهم الآخر يخاصمون الدين مخاصمة شديدة والمقصود بالدين هنا الإسلام وحجة هؤلاء

---

(١) ماسينيون ، الاعمال الصغرى ، الجزء٣ ، ص٦١٠ .

(٢) ناجي ، تطور الأستشراق ، ص٧٠ ؛ حميش ، سالم ، الأستشراق في افق انسداده ، ص٧٥ .

(*) الحملات الصليبية ، سلسلة حروب شنها المسيحيون الاوربيون بين القرنيين (١١-١٤م)لاستعادة الاراضي المقدسةوبخاصة القدس من المسلمين . للمزيد ينظر ، الموسوعة الميسرة ،ص٧٠٩ .

(٣) البهي ، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، ص٥٠ .

القوميين إن البلاد العربية تضم مذاهب واديانا مختلفة فيها مسلمون ونصارى ويهود[1].

لذا نجد أن المدارس الفرنسية تتبع سياسة واحدة دائمة وقيادة لا تسعى إلى استغلال النشاط القومي في تعليم أهل البلاد ولا تسعى الى إبراز الخصائص الوطنية ، حيث تفتح أبوابها لأبناء البلاد التي تكون فيها ، ولكنها تجهد في ان تجعل من أبناء البلاد الذين تعلمهم سواء أكانت تلك البلاد مراكش أم مصر أم السودان أم إيران أم الهند الصينية أشباها لأبناء فرنسا نفسها في المظهر واللغة وأسلوب التفكير والتعلق بفرنسا المستعمرة " أي ان المؤسسات الفرنسية تختلف عن المؤسسات الأجنبية الأخرى في إنها تحمل اسمها على ثيابها "[2].

٢- لعب المستشرقون الفرنسيون دورا أساسيا في إعداد الدراسات على التراث العربي الإسلامي ، ومما يجدر ملاحظته إنها ركزت على مدن منطقة شمال أفريقيا ويضمنها مصر ثم تأتي مدن بلاد الشام (سوريا) بالدرجة الثانية ، أما المدن العراقية فإنها كانت بالدرجة الثالثة من حيث كمية هذه الدراسات ونوعيتها[3].

٣- أخذت المدارس الأستشراقية الفرنسية مجال تحقيق ونشر المخطوطات او ترجمتها إلى لغات أجنبية مختلفة نحو التركيز على تخصص معين فكان أكثرهم تخصص بتحقيق أو دراسة أو ترجمة المخطوطات المتعلقة بسوريا

---

(١) مصطفى الخالدي وعمر فروخ ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص١٧٨ .

(٢) محسن جاسم الموسوي ، "مدخل للمثقفين العرب للاستشراق" ، مجلة الأستشراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد، ١٩٨٧) ، السنة الاولى ، العدد الثاني ، ص٨ ؛ الخالدي ، مصطفى ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص١١٢-١١٤

(٣) عبد الوهاب ابو حديبة ، " الحياة الاجتماعية الإسلامية كما صورها بعض المستشرقين" ، مناهج المستشرقين ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، (جامعة الدول العربية ، د.ت) ، ص١٤٣ .

ومصر وشمال أفريقيا وقد أنتج الأستشراق الفرنسي مستشرقين مشهورين أمثال ماسينيون وسوفاجيه وغوستاف لوبون وغيرهم[1]. كما قام عدد آخر من المستشرقين الفرنسيين بترجمة بعض الأعمال الفلسفية إلى الفرنسية ومثال ذلك المستشرق الفرنسي آرنست رينان (١٨٢٣-١٨٩٢م) الذي قام بترجمة ابن رشد والرشدية إلى الفرنسية (باريس ١٨٨٢) [2].

٤- تزايد اهتمامات الأستشراق الفرنسي بالفرق والمذاهب الإسلامية في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية فأنتجت مدرسة الأستشراق الفرنسي عددا من الدراسات عن قضايا إسلامية اجتماعية واقتصادية حديثة ومعاصرة مثل كتب جاك بيرك ، أستاذ التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر في كولج دي فرانس[3]، حيث كانت جميع الفرضيات والتخريجات التي يطرحها هي فرضيات موضوعية غير مرتبطة بمصلحة سياسية وقد حظيت بالكثير من التقدير والاحترام[4].

٥- للاستشراق الفرنسي اهتمام متميز في دراسات المدن الإسلامية ، فلو أحصينا ما تم تأليفه من كتب وبحوث عن المدن العربية خلال الفترة الإسلامية والفترات الحديثة لوجدنا أن الدراسات الفرنسية تمثل نسبة عالية مقارنة بالدراسات الألمانية والإنجليزية وغيرها[5].

---

(١) الخربوطلي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، ص٢٩-٣١ .

(٢) احمد حسن الرحيم ، "المستشرق الفرنسي آرنست رينان ونظرته الى اللغة والفلسفة" ، مجلة الأستشراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، ١٩٨٧) ، السنة الاولى ، العدد الثاني، ص٣٩-٤٢ .

(٣) العقيقي ، المستشرقون ، الجزء١ ، ص٢٥٤-٣١٥ .

(٤) فوزي ، الأستشراق وتاريخ العصر العباسي ، ص١٣٠ .

(٥) ناجي ، مو قف الأستشراق الامريكي من دراسة المدينة العربية الإسلامية ، ص١٣٤ .

الأستشراق الفرنسي واهتمامه بتاريخ الأندلس

ان الأستشراق الفرنسي قد بدأ منذ العصور الوسطى الإسلامية حينما كان العرب المسلمون يحكمون أرجاء كثيرة من شبه جزيرة ايبيريا (بلاد الأندلس : أسبانيا والبرتغال اليوم)[١] وفي فرنسا وايطاليا وصقلية وجزر البحر المتوسط حينها أقدم الأوربيون ومنهم الفرنسيون على الاقتباس من حضارة الشرق العربية الإسلامية التي أصبحت أساس نهضة القارة الأوربية[٢].

حينئذ اخذ الفرنسيون ما يناسب احتياجاتهم ويسد الفراغ الموجود عندهم من حضارة العرب التي كانت من المرونة والواقعية ما جعلها تناسب الشعوب على اختلاف بلادها وأجناسها وثقافتها[٣].

ازداد الاهتمام بالحضارة العربية في فرنسا بشكل علمي منظم وذلك عندما بدأت بإرسال بعثات علمية الى بلاد الأندلس العربية لدراسة العلوم والفنون والصناعات في معاهدها الكبرى نتيجة ذيوع شهرة الأندلس وحضارتها الزاهرة في فرنسا وأسبانيا ونذكر – على سبيل المثال– البعثة الفرنسية برئاسة الأميرة اليزابيث ابنة خالة لويس السادس (٤٦٥-٥٠٢هـ/١٠٧٢-١١٠٩م) ملك فرنسا وتوالت البعثات الفرنسية الى الأندلس وامتلأت بهم معاهد غرناطة واشبيلية[٤].

فقد حفظ عرب الأندلس في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي العلوم والآداب التي أهملت في كل مكان من البلاد ولذلك كان يقصدها الفرنسيون المتعطشون للعلم

(١) عبد الله بن عبد العزيز ابو عبيد البكري (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ، جغرافية الأندلس واوربا ، تحقيق : عبد الرحمن علي الحجي ، (بيروت،١٩٦٨) ، ص٥٩ .

(٢) الخربوطلي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، ص٢٨ .

(٣) توماس ارنولد ، الدعوة للإسلام ، ترجمة: حسن ابراهيم حسن ، (القاهرة ، ١٩٥٧) ، ص١٥٤ ومابعدها .

(٤) ابن عذارى ، البيان المغرب ، الجزء٣ ، ص٢٣٢ ؛ المقري ، نفح الطيب ، الجزء ٤، ص٣٥٢ ؛ الخربوطلي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، ص٢٩ .

والمعرفة كالمستشرق الفرنسي باسيه[*] الذي اهتم بالدراسات اللغوية في شمال إفريقيا فألف عدة مقالات عن اللهجة البربرية . والفرنسي (كازانوفا)[**] الذي عمل في مجال التحقيق والنشر بما يتعلق بمصر وشمال أفريقيا وسوريا ودرس عن الفاطميين وترجم خطط المقريزي وألف في تخطيط مدينة الفسطاط ، وترجم (فانيان) [***] المعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي والموحدي وبني حفص للزركشي ، والبيان المغرب لابن عذارى ثم الجزء الخاص بالمغرب وأسبانيا من تاريخ ابن الأثير (الكامل في التاريخ) .

في نهاية الفصل يمكن ان نقول ان الأستشراق الفرنسي : حركة واسعة النطاق متشعبة الفروع تختلف باختلاف السنين أي ان زمان مرحلة تختلف عن الأخرى من حيث الاتجاهات والدوافع والأهداف ، وقد أسهم بها ألاف من المستشرقين عبر العصور التاريخية المختلفة .

أما أصناف هذه الحركة فإننا نشاهد هناك من قدم نتاجا علميا ضخما أفاد به البشرية عامة والشرق خاصة ، ومنهم من كان انتاجه وجهده متواضعا فقد أسهم به في وضع لبنة او لبنات في بناء تاريخ الأندلس[1] ولكن يهمنا في تقييم هذه الجهود ما اتصفت به من الإنصاف او الإجحاف فقد انصف الكثير من المستشرقين الفرنسيين الإسلام ، وحركة الفتح الإسلامي في شمال افريقيا والمغرب الإسلامي وعملية الفتح في شبه الجزيرة الايبرية وأوضحوا الأثر الفاعل للحضارة العربية فيها ولكن القسم الآخر

(*) رينيه باسيه (١٨٥٥-١٩٣٤م) مستشرق فرنسي عمل استاذا للغة العربية في الجزائر عام ١٨٨٢م ، من آثاره (الشعر العربي قبل الإسلام)(، (باريس ، ١٨٨٠م) ونشر قصيدة بانت سعاد وفتوح الحبشة لاحمد بن عبد القادر ، للمزيد ينظر : الموسوعة الميسرة ، ص٣١٢ .

(**) بول كازانوفا (ت١٩٢٦م) ، مستشرق فرنسي تعلم العربية وعلمها في الكولج دي فرانس وحاضر في الجامعة المصرية ١٩٢٥م ، من آثاره ترجمة خطط المقريزي بالاشتراك مع ورياك (باريس ١٨٩٣-١٩٢٠) ، له بحث عن تاريخ القلعة ووصفها وله كتاب محمد ونهاية العالم (باريس ، ١٩١١م) ، للمزيد ينظر : الموسوعة الميسرة ، ص١٤٢٥ .

(***) فانيان (١٨٤٦-١٩٣١م) : ولد في ليج ببلجيكا وتخرج باللغات الشرقية من باريس وكلف بالقاء محاضرات عن الدراسات الإسلامية في كلية الآداب بالجزائر فاضطر الى ترتيب فقه سيدي خليل للمزيد ينظر : العقيقي ، المستشرقون ، الجزء١ ، ص٢٣٦-٢٣٧ .

(١) الزيادي ، محمد فتح الله ، ظاهرة انتشار الإسلام ، ص١٠٩-١١٤ .

دفعهم تعصبهم أو حقدهم أو جهلهم أو تقصيرهم إلى الإساءة والاجحاف والجحود[١] ، لذا يمكن أن نصنّف المستشرقين الفرنسيين وبحسب الأعمال التي تناولوها الى قسمين:

أ- المستشرقون المنصفون

وهم الذين اتخذوا من الأستشراق علما قائما بذاته ، ووهبوا له حياتهم وضحوا من اجله بالكثير من جهدهم ووقتهم ومالهم ، بل ربما عاد عليهم الأستشراق بالأضرار أحيانا فبوستل كان اعلم مستشرق في عصره يجله الملوك والأمراء اعتقل في سبيل الأستشراق كما لقي (بالمر) مصرعه خلال عودته من سيناء ، وقد قام بنشر ديوان البهاء زهير متنا ، وترجم شعره إلى الإنجليزية[٢] ومن المحسنين نذكر أولئك الذين جمعوا المخطوطات العربية وحفظوها ثم فهرسوها في قوائم وسهلوا سبيل الوصول إليها ، ومنهم من طبع المصادر العربية في أنحاء أوربا[٣]، كالمستشرق الفرنسي إتيان مارك اكاترمير[*] (١٧٨٢-١٨٥٧) ، الذي بدأ نقل مقدمة ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) الى اللغة الفرنسية ، ومات ولم يكن قد اتم نقلها فاتم نقلها بعده البارون دي سلان[**] (١٨٠١-١٨٧٩م).

(١) الخربوطلي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، ص١٠٧-١٢١ .

(٢) العقيقي، المستشرقون، الجزء٣ ، ص ١٤٩ .

(٣) فروخ ، عمر ، المستشرقين ما لهم وما عليهم ، ص ٥٦؛ احمد ، شلبي ، الإسلام ، ط ٥ ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة ، ١٩٧٧) ، ص ١٩٨ ،

(*) اتيان مارك كاترمير ، مستشرق فرنسي ولد ومات بباريس وتتلمذ على دي ساسي عمل بالمكتبة الاهلية بباريس ، استاذ الساميات ثم الفارسية .ترجم الى لفرنسية شطرا من كتاب السلوك لمعرفة الدول والملوك للمقريزي، ومقامات الحريري، ونشر امثال الميداني الف مجلدين عن اللغة العربية وآدابها وجغرافيتها وله ابحاث عن جغرافيي العرب ومؤرخيهم وعاداتهم ونشرها بالمجلة الاسيوية ، للمزيد ينظر: العقيقي ، المستشرقون ، الجزء١ ، ص١٨٤ ؛ الموسوعة الميسرة ، ص١٤١٦

(**) البارون دي سلان : ملك جوكان (ت١٨٧٩م) ، مستشرق فرنسي من اصل ايرلندي تتلمذ على دي ساسي ، من آثاره نشر ديوان امريء القيس وتاريخ ابن خلدون التي بدأها اكاترمير ، واعداد فهرس المخطوطات العربية في المكتبة الاهلية بباريس ، ينظر : الموسوعة الميسرة ، ص٨٢٥ .

فكان لهذا النقل أثره البالغ في بحوث فلسفة التاريخ في أوربا ، بعد ذلك نقلها روزنثال اليهودي الألماني بعد خروجه من ألمانيا إلى اللغة الإنكليزية وبعمله هذا يكون قد صحح مسير التفكير الإنساني في العالم[١].

ومن منشورات اتيان الأخرى كتاب الروضتين في أخبار الدولتين (لابي شامة) وسر الخليقة (لبلنيوس الحكيم) والقصائد السبع المعلقات والبرق اليماني ومطالع النيرين والتيجان وبلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام ، أما منشورات (دي سيلان) فهي ديوان امريء القيس والجزء الأول من وفيات الأعيان (لابن خلكان) والجزء السادس من أخبار البربر في تاريخ ابن خلدون والزيج الحاكمي[٢].

ويعد ليفي بروفنسال (١٨٩٤-١٩٥٦م) من المستشرقين الفرنسيين المحسنين ، لانه كان أحسن من كتب في تاريخ وحضارة الأندلس حتى اليوم ، وله تاريخ عام للأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية في قرطبة ، (جزءان للتاريخ وثالث للحضارة) نشره تحت عنوان (تاريخ أسبانيا المسلمة) الى جانب ما نشره من مخطوطات وأبحاث متفرقة التي سوف تكون موضع دراستنا هذه[٣].

ب- المستشرقون المسيئون

وهناك فئة أخرى من المستشرقين الفرنسيين أساءت إلى الحضارة العربية الإسلامية ولكن إساءتهم تتفاوت أيضا فالذين أساءوا عفوا أو كانت لهم إساءات محدودة تدور في دائرة ضيقة وقد قدموا أنتاجا قيّما أفاد المكتبة الإسلامية

---

(١) فروخ ، عمر ، المستشرقون مالهم وما عليهم ، ص٥٩ .

(٢) كرد علي ، محمد ، أثر المستعربين من علماء المشرقيات ، ص٤٤٢ .

(٣) العقيقي ، المستشرقون ، الجزء١ ، ص٢٧٥-٢٨٢ .

والعربية (وهؤلاء معذورون) أو قصدوا وكانت أساءتهم عن عمد عبروا بها عن نواياهم الخبيثة في إصرار وساقوا الأدلة المزيفة لإثبات اتهاماتهم[١] .

كان هؤلاء يتصفون بجانب كبير من الدهاء والذكاء والمكر وهؤلاء كثيرون جدا فهم يعمدون إلى تقليب صفحات المصادر العربية القديمة ليجدوا ثغرات ينفذوا منها إلى أغراضهم المغرضة ،وقد يجدون مثل هذه السطور في المصادر الضعيفة أو القليلة الأهمية أو يلجا المستشرق إلى التأويل فيحمل الروايات العربية ما لا تحتملة[٢]، ومن المستشرقين المسيئين لويس ماسينيون حيث كان مستشارا للشؤون الشرقية في وزارة الخارجية الفرنسية فالعنصر السياسي (او الاستعماري) فيه ليس غائبا[٣]، وكان الراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر فقد زار العالم الإسلامي اكثر من مرة وخدم في الجيش الفرنسي خمسة سنوات في الحرب العالمية الأولى[٤] أما الآخر فهو هنري لامانس (١٨٦٢-١٩٣٧م)[*]، الذي على الرغم من انه قدم الى المكتبة الإسلامية كثيرا من الكتب ذات القيمة العلمية والجهد العميق لكن من المؤرخين العرب المسلمين قد نقدوا مؤلفاته ، منهم الأستاذ محمد كرد علي الذي نقده في كتابه (الإسلام والحضارة العربية) ، فكان مما قال عنه : "عاهد لامنس تاريخ الإسلام على مناقضته وتمخض للحط من قدر العرب منذ عرفوا بين الأمم ، لقد نسي لامنس وبعض جماعة اليسوعيين

(١) الخربوطلي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، ص١٠٧ .

(٢) الزيادي ، محمد فتح الله ، ظاهرة انتشار الإسلام ... ، ص٨٠ ؛ الخربوطلي ، علي حسني ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، ص١٠٨ .

(٣) فروخ ، المستشرقون مالهم وما عليهم ، ص٦٠ ؛ الخطيب ، عمر عودة ، لمحات في الثقافة الإسلامية ، ص١٩٢ .

(٤) السباعي ، الأستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم ، ص٣٧ .

(*) هنري لامنس ، مستشرق بلجيكي المولد فرنسي الجنسية لبناني الاقامة ، راهب يسوعي شديد التعصب على الإسلام ، يفتقر افتقارا تاما الى النزاهة في البحث والامانة في نقل النصوص وفهمها ويعد نموذجا سيئا جدا للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين ، للمزيد أنظر : عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص٣٤٧-٣٤٩ ؛ العقيقي ، المستشرقون ، الج١ ، ص١٠٦٩-١٠٧١ .

المتحتم عليهم أمانة العلم ، فأخذوا منذ القوا رحالهم في الشرق يحرفون آيات القرآن ويحذفون من كتب المسلمين مالا يروقهم" [1].

أما منهجه فهو اعلم المستشرقين الفرنسيين بتاريخ الدولة الأموية وكان واسع الإطلاع في هذا الموضوع ولكنه لم يسلم من تعصب صارخ يكاد ينادي على نفسه ، أما طريقته بالاستنتاج والاستقراء والتقصي والتحليل والتنظيم فهي طريقة عملية يجب أن يتعلم منها المتصدون منا لكتابة التاريخ[2].

وبعد هذا الاستعراض للاستشراق الفرنسي واهتماماته بالشمال الأفريقي والأندلس والحضارة العربية فيها نرى انه يشكل بحد ذاته احد الفصول المشرقة للحضارة والثقافة الأوربية في العصر الوسيط والحديث ، وقد كتب بتفاصيله ان لم يكن بمجموعه من قبل مؤلفات يمكن اعتبارها بمثابة بيان ختامي لنتائج المحصلة ، وقد حمل بذلك الى تلك الأرض الأجنبية رؤيته الخاصة للحضارة والتاريخ للسياسة والدين ،للمجتمع والشعر[3].

وقد شهد الأستشراق الفرنسي فضلا عن هذا التطور الداخلي المرتبط بتطور الفكر التاريخي والفلسفي والديني للغرب تطورا خارجيا ناتجا عن نموه الخاص على وجه التحديد ، لقد شهد تنوعا اختلافيا وتعميقا لخطه الذي اتجهه ، ولقد عدّ في البداية كعلم واحد متكامل ثم سرعان ما انقسم إلى فروع وتخصصات مستقل بعضها عن البعض ومتعلقة بمختلف الحضارات الخاصة بالشرق ، وراح التخصص يفرز هذه التخصصات شيئا فشيئا بعضها عن البعض ثم يقسمها إلى تخصصات أدق وربما بالغ في ذلك لأنه كاد ان يهدد الرؤيا التاريخية الصحيحة للأشياء[4].

---

(١) كرد علي ، الإسلام والحضارة العربية ، ط٣ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة) ، ج١، ص٣٠-٣١ .

(٢) الخربوطلي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، ص١١٠ ؛ السباعي ، الأستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم ، ص٣٩-٤٠ .

(٣) الحسيني ، اسحاق موسى ، الأستشراق نشأته وتطوره واهدافه ، ص١٩ ؛ الخربوطلي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، ص١٣٦ ؛ بانوش داينتسكي (دكتور) ، " الأستشراق بين الشرق والغرب" ، ترجمة عدنان مبارك ، مجلة الأستشراق ، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد ، ١٩٨٧) ، السنة الأولى ، العدد الأول ، ص٥١-٥٣ .

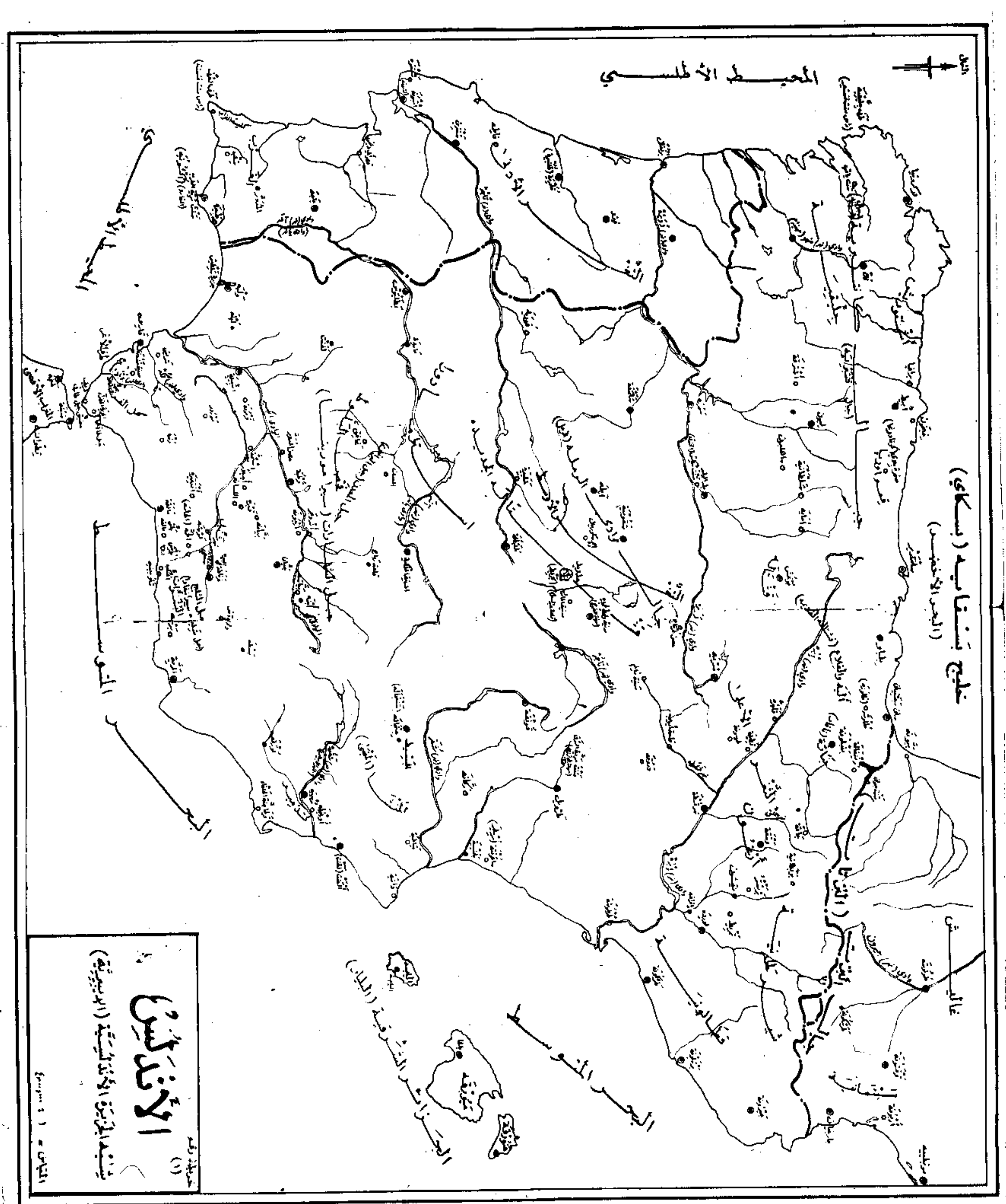
(٤) جاك بيرك (دكتور) ، خطابات عربية في الحاضر ، جاليمار ، (باريس، ١٩٧٤) ، ص١٣ .

لهذا السبب فان الجمعية الآسيوية الفرنسية مع كل مجلاتها المشهورة قد سمحت بان يوجد إلى جانبها مراكز دراسات أكثر حداثة وتخصصا او خصوصية ، كما أسهمت في نشر مطبوعات متعلقة ببحوثها الخاصة بالأندلس ومنذ مؤتمر باريس الأول سنة ١٨٧٣م ، تتابعت المؤتمرات بعد ذلك حتى بلغت أكثر من ثلاثين مؤتمرا دوليا والتي تجمع كل ثلاث سنوات حشدا كبيرا من المولعين بالدراسات العربية والحضارة الإسلامية في الأندلس من وجهة النظر هذه يمكن القول أن التسمية النوعية القديمة (الأستشراق) قد أصبحت مدعوة للانقراض أو أصبحت في أزمة ضيقة كما يقال[١] وانه من العبث التصدي لرؤيتهم الخاطئة التي كونوها وأشاعوها سلفا ، وما علينا إلا تجديد تعاملنا مع الأستشراق بصورة عامة والفرنسي بصورة خاصة ، تارة على أساس حصره في نطاقه النافع أو تحويله إلى (موضوع ندرس من خلاله ذهنية واضعيه ونشهده عليهم) وذلك عن طريق بذل مجهود عريض وواسع من اجل بلورة تراثنا القومي وإضاءة عتماته ومركباته عن طريق سبر أغوار تراثنا غير المحقق وإخراجه من غياهب المخطوط والأرشيف حيث إن هناك مالا يقل عن أربعين ألفا من المخطوطات العربية ، مازالت في حوزة الخزانات الأوربية بوصفها ملكية خاصة نالتها القوى الاستعمارية عن طريق الشراء والنهب ، وباكتشاف تراثنا يمكن ان نتحرك من جديد للدفاع عنه أو الرد عليهم[٢].

---

(١) فرانسيسكو غابريلي ، ثناء على الأستشراق ، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي ، (بيروت ، ١٩٩٤) ، ص٢٢ .

(٢) جحا ، ميشال ، موقف العرب من المستعربين ، ص٤٢ ؛ عبد القادر حاتم (دكتور) وآخرون ، القومية العربية والاستعمار ، دار المعارف (مصر ، ١٩٥٧) ، ص١٢٠ ؛ محسن جاسم الموسوي ،" لماذا الثقافة المقارنة "، مجلة الأستشراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، ١٩٨٧) ، السنة الأولى ، العدد الأول ، ص٦ .


المحيط الأطلسي

الفصل الثاني

افريست ليفي بروفنسال

حياته وبناؤه الفكري

المبحث الأول

أ- مولده ونشاته :

أفاريست ليفي برفنسال[١] لم يثبت مكان ولادته في أي مذكرة من وثائقه وأعماله المشهورة ، ويذكر احد أصدقائه عنه في ذكرى وفاته ما يأتي : " حتى كانون الأول ١٩٣٤ للميلاد كنا نعتقد بانه مولود في قسنطينة (Constantina) ، لكن في الأخير أتضح انه ولد في الجزائر (Argel) عام ١٨٩٤ م " [٢].

أن ليفي بروفنسال ما كان يروق له الحديث عن أصوله ، وعن المراحل الأولى من حياته ، ويبقي عالمه الطفولي وصباه وشبابه غير معروف من خلال نفسه الملتفة في ضليل متعمد ، وهذا السكوت كان احد الدوافع الجوهرية لعذابه النفسي ، وكذلك كان غير معجب باسمه الأول افاريست (Evarist) لذلك كان يختصره (E)[٣] ونتيجة لهذا الغموض فقد دارت الشكوك حول شخصيته وكذلك حول دينه أو عقيدته ويذكر :" انه يهودي من مواليد الجزائر ، ومن ثم فهو اقرب إلى بعض العلماء العرب الذين نهجوا أو مالوا نحو منهج التفكير الاستشراقي " [٤] .

وقد اختار أصدقاءه على التوافق الفكري فكان لا يهمه العرف او الدين ، والشيء الوحيد الذي كان يفتخر به كان هذه الصداقة الوثيقة التي ربطته مع غرسيه غوس فقد ذكر غوس : " إن صحبتنا وعلاقتنا القوية معه التي أدت الى رفع الألقاب على الطريقة الأسبانية ، فقمنا أنا وزوجتي بالبحث عن لقب لطيف نطلقه عليه وخصصنا لقب دون

---

(١) رجيس بلاشير ، " ليفي بروفنسال " ، مجلة اربيكا ، (باريس ، ١٩٥٦) السنة الاولى ، الجزء ٣ ،ص١٣٣ بالفرنسية .

(2)Garcia Gomez : (Levi Provencal , 1894-1956) Al-Andalus , Madrid ,Granad , 1956 ,V.XXI,P.11.

(3)Ibid , P.11.

(٤) الشكعة ، مصطفى ،" مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية في الأندلس " ، الجزء ٢ ، ص٢٨٧ ؛ عبد الحميد صالح حمدان (دكتور) ، طبقات المستشرقين ، مكتبة مدبولي ،(مصر، د.ت) ،ص١٨٧ .

خوليان (D.julian) "[١] ، وكان هذا الاسم يعجبه كثيرا وعندما نشر في باريس ترجمة كتاب (سراج المسلم ومفاخر أندلسية جديدة)وقعه باسمه المستعار (D.Julian) [٢] .

أكمل دراسته الابتدائية في مدرسة قسنطينة ، ونال الليسانس من كلية الآداب في الجزائر عام (١٩١٣) وفي السنة نفسها نشر في مجلة(Revue Africain) ثلاث دراسات عن علم الكتابات اللاتينية القومية[٣] والتكملة لتاريخ قلعة بني عباس (مجموعة جمعية الآثار بقسنطينة) ومولاي بوشتا الخمار(ت٩٨٦هـ/١٥٧٨م) والي مراكش في القرن السادس عشر[٤].

كان ليفي بروفنسال يميل إلى اللغات الرومانية القديمة وبقي ملازما لها وازدادت اهتماماته بها في المرحلة الجامعية حيث ازداد تردده إلى الجانب الأندلسي أو المغرب الإسلامي (طبقا للنظام الفرنسي الذي يسمح لكوادر التعليم في مادة اللغة والأدب العربي بالتنقل فيها وإذ انه منذ سنة ١٩١٥م استحق لقب مشرف) [٥] .

ب- مناصبه

في سنة ١٩١٤ شارك ليفي في الحرب العالمية الأولى ، وجرح في وقعة الدردنيل[*] ، ونقل إلى مصر ومنها إلى فرنسا فالمغرب ، حيث كان ضابطا في الشؤون الإسلامية ، وفي سنة ١٩١٩ انتدبه المشير ليوتي للعمل في معهد الدراسات العليا المغربية في الرباط وعين أستاذاً فيه عام ١٩٢٠ ، ثم مديراً له بين

(1) Gomez : (Levi Provencal)V.XXI ,P.3 .

(٢)العقيقي ، المستشرقون ، الجزءالاول ، ص٢٧٥ ؛ الموسوعة الميسرة ،ص١٥٩٦ .

(3) Gomez : (Levi Provencal) ,V.XXI , P.3 .

(٤)العقيقي ، المستشرقون ، الجزء ١ ، ص٢٧٦.

(٥) بلاشير، ليفي بروفنسال ، ص١٣٣.

(*) وقعة الدردنيل : في ١٤ مايس ١٩١٥م اتجهت نية الحكومة الفرنسية وعلى رأسها رئيس الجمهورية مسية بوانكاريه لانجاح الحملة التي قام بها الحلفاء على الدردنيل وأرادت تعزيز الجبهة المذكورة بستة فرق تسحب من جبهة فرنسا ولكن القائد العام للقوات الفرنسية الفريق اول جوفر رفض الفكرة جملة وتفصيلا ، للمزيد ينظر : الفريق الركن فاروق الحريري ، الحرب العظمى (الحرب العالمية الأولى) ، المكتبة العالمية ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص٢٥٦/١٥٧.

عامي (١٩٢٦. ١٩٣٥) وقدم خلالها رسالة دكتوراه عنوانها (مؤرخو الشرفاء ، وتتمتها : نصوص الاوراغة العربية)، وهي بحث في لغة جبلة شمال المغرب [١].

وفي سنة ١٩٢٨ انتدبته كلية الآداب بالجزائر أستاذا لتأريخ العرب والحضارة الإسلامية ، فقسم وقته بين الرباط والجزائر ، ثم بينهما وبين التدريس في معهد الدراسات الإسلامية في السوربون بباريس إذ كان يدرس تاريخ العرب وكتاباتهم ، وفي سنة ١٩٣٥ استعفى من إدارة معهد الرباط ليتفرغ للتدريس والتأليف وعين مديرا مشرفا له [٢]، وقد دعته جامعة القاهرة أستاذا زائراً في فصل من فصول السنة الجامعية للعام ١٩٣٧ ، فاقبل ومعه ما اجتمع له من نسخ كتاب [الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، لمؤلفه أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت٥٤٢هـ /١١٤٧م).وكان قد بذل جهداً كبيراً ومضنياً في جمع أجزائه بعد إن كانت متفرقة ، وعين في اللجان التي تشكلت في الكلية لتحقيق ومعارضة النسخ ، وكانت اللجنة تضم فضلاً عنه كلا من (احمد أمين ، ومصطفي عبد الرزاق ، وعبد الحميد العبادي ، وعبد الوهاب عزام ، وطه حسين) [٣]ونظراً لتجنيده في القيادة العليا لشمالي أفريقيا ، اضطر في عام ١٩٣٩ إلى العودة إلى عمله في الجزائر وباريس ولم يستمر طويلا في التجنيد فقد سُرح عام ١٩٤٠[٤] ، ويذكر غوس : " إن فترة الحرب العالمية الثانية(١٩٣٩-١٩٤٥) اثرت في حياة ليفي وشكلت خطورة في وجوده وكيانه ، وان حياته كانت ستنتهي سريعاً ، وهي امتداد للأمور الصعبة التي مرت بها البشرية في الحرب العالمية الثانية "، أما بالنسبة إلى ليفي فأنها شكلت عنده خطين ، جيد وسيئ ، أما الأول فان حكومة فيشي إحالته على التقاعد فتفرغ للدرس والقراءة ، وأما المحزن فهو أنه رفع عن كرسيه الجامعي دون أي دوافع سوى أصوله العنصرية[٥] ،

---

(١)حمدان ، طبقات المستشرقين ، ص١٨٧.١٨٨؛العقيقي ، المستشرقون ، الجزء ١ ، ص٢٧٥.

(٢) العقيقي ، المرجع نفسه .

(٣) ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م) ، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، نشره طه حسين ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ،(القاهرة ١٩٣٩)، المقدمة (هـ) ؛ العقيقي ، المستشرقون ، الجزء ١،ص٢٧٥ .

(٤) العقيقي ، المرجع نفسه .

(٥) بلاشير ، ليفي بروفنسال ، ص١٣٤؛ Gomez : (Levi Provencal) , V.XXI , P.13 .

وعلى إثرها أصيب ليفي بنكسة اجتماعية حيث طلق زوجته وابتعد عن أهله وأصيب بغيبوبة ومرض شديد وأزمة نفسية حادة بلغت عنده عدم الثقة والشك بالجميع (بالسياسة ويزملائه ، وأصدقائه وحتى ببلده) ، وردة الفعل هذه هيجت عنده الحنين والعاطفة إلى أسبانيا الإسلامية ، إذ كان مطافه في مدريد التي قضى فيها ذروة الحرب العالمية والحرب الأهلية الفرنسية .

وفي مدريد التقى ليفي بصديقه غوس وقضيا معظم وقتهما معا في فندق (Ritz) وفي حدائق مدريد كانا يتناقشان في البحث والكتابة وتحقيق المخطوطات عن تاريخ الأندلس وعن الحضارة العربية الإسلامية بعيدا عن بلده وأهله[١]. وفي سنة ١٩٤٢م أعيد النظر في خدماته السابقة (العلمية والعسكرية) وانه من الواجب على حكومة فيشي أن تعيده إلى التدريس ويعين ليفي في (Toulaus) وأعادوا منصبه في الجزائر[٢]. وبين سنة (١٩٤٣-١٩٤٤م) كلفته حكومته بمهام خطيرة بين لندن والقاهرة والقدس ودمشق وكانت (مهمات رسمية ومتحفظة) ولأهمية هذه المهام فقد كانت متطلباتها الاساسية والمتعددة جعلته بعيدا عن دراسات العصور الوسطى في الأندلس[٣].

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ومكافأة له بالنصر الفرنسي الحقه وزير التربية الفرنسي بديوانه في باريس سنة (١٩٤٥م) ومارس مهنة السكرتارية ، وأُعطي منصب (أستاذ السوربون) في الجامعة وهي : (المرة الأولى عن الفرع الإسلامي فيها) وعين أستاذا للغة العربية والحضارة الإسلامية بجامعة باريس ، ووكيلا لمعهد الدراسات السامية[٤].

والى جانب ذلك عمل أستاذا في جامعات المغرب والجزائر وفي المعاهد العليا في تونس والرباط[٥] ، فأتاح له ذلك ويدعم من الحكومة الفرنسية ، وثقلها في كل الحالات أن

(1) Gomez : (Levi Provencal) , V.XXI ,P.13 .

(٢)؛ العقيقي ، المستشرقون ، الجزء ١ ،ص٢٧٥ .

(3) Gomez : (Levi Provencal) , V.XXI ,P.13 .

(٤)؛ العقيقي ، المستشرقون ، الجزء١ ،ص٢٧٥ .

(٥)حمدان ، طبقات المستشرقين ،ص١٨٩ .

يعيش طويلا فيها وتأصلت عنده الحضارة الأندلسية وعرف حياتهم في أناة ، وتأمل بيئاتهم عن قرب وكان له في حضارتهم تفسير معقول لما غمض من قضايا وطنهم في ماضيه البعيد ومن ثم كان ليفي حجة فيما يكتب ويقول في هذا المجال(١) . وفي هذا الوقت بدأ ينشر موضوعاته في دائرة المعارف الإسلامية حيث كان مدير المطبعة الفرنسية فيها منذ عام ١٩٣٩م(٢). وفي سنة ١٩٤٥م نشر (Cabiers) بصيغة موحاة من مجلة إيطاليـة (الشـرق الحـديث) وبقـي مسـتقراً فـي معهـد الدراسـات السـامية في باريس حتى آخر حياته ، في شقة تحت فندق (أفنو آميل ديسجن) وفي غرفة رحبة فاخرة الأثاث ، تطل نافذتها على مخيم مارت (Campo de marte) حتى وفاته سنة (١٩٥٦م) (٣).

ج- صفاته

كان ليفي يملك ذاكرة عجيبة وروحاَ مدفوعة نحو العمل الدؤوب الذي لا يعرف للتعب طريقاً ، وكان مشهوداً له في الكتابة الأسبانية في القرون الوسطى وفي اللهجة البربرية لشمال أفريقيا وجاء هذا لكونه ذا دراية تامة بتلك البلدان لأنه نشأ فيها ولم يبتعد عنها طوال حياته ، فأحاط عن كثب بمشاكلها (٤) .

ومن أهم صفاته الغموض والتشكيك بمن يحيط به وربما سبب ذلك يعود إلى ما شهده من أحداث وقعت بين الحربين العالميتين الأولى والثانية . ويعزو صديقه غوس سبب عدم الاهتمام بخدماته العلمية الى انحداره من اصل يهودي (٥) ، وهذا غير صحيح

---

(١)ليفي بروفنسال ، الحضارة العربية في أسبانيا الإسلامية ، ترجمة احمد مكي الطاهر ،دار العارف ،(القاهرة ، ١٩٧٩)،ص٤.
(٢)العقيقي ، المستشرقون ، الجزء١ ، ص٢٧٥.

(3) Gomez : (Levi Provencal)V.XXI , P.13.

(٤) بلاشير ، ليفي بروفنسال ، ص١٣٥ .

(5) Gomez : (Levi Provencal)V.XXI , P.15.

لان نتاجـه العلمـي وخدماتـه كانـت وحسـب المعلومـات المتـوفرة موضـع اهتمـام وتقـدير الساسة الفرنسيين وبقي موضع تقديرهم حتى نهاية حياته .

عرف ليفي بنظرته الموضوعية فهو كما يصفه احد الباحثين المعاصرين اقرب ما يكون إلى بعض العلماء العرب الذين تشربوا أساليب الاستشراق[1] ، او انه مطور للخطاب الاستشراقي وهو ما أكده أيضا صديقه غوس قائلاً : " كان من المع وجوه الاستشراق الفرنسي الجديد "[2] ، وكان في مؤلفاته ، يبتعد عن مناطق التوترات السياسية الحساسة إذ كان من المعجبين والمنوهين بحضارة الشرق والإسلام [3] ، وكتب عدة بحوث عنها سوف نقف عليها في الصفحات القادمة .

اتسمت نظراته وأفكاره في معظمها بالوضوح وتحري الحقيقة غير انه لم يتمكن من التخلص النهائي من نهج المستشرقين الذي أوقعه في أخطاء كان هو في غنى عنها لو تحرى الدقة والتزم جانب الأمانة التاريخية [4]. لكن هذا لا يمنع من القول بانه كان مؤرخاً وان الفرضيات والتخريجات التي طرحها موضوعية غير مرتبطة بمصلحة سياسية وحظيت بالاحترام في الأوساط العلمية [5] ، وان بحوثه عن أسرار المغرب الإسلامي جاءت بدافع الرغبة والإطلاع على ثقافات الأمم الأخرى والبحث عن الحقيقة بتحرر من الأهواء وكانت معظمها خالية من النوايا السيئة إلى حد كبير[6].

وكان تنقيبه في تراث الآثار العربية والتعريف بها على هذا النحو فتحاً عظيماً في تاريخ الأندلس وتاريخ الحضارة العربية الإسلامية فقد كان الغرب حتى أواخر القرن الثامن عشر لا يعرف من هذا التاريخ سوى ما تعرضه الرواية النصرانية من شذور مغرضة . وكانت بعض الحقائق تغمرها حجب التعصب والتحايل والكذب فجاءت وثائق الاسكوريال

---

(١) الشكعة ، مصطفى ، مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية في الأندلس ،ص٢٨٩.

(2) Gomez : (Levi Provencal)V.XXI , P.7.

(٣) حميش ، سالم ، الاستشراق في افق انسداده ، ص١١٠.

(٤)الشكعة ، مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية في الأندلس ، ص٢٩٠.

(٥) أحمد مختار ، العبادي (دكتور) ، في تاريخ المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية ، (بيروت ، ١٩٧٨) ، ص٣٦٠.

(٦) عليان ، محمد عبد الفتاح ، اضواء على الاستشراق ، ص٣٦.

تبدد هذه الحجب وقد عمل بها عام ١٩٠٥ ، وأصدر الجزء الثالث من فهرست الاسكوريال سنة ١٩٢٨م[*] ، محتوياً على كتب علوم الدين والجغرافية والتاريخ (من الرقم ١٢٥٦ ١٨٥٢)[١].

د- أساتذته ورفاقه :

تتلمذ ليفي في المرحلة الجامعية على يد أساتذة مشهورين كرينيه باسيه (ت١٩٢٤م) وهو من الأساتذة المتميزين لتدريس العربية واللغات الشرقية وشمل التدريس موضوعات اللغة والأدب والحضارة والتاريخ والفلسفة[٢]، ودرس على جيروكركوبينو الشهير بأبحاثه في التاريخ الروماني[٣]. وقرأ على المستشرقين الأسبان الذين وصفوا بالاعتدال وكان هذا ذا تأثير فيه حيث انطبع بهم فمثلا فرانسوا كوديرا[**] (١٨٣٦-١٩١٧) ، يبدو أن ليفي بروفنسال لم يتتلمذ على كوديرا بشكل مباشر لكنه انحاز الى المدرسة الفكرية الأندلسية التي شكلها تلاميذ كوديرا والتي سميت (أسرة كوديرا) إذ أصبح

(*) وعن فهرس مكتبة الاوسكوريال يذكر المؤرخون ان ليفي قدم الى أسبانيا ليكمل به الفهرس الذي سبق ان بدأه المستشرق الفرنسي هرتويج دير نبورج ، ولكن وفاته حالت دون اكماله فقد ترك موصوفه بحسب جذاذات واستلمها ليفي من ارملة دير نبورج وقام بتنقيحها وترتيبها وكان من ثمرة هذا العمل الذي نشره ، للمزيد ينظر ، العقيقي ، المستشرقون ، الجزء الاول ، ص ٢٧٥؛ شكيب ارسلان ، الحلل السندسية في الاخبار والآثار الأندلسية ، منشورات دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، ١٣٥٥هـ) ، المجلد ١ ، ص٣٥٥-٣٦٠) .

(١) محمد عبد الله عنان ، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، ط٤ ، مؤسسة خانجي ، (سنة ١٩٦٢م) ، ص٣٣٤ .

(٢) منتران ، روبير ، (الاستشراق الفرنسي ، اصوله ....) ، ص٣٥ .

(٣) حمدان ، عبد الحميد ، طبقات المستشرقين ، ص١٨٧.

(**) كودير : يعدّ معلما من معالم الطريق بالنسبة الى المعنيين بالدراسات الأندلسية ، فقد اوتي بدوره بسطة في العمر والعقل والانتاج ، واسمه الكامل فرانسكوا كوديرا زيدان (Francisco Codera Zaydin) وقد اشرب كوديرا حب العرب ، ويقال انه ينحدر من اسرة عربية الاصول شأن كثير من الاسر الاسبانية ، واختار لاسمه صيغة عربية هي الشيخ فرانسيشكد قداره زيدان ، وكان غرة بيضاء في جبين الاستشراق الأندلسي (للمزيد) انظر : الشكعة ومواقف المستشرقين ، ص٢٨٢ .

تلميذا للفكرة التي غرسها المستشرق الكبير في عقول مريديه من حب للتراث الإسلامي في الأندلس والعناية بدراسته [١].

وتلى ذلك قراءته على المستشرق الهولندي واينهارت دوزي (١٨٢٠-١٨٨٣م)[*] الذي خص أعماله بتحقيق المخطوطات الخاصة بالمغرب العربي[٢]، وله جهد كبير في الدراسات الأندلسية وجهوده طيبة في نشر ما تعهده من كتب التراث ولكنه افسد كل جهده بما كانت تحفل به مقدماته من أخطاء وبالإحكام الفاسدة التي أصدرها ضد الحضارة الإسلامية والاستنتاجات الخاطئة التي توصل إليها[٣].

كما قام بإكمال بعض الأعمال التي بدأها دوزي ككتاب البيان المغرب في أخبار المغرب (لابن عذارى المراكشي) مع مقتطفات من تاريخ غريب في جزأين[٤] وصدره بمقدمة فرنسية ،وذيله بمعجم ، وحققه على مخطوط بالاوسكوريال (ليدن ، ١٨٤٨-١٨٥١م) وقد نقله الى الفرنسية واستدرك عليه فانيان وكان في جزأين (الجزائر ،١٩٠١-١٩٠٤م)، ثم صححه ليفي وكولان ، ونشر ليفي بروفنسال الجزء الثالث منه في (باريس، ١٩٣٠م) ، وخص دوزي دراسة التاريخ الأندلسي ودراسة مصادره الغربية والعربية بأعظم جهد واخرج لنا في سنة ١٨٦١ كتابه القيم (تاريخ المسلمين في أسبانيا حتى فتح المرابطين) ، في(أربعة أجزاء من ١٤٦٠ صفحة) ، تناول الجزء الأول الحرب الأهلية ، والثاني النصارى والمرتدين ،والثالث الخلفاء ،والرابع ملوك الطوائف . تناول

---

(١) ارسلان ، شكيب ، الحلل السندسية في الاخبار والاثار الأندلسية ، ج١ ، ص٣٩ .

(*) راينهارت دوزي ، له تاريخ مسلمي أسبانيا المسلمة ، وله ايضا ملحق القواميس العربية (ذكر فيه الكلمات التي غفل عنها واضعوا القواميس العربية الاولون) ونشر المعجب في اخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي وقسما من جغرافية الادريسي القسم الخاص بافريقيا والأندلس (بمعاونة دي خوي) ومنتخبات من مصنف للمقريزي والحلة السيراء (لابن الابار) للمزيد انظر : علي ، محمد كرد ، اثر المستعربين ، ص٤٤٧ ؛ الموسوعة الميسرة ، ص٦٥٨-٦٦٠ .

(٢) ناجي ، عبد الجبار ، تطور الاستشراق ،ص٣٤ .

(٣) الشكعة ، مواقف المستشرقين ، ص٢٨١ .

(٤) العقيقي ، المستشرقون ، الجزء٢ ، ص٦٥٩.

دوزي تاريخ الأندلس بأسلوب فلسفي نقدي قوي وكان يعني بشرح الظواهر السياسية والاجتماعية أكثر مما يعنى بسرد الحوادث ، ومصنفه بلا ريب من اجل المراجع الغربية في تاريخ الأندلس وان كانت تشويه أحيانا نزاعات من التحامل والتعصب وقد أعاد طبعه العلامة ليفي سنة ١٩٣٢م بطبعة جديدة بثلاثة أجزاء وبها تعليقات وشروح عديدة وقيمة بعنوان (تاريخ أسبانيا المسلمة) (١).

وكثيرا ما كان ليفي يرتبط بعلاقات علمية مع بعض الأصدقاء الذين برزوا في الدراسات الايبرية واشترك معهم في بحوث حول الحضارة العربية في الأندلس ، نشرت في دائرة المعارف الإسلامية وفي المجلات التي أسسوها لتلك البحوث الخاصة وفي كتب مستقلة وجاؤوا بنظريات أثبتوها بالبراهين على فضل العرب والثقافة العربية مما غفل عنه العرب أنفسهم أو قصروا في مجاله ومن هؤلاء :-

١- رينيه باسيه (١٨٨٣-١٩٢٦م)

هو ابن المستشرق الفرنسي المشهور من الجيل السابق (رينيه باسيه (ت١٩٢٤م)) (٢) ، ورينيه ولد في مدينة لونيفيل حيث تلقى التعليم الابتدائي والثانوي ولما أجيز بالآداب من جامعة نانسي (١٨٧٨م) قصد باريس وتخرج من مدرسة اللغات الشرقية ثم من معهد فرنسا – على اثر عثوره على مؤلف عربي – وترجم بالتركية والفارسية ، عضو في مجامع علمية كثيرة في باريس ولشبونة ، ومدريد ، ودمشق . وآثاره تنقسم الى ثلاثة عربية وبربرية وحبشية وقد استعان في بعضها بالمستشرق ليفي ، وبمناسبة وفاة رينيه كتب ليفي بروفنسال مقالا نشره في مجلة هيسبرس (Hesperis) في عام ١٩٢٤م(٣). وعن مجلة هيسبرس التي كانت تصدر باللغة الفرنسية يذكر غوس : " بعد الحرب العالمية الأولى تبلور الفريق المؤسس لمجلة هيسبرس ، التي صدر العدد الأول منها عام ١٩٢١م" ،

---

(١) عنان ، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، ص٣٣٢.

(٢) علي ، كرد ، أثر المستعربين من علماء المشرقيات ، ص٤٤٢ .

(٣)العقيقي ، المستشرقون ، الجزء١، ص٢٧٣.

وكان من بين أعضائها ليفي والعالم والفنان الأثري هنري باسيه الذي تولى رئاسة التحرير بعد وفاة والده والذي شاركه مع مجموعة في تقديم كثير من الأعمال في الأعوام ١٩٢٢ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٥[١]. وحين توفى هنري باسيه عام ١٩٢٦م عن عمر لم يتجاوز ٤٣ عاما نعاه ليفي وترجم لحياته في مقال نشره في المجلة نفسها بعنوان (هنري باسيه ١٨٨٣-١٩٢٦م) ، وكانت وفاته ذات اثر سيئ بالنسبة الى ٠تحرير المجلة والى الاستشراق الفرنسي ، وذلك لان ليفي اصغر من زميله الراحل بسنين وكان انشط أعضاء تحرير المجلة المكونين لها ومنهم (الباحث في الحضارة الأسبانية روبرت ريكارد (١٩١١م) [٢] وعالم اللغة جورج سافن كولين (ت١٨٩٣م) [٣] وغيرهم . ولذلك تمت توليته إدارة رئاسة تحرير مجلة هيسبرس (Hesperis) الطبعة الفرنسية التي ورثها هنري باسيه من والده رينيه باسيه[٤].

إن موت (هنري باسيه الابن) ترك أثرا كبيرا على زميله ليفي بروفنسال فقد ترك أرملة وولدا وكان عليه إعالتهم ليكونوا تحت رعايته ثم تطورت علاقته مع أرملة هنري والتي انتهت بزواجهما ورزق بولدين منها[٥].

٢- أميليو جارثيا جوميث :

ولد عام ١٩٠٥م في مدريد وتخرج من جامعتها عام ١٩٢٦م وسمي أستاذا بجامعة غرناطة عام ١٩٢٩م وبجامعة مدريد سنة ١٩٤٠م[٦] ونشر بمعاونة ليفي بروفنسال كتاب (رايات المبرزين وشارات المميزين) لابن سعيد المغربي متنا وترجمة أسبانية مع تعليقات إضافية (مدريد ، ١٩٤٢) ونشر

(١) العقيقي ، المستشرقون ، الجزء ١ ، ص٢٧٧ ؛ Gomez : (Levi Provencal)V.XXI , P.7

(٢) العقيقي ، المرجع نفسه ، ، الجزء ١، ص٣٢٥.

(٣)المرجع نفسه ، الجزء الاول ، ص٣٠٧-٣٠٨.

(4) Gomez : (Levi Provencal)V.XXI , P.7.

(5) Gomez : (Levi Provencal)V.XXI , P.6.

(٦) العقيقي ، المستشرقون ، الجزء ١ ، ص٣٠٧ ، الجزء ٢ ، ص٦١٠ ..

بمعاونة ليفي بروفنسال أيضا (اشبيلية في القرن الثاني عشر) لابن عبدون(*) في ٢٠٣ صفحة [١] ، كما نشرا (عبد الرحمن الناصر) لمؤلف مجهول وترجماه إلى الأسبانية في ١٧٦ صفحة ولوحين مستقلين (مدريد ، ١٩٥٠م) ، وترجم الجزء الأول من (تاريخ أسبانيا المسلمة) لليفي بروفنسال [٢].

وفي مجلة الأندلس اشترك ليفي بروفنسال مع اميليو جارثيا في بحوث كثيرة منها (وقعة الزلاقة)(**) ونشر (نصوص غير منشورة من المقتبس لابن حيان عام ١٩٥٤م) وقد عالج جارثيا جوميت موضوعات مختلفة في الأدب الأندلسي وفن الموشحات وفي التاريخ السياسي منها كتابه (قصائد عربية – أندلسية) ، (مدريد ، ١٩٣٠م)) ، وقد أشار إليه ليفي فقال : " اختيار موفق جدا للقصائد الأسبانية- العربية مع مقدمة مفيدة " [٣].

وفي التاريخ السياسي نشر جارثيا جوميت ترجمة لرسالة السكندي في مجلة الغرب العدد ١٥ (مدريد ، ١٩٣٤م) وقد علق عليها[٤]. وقد قام جارثيا جوميت بترجمة لحياة ليفي بروفنسال بشكل موسع في مجلة الأندلس

(*) ابن عبدون ، عبد المجيد الفهري (ت١١٣٤م) ، شاعر وكاتب وزير ، ولد بيابرة بالاندلس ، درس الادب الحديث والتاريخ ، للمزيد ينظر : الموسوعة الميسرة ، ص٢٢.

(١) العقيقي ، المستشرقون ، ج٢ ، (مدريد ، ١٩٤٨م) ، ص٦١٠.

(2) Gomez : (Levi Provencal)V.XXI , P.19.

(**) وقعة الزلاقة ، حدثت بتاريخ ١٢/رجب/٤٧٩هـ – ٢٣/حزيران/١٠٨٦م ، وهي معركة فاصلة بين الجيوش الاسبانية والجيوش الأندلسية المسلمة بقيادة امير المسلمين يوسف بن تاشفين حيث زحفت جيوش المسلمين نحو اشبيلية ثم الى بطليوس في غرب الأندلس بغية لقاء العدو فالتقى بهم في الشمال من بطليوس عند فحص الزلاقة الذي تسميه المصادر الاسبانية **Sacralias** ويعرف اليوم باسم **Sagrajas** وهناك دارت المعركة ، ينظر : المعجب ، عبد الواحد المراكشي ، ص١٣٢ ، ١٣٥ ؛ ابو العباس احمد بن خالد الناصري السلاوي ، الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق ولدي المؤلف جعفر ومحمد ، دار الكتاب ، (الدار البيضاء، ١٩٥٤) ، الجزء٢ ، ص٣٧-٤٦) ؛ الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص٤٠٩ ؛ العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص٣٠٩ .

(٣) الشكعة ، مواقف المستشرقين ، ص٢٨٣ ؛ العبادي ، المرجع نفسه ، ص٣٦٠ .

(٤) ليفي بروفنسال ، حضارة العرب في الأندلس ، ترجمة ذوقان قرقوط ، دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، د.ت) ، ص١٢٤ .

(العدد٢١ ، مدريد ، غرناطة ، ١٩٥٦م) وفي الصفحات (١-٢٣) [١]، وتناول فيها حياته وعمق صداقته التي جمعتهم حول تاريخ الأندلس التي مكنتهما من تحقيق سلسلة من الاكتشافات الاثارية والعثور على نصوص تاريخية من الطراز الأول لم تكن معروفة من قبل وفي هذا يقول جوميت : " انه استطاع مع ليفي ان يحقق أشياء لم يحققها الأساتذة (كوديرا واوربيرا) "[٢] ويؤكد ذلك المؤرخ ليفي بالقول : " الأمر الغريب عن هذه السلسلة من الاكتشافات التي صاغها أنه كان قد اطلع عليها في أسبانيا نفسها "[٣].

إن جهدهم التاريخي هذا لم يستطع تحقيقه الاسبانيون بينما كان من السهل تحقيقه بالنسبة إلى الفرنسيون بوساطة ليفي وفي نطاق حكمهم الذي كان أكثر اتساعا وغنى من خلال مد نفوذهم على هذه المناطق[٤]. وقد أفادت ترجمة جارثيا جوميت هذا البحث كثيرا لأنها كانت المعول الأساس في ترجمة حياة ليفي بروفنسال لأنه ألم بتفاصيل دقيقة عن حياته الشخصية والعلمية .

هـ آراء **الآخرين** في ليفي بروفنسال أو في كتاباته

مما لا ريب فيه أن جميع الباحثين المتمرسين في البحث والدراسة مطلعون على التباين الثقافي بين المستشرق والمجتمع العربي ، وما لهذا التباين من أثر في إساءة تفسير الحديث أو الظاهرة الاجتماعية ومدركون له ، وغالبا ما يحاولون أن يتجنبوا الوقوع في أخطاء تقودهم إلى سوء تفسير أو عدم تقدير دقيق في تحليل مشكلة أو ظاهرة يجدونها سائدة في مجتمع دراستهم إلا أنهم مهما تحفظوا في ذلك واخذوا بعين

---

(5) Gomez : (Levi Provencal)V.XXI , P.4-10.

(1) Gomez : (Levi Provencal)V.XXI , P.23.

(٣) ليفي بروفنسال ، الإسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي ، مراجعة الدكتور لطفي عبد البديع ، مكتبة نهضة مصر ، (القاهرة ، ١٩٥٦) ، المقدمة ، ص ز .

(3) Gomez : (Levi Provencal)V.XXI , P.23.

الاعتبار هذا التباين فان احتمال وقوعه – من دون قصد– يكون ممكنا[١].

وعلى الرغم من ان معالجة المسائل التاريخية في منظور الاستشراق الغربي يتخذ منها مدخلا ذا فروع متداخلة للمعرفة بطبيعة الأمر (سياسي ، اجتماعي ، تقني ، اقتصادي وستراتيجي ... الخ) ، لكن إذا وازنا بين مستشرق يدرس التاريخ الإسلامي وسواه من المؤرخين المحترفين وجدنا انه يتحتم عليه أن يتعلم الكثير حتى يزيل عنه الصورة المشوهة المتسمة بالتحيز والحقد والنظرة الأحادية المسبقة في أبحاثه والتي لا تمت إلى الحقيقة بصلة [٢].

ومن الصعوبة حصر آراء الذين تناولوا كتابات ليفي بوجه عام إذ لا تكاد تخرج شبهاتهم عما حاولت جمعه وتصنيفه من حيث التحامل أو المديح ، على إننا اجتزأنا في كل اتجاه ببعض الآراء واشرنا إلى مصادر ما لم نذكره لأنه يدور في فلك ما أوردنا فلا مسوغ للنص عليه ، كما قمنا بعرض الآراء مصنفة دون تعقيب او مناقشة في بعض الأحيان :

أ- المتعصبون

ان الهجوم على المستشرقين لم يكن جديدا في العالم الإسلامي وهذا الذم حركته عدّة بواعث مختلفة ، وكان أول هجوم تعرض له ليفي بروفنسال مرتبطا ببداية ظهور الطبعة الثانية من (الموسوعة الإسلامية)[*] التي بدأت عام ١٩٥٠م فقد نشرت في (الإنكليزية والفرنسية) فقط من دون أن يوجد عضو ألماني في اللجنة الدولية لتحريرها ، وقد جاء الهجوم الإسلامي عليه من كراتشي عاصمة

---

(١) ابو الحسن علي الندوي ، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأفكار الإسلامية ، دار العلم ، (الكويت ، ١٩٨٣) ، ص١١٠ ؛ عمر ، معن خليل ، التباين الثقافي بين المستشرق والمجتمع العربي ، ص٢٩.

(٢) محمد بن عبود ، منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي ، ج٢ ، ص٣٥٥ ..

(*) الموسوعة الإسلامية ، وهو المشروع الاعظم للاستشراق في مجال الدراسات الإسلامية وكانت الطبعة الاولى من هذه الموسوعة قد نشرت في ثلاث لغات بشكل متزامن أي باللغات (الإنكليزية ، والفرنسية والألمانية) ، وقد كتبت المواد بمساهمة علماء اتوا من هذه البلاد ومن بلدان أخرى كثيرة ، وبعد ثلاثين عاما من العمل المتواصل تم إنجاز الموسوعة عام ١٩٣٨ ، ينظر : احمد شنتاوي وآخرون ، الموسوعة الإسلامية ، وزارة المعارف العمومية ، (القاهرة ، د.ت) .

(الباكستان الإسلامية) وقد تركز على نقطتين أساسيتين : أولا : غياب طبعة ألمانية وناشر ألماني وثانيا : وجود يهودي فرنسي في لجنة التحرير هو المرحوم ليفي بروفنسال ، وبعد التحري عن هذا النقد أتضح ان الذي قام به ونشره هو دبلوماسي ألماني نازي عين مؤخرا في كراتشي وكان في فترة لم تختف فيها بعد نفسية الرايخ الثالث[*] بشكل كلي ، والمؤرخون يشهدون بنزاهة ليفي في الموضوعات التي نشرها في الموسوعة الإسلامية[١].

أما مقالة الدكتور مصطفى الشكعة[٢] التي نشرت في (مناهج المستشرقين ، الجزء الثاني) فهي مكتوبة بانفعال وتأثر واضح ، وتعبر عن القناعات التي يدافع عنها بحماسة شديدة ، ولكن على الرغم من ذلك يظل نصه ضمن حدود المناقشة العلمية ويظل مرتكزا بالطبع على دراسة تحليلية ذكية تصل به الى حد التسليم بأنه يمكن لليفي بروفنسال إلا يكون سيئا في جوهره بل يمكن ان يكون في بعض مواقفه ضحية للغفلة التي أوقعته في هذه الزلات التاريخية ومن الأخطاء التي أحصاها على ليفي في هذه المقالة :-

١- حول سكان الأندلس :-

جاء في مقال الشكعة : " حين يتحدث ليفي بروفنسال عن سكان الأندلس في العصر الإسلامي تبدو أفكاره ظاهرة الاضطراب يناقض بعضها بعضا ، فهو يقسم هؤلاء السكان الى أربع فئات او أجناس هم عرب المغرب ، وأهل البلاد الذين دانوا بالإسلام ، واليهود الذين اسلموا ، وقد استقى بروفنسال

(*) الرايخ الثالث : بعد أن اصبح هتلر رأس السلطة في المانيا ٣٠/ك٢/١٩٣٣ ، عقد اجتماع مع كبار رجال الاعمال والمستشارين والاقتصاديين لبحث وسائل علاج الازمة الاقتصادية وتوفير المبالغ اللازمة للتسلح الالماني ، واتفق المجتمعون على عدة امور اهمها القضاء على البطالة بين العمال الصناعيين واقامت مشروعات التسلح ويسمى هذا (مقر المستشارية الالمانية هو الرايخ) ، وللمزيد ينظر (موقف بريطانيا من التسلح الالماني ١٩٣٣-١٩٣٩) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، عماد هادي عبد علي ، جامعة الكوفة كلية الاداب ،٢٠٠٢ ، ص٤٢ .

(١) برنارد لويس ، الاستشراق بين دعاته ومعارضيه ، ص١٦٤-١٦٥ ..

(٢) الشكعة ، مصطفى ، مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية في الأندلس ، ج٢ ، ص٢٨٩.

معلوماته هذه أو الاحرى تقسيماته للسكان من كتاب لمؤلف أندلسي يجهل اسمه ، ثم يعود مرة أخرى فيقسمهم تقسيما آخر ، هم أبناء الأسبان الذين دخلوا في طاعة المسلمين صلحا واسلموا ، وأبناء الأسبان الذين دخلوا في طاعة المسلمين عنوة فأصبحوا بحكم الفتح أسرى ثم اسلموا وأبناء المستعمرين الذين اسلموا بعد الفتح ، وأبناء أسرى النصارى الذين أتت بهم الفتوح والغزوات ثم دانوا بالإسلام ، ويؤكد بروفنسال ان هذا التقسيم الأخير هو الصحيح وانه أكثر مطابقة للواقع من وجهة نظره "[1].

إن الأخطاء التاريخية التي أحصاها الشكعة في النص أعلاه والتي أوردها في تحليله فهي في تقسيمه الاول اسقط النصارى الذين ظلوا على دينهم وكانوا يشكلون نسبة كبرى من السكان كما اسقط اليهود الذين ظلوا على دينهم فان قلة منهم هي التي أسلمت ، وتمتع الفريقان من اسلم منهم ومن بقي على دينه بحرية الفكر والعقيدة ، وتولوا المناصب الكبرى التي منها الوزارة وفي تقسيمه الثاني يقول الشكعة : " نسي ليفي بروفنسال تماما العرب والبربر وأسقطهم من جملة السكان والأندلسيين"[2] .

إن هذا التحامل على ليفي من قبل الشكعة هو غير وارد لأننا وجدنا في الكثير من كتاباته قد ذكر هاتين الطبقتين من السكان وأشار إلى ما كانت تتمتع به في ظل الدولة الأموية المسلمة في الأندلس فهو يقول : " حتى بعد ان دخل الأسبان المسيحيون في الإسلام أفواجا ليتمتعوا بنظام مالي أفضل ، فان جانبا لا بأس به من الرعايا المسيحيين ظلوا يتكلمون في المدن الأندلسية ، جاليات مزدهرة لها كنائسها وأديرتها ورئيسها المسؤول عنها وعن ضرائبها وقاضيها الذي يطبق في أحكامها القانون القوطي القديم تحت إشراف الدولة

(١) الشكعة ، مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية في الأندلس ، الجزء٢ ، ص٢٨٩.

(٢) المرجع نفسه .

الأموية ويخضع الى رقابتها "[1]. أما بالنسبة إلى اليهود فيقول بروفنسال : " كانت توجد أبان العصر الوسيط على الدوام جالية من اليهود تقطن مدن أسبانيا المسلمة ومدنها المسيحية على السواء كثيرة العدد مزدهرة الحال ويخاصة في الجانب الإسلامي جيدة التنظيم تتوارث حب الدرس "[2].

ويستمر الشكعة في تحليل النص فيقول : " ويتطوع الأستاذ بروفنسال فيقسم الأندلسيين الذين اسلموا إلى فريقين ، فريق دخل في طاعة المسلمين صلحا ، وفريق دخل في طاعة المسلمين عنوة ، ثم يقرر إن المسلمين فرقوا في المعاملة بين من اسلم صلحاً ومن اسلم عنوة ، وهو حكم مغاير للحقيقة كل المغايرة "[3].

ويشاطر الشكعة في هذا التحليل الدكتور حسين مؤنس بقوله : " حين ذكر ان مسلمي الأندلس لم يستطيعوا تمييز ارض فتحت صلحاً من ارض فتحت عنوة في الأندلس ، فان كل من اسلم من ألأندلسيين تمتع بكل الحقوق التي يتمتع بها المسلم الفاتح . وأما الذين لم يسلموا فقد عدّوا أهل ذمة وطبقت عليهم الأحكام الإسلامية تبعا لنصوص الشريعة ولقوا من السماحة والعدالة في المعاملة ما قد تعارف عليه في أحكام الشريعة السمحة في هذا السبيل "[4] .

---

(١) بروفنسال ، الحضارة العربية في أسبانيا ، ص١٠٢ .

(٢) ابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ /١٠٦٤م) ، طوق الحمامة في الالفة والالاف ، ترجمة بتروف ، (ليدن، ١٩١٤م) ، ص١٦-١٧.

(٣)الشكعة ، مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية في الأندلس ، الجزء٢ ، ص٢٩٠.

(٤) حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، (القاهرة ، ١٩٥٩) ، ص٤٣٦.

٢- إن العرب كانوا يشكلون أرستقراطية :-

ثمة خطأ آخر سجله الشكعة في مقال على المستشرق ليفي بروفنسال حين ذكر : " إن العرب كانوا يشكلون أرستقراطية خاصة في الأندلس " . وكان رده هو أن الخبر على هذا النحو يشكل خطا فادحاً ، فلم يكن العرب طبقا لما ذهب إليه بروفنسال يشكلون أرستقراطية في الأندلس على الرغم من أن الأمير كان منهم بل إن الأمر على العكس من ذلك تماماً ، فان الموالي هم الذين كانوا يشكلون الأرستقراطية الحقيقة وظلوا كذلك حتى آخر الخلافة الأموية أي ما يزيد على ثلاثة قرون [1] .

إن ليفي بروفنسال نعت العرب بالأرستقراطية في عدد من المواقع ، من ذلك قوله : " وقد شكل أولئك الوافدون أي على (أسبانيا المسلمة)نواة الأرستقراطية العربية والبرجوازية في المدن " [2] . وفي مكان آخر قال: " إن الأمير عبد الرحمن الثاني واجه مؤامرات خفية البت عليه أكثرية رعاياه وكان الخارجون عليه كبار قادة الأرستقراطية العسكرية من جند سكان الجبال من البربر الذين بسطوا يد العون له "[3]. وقال أيضا : " في عصر الأمير الحكم الربضي[*] ثار مسلمو أسبانيا المولدون على العرب عام (١٨٩ هـ / ٨٠٥ م) وذلك لاستئثارهم بالسلطة ولما كان فيهم من كبرياء " [4].

إن هذه النصوص نستطيع إن نضيفها إلى قول الدكتور مصطفى الشكعة ، وان تحليله كان صادقاً بقوله: " لم يكن العرب إذن يشكلون طبقة أرستقراطية

(١)الشكعة ، مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية في الأندلس ، الجزء٢ ، ص٢٩٠ .

(٢) بروفنسال ، حضارة العرب في الأندلس ، ص١٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ص١٦ .

(*) الحكم الربضي (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م) ، وهو الحكم الأول ، حدثت سنة ٢٠٢هـ(٨٠٨م) وقعة (هيج) الربض الجنوبي من قرطبة المسمى ربض شقندة ، على الضفة الاخرى من الوادي الكبير ، وقضى الحكم الربضي عليها بقسوة وعنف ، للمزيد ينظر : المراكشي ، البيان المغرب ، ٢/ ٨٠ .

(٤) بروفنسال ، تاريخ أسبانيا المسلمة ، الجزء١ ، ص١٤٠.

في الأندلس ، ولم يكونوا ذوي استعلاء على الناس وترفع عنهم ، وإنما كانوا يعيشون بكدهم وكفاحهم ، شأنهم في ذلك شأن الآخرين ولعل الخطأ الذي وقع فيه ليفي بروفنسال مرده إلى استنتاج غير سليم ، ذلك أن العرب في المشرق كانوا يشكلون مجتمعات أرستقراطية في البلاد التي فتحوها ، فظن بروفنسال إن الأمر لا يعدو أن يكون كذلك في الأندلس فكان هذا الخطأ الذي تردى فيه غير منتبه إلى أن القياس هنا غير جائز وهو إن جاز في العلوم الشرعية والنظريات الرياضية فانه لا يجوز في الأحداث التاريخية "[١]

٣- وخطأ آخر يسوقه لنا الشكعة عن ليفي بروفنسال هو :

" إن العرب الفاتحين كانوا يكرهون انتشار الإسلام لان انتشاره يضر ببيت المال "[٢]، ويستغرب الشكعة من هذا الأمر ويرد على بروفنسال بقوله : " ففي الوقت الذي يذهب فيه أكثر المستشرقين خطأ إلى أن العرب كانوا ينشرون الإسلام بالسيف ، يذهب بروفنسال إلى النقيض ويرى أنهم يكرهون انتشار الإسلام لكي تمتلئ الخزانة بالأموال بسبب فرض الجزية على الذين لم يسلموا ، والحقيقة أن الفريقين على خطأ فقد أرسل الله محمدا (ص) هاديا ولم يرسله جابيا والإسلام انتشر بأصوله ومبادئه واقتناع الناس بها جميعا "[٣].

٤- اتهمه الشكعة بانه :

" استطاع أن يخفي مشاعره بمكر وذكاء"[٤] ، وفي نفس السياق يذكر الدكتور عزيز احمد انه كثيرا ما نراه يطعن بالحقيقة التاريخية ويستدل على ذلك بتعليق بروفنسال على الأجوبة عن المسائل الصقلية[٥]، وهي المسائل

---

(١) الشكعة ، مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية في الأندلس ، الجزء٢ ، ص٢٩١.

(٢) بروفنسال ، تاريخ أسبانيا المسلمة ، الجزء١ ، ص٧٤.

(٣) الشكعة ، مواقف المستشرقين ... ، الجزء٢ ، ص٢٩١.

(٤)المرجع نفسه ، الجزء٢ ، ص٢٩١.

(٥) عزيز احمد ، تاريخ صقلية الإسلامية ، دار الكاتب العربي ، (بيروت ، ١٩٨٠) ، ص١١ .

التي سألها الإمبراطور فردريك الثاني (١٢٣٣-١٢٤٢م) والتي أحالها على ابن سبعين[*] ، بين سنتي (٦٣٥-٦٤٠هـ/١٢٣٧-١٢٤٢م) كتب ابن سبعين رسالته الشهيرة (الأجوبة على المسائل الصقلية) ردا على أسئلة الإمبراطور وفيها يتمسك كل التمسك بوجهة النظر الإسلامية وينبذ وجهة ارسطو طاليس[١]، والتي علق عليها بروفنسال بقوله : " ومن المشكوك فيه فيما إذا كانت الأجوبة قد تركت أثرا على الغرب في القرون الوسطى ولكن المؤرخون يذكرون ان الخليفة الموحدي أوفد سنة (٦٤١هـ/١٢٤٣م) أخا لابن سبعين مبعوثا عنه إلى البابا انونست الرابع الذي قد يكون على علم بما انطوت عليه أسئلة فردريك من هرطقة ومروق عن الدين"[٢]. ان التحليل المذكور أعلاه الذي قدمه ليفي بروفنسال ليس بعيدا عن الحقيقة التي صورها المستشرقون (الناقدون) للماضي العربي الإسلامي المشرق ، بينما يقابلها صورة مضيئة ومشرقة للإنسان الغربي ، وهذا ما يحرص على عمله فجوهر الاستشراق هو "

(*) ابن سبعين ، عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن سبعين الغافقي الأندلسي ، من أسرة كريمة النسب والمحتد ، ولد (٦١٤هـ/١٢١٧م) أواخر عصر الموحدين وتوفي في (٦٦٩هـ/١٢٧٢م) أمضى طفولته وسني مراهقته بعيدا عن اللهو واللعب وعزف عن الرياسة العرضية المعول عليها عند العالم مع كونه وجدها في آبائه ، وانفق صباه واكثر فتوته طالبا العلم على الأساتذة الأندلسيين حتى توافر له التكوين اللغوي والديني والفلسفي وقد اطلع على القوانين المتقدمة كلها الشرعية والفلسفية والادبية وحصر الكتب المنزلة فيها والغير المنزلة للمزيد ينظر : صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ، كتاب الوافي بالوفيات ، دار النشر فرانزشتاير (بفيسبادن ، ١٩٧٤) ، الجزء٢ ، ص٢٠ ؛ جمال الدين ابو المحاسن ابن تغري بردي الاتابكي (٨١٣-٨٧٤هـ) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، (القاهرة ، د.ت) ، الجزء٢ ، ص٢٣٢ ؛ محمد ياسر شرف ، الوحدة المطلقة عند ابن سبعين ، دار الرشيد للنشر ، (بغداد ، ١٩٨١م) ، ص١٤-٣١ .

(١) ابو محمد عبد الحق بن سبعين المرسي الأندلسي (٦١٣-٦٦٩هـ/١٢١٦-١٢٧٠م) ، رسائل ابن سبعين ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، سويسرا ، (برلين ، ١٩٥٦) ، ص٤-٥ ؛ ابو الوفا الغنيمي التفتازاني ، ابن سبعين وفلسفة الصوفية ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت ، ١٩٧٣م) ، ص١٨٠-١٨١ ..

(2) Levi Provencal , E. : Une heroine de La resistance Musulmance en Seile an debut du XIII (siecle , Orient Modereno , 1954) , V.34 , P.283-288.

التميز بين الفوقية الغربية والدونية الشرقية"[1]. وقد قام الحاجري بنقد أسلوب بروفنسال في الكتابة وفي تحقيق المخطوطات ففي نقد كتاب (التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة) ذكر عنه أنه : " يتعارض مع المسلك الذي سلكه في تحقيق نص الكتاب وذلك حين أعطى نفسه حق التصحيح والتقويم في كثير من المواضع"[2].

ب- المادحون

والحق إن كثيرا من المستشرقين اضطلعوا بمهارتهم بدقة ، ولعبوا دورا بارزا في إحياء الكثير من أمهات تراثنا العربي والإسلامي ولا ننسى بروفنسال إذ نرى الكثير من الكتاب والمؤرخين اعتمدوا عليه في كتاباتهم حيث تمتاز كتاباته بالعلمية وتوخي الحقيقة نوعا ما ، فنحن نستطيع توجس هذا الرضا من خلال المديح والتقدير للتراث والحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، فوجد الإنسان العربي المعاصر في هذه الأعمال مصدرا للاعتزاز بماضيه وتراثه وساعده ذلك كله على الاحتفاظ بشخصيته الثقافية عندما داهمته الثقافة الغربية المعاصرة[3].

ونتيجة اتساع كتابات بروفنسال عن الأندلس ولكثرة ما حققه ونشره من كتب التراث الإسلامي الأندلسي قلما يجد المرء دراسة عربية حديثة متعمقة عن الأندلس تخلوا من رجوعها الى كتاباته . فأول المادحين له شكيب ارسلان ، فمن يقرأ الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية هذه الموسوعة العظيمة في تاريخ الأندلس لا يغفل مدى اعتماد المؤلف على أفكار بروفنسال ويتلمس

---

(١) مالك بن بني ، انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ، عالم الفكر العربي ، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد ، ١٩٨٣م) ، العدد٢٢ ، ص١٣٠-١٤٤ .

(٢) الحاجري ، طه ، مذكرات عبد الله ، ص٣٣٠ .

(٣) بن نبي ، مالك ، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ، ص١٣٠-١٤٤ .

فضله ومديحه[١]. والأخر المؤرخ عمر فروخ الذي تتلمذ في باريس سنة ١٩٣٦م على يد بروفنسال فشاهد عند تقسيمه المستشرقين في بحثه يضع بروفنسال مع المستشرقين المحسنين[٢] ، أما الدكتور جودت الركابي فقد ختم مقدمته عندما حقق كتاب (ابن سناء الملك) بالثناء لأستاذه بروفنسال إذ يقول فيها : " أتقدم بعظيم شكري إلى جميع أساتذتي في جامعة باريس واخص بالذكر من بينهم الأستاذ المستشرق ليفي بروفنسال الذي كان له الفضل في توجيه انتباهي نحو هذا الكتاب وحثي على إحيائه"[٣] . ان هذا التوجيه لطلابه نحو إخراج ونشر التراث والحضارة العربية هو حصيلة تنقيب مخلص ومنتظم ليزودنا بشيء ذي فائدة ولن يكون إلا مدعاة للرضى والارتياح من جانبنا .

وقد أشاد بمؤلفات بروفنسال الدكتور محمد بن عبود في عدد من المقالات إذ يقول في احداها : " من الجلي الواضح ان ليس كل المستشرقين قد فشلوا في عرض آرائهم الفلسفية خلال أعمالهم التاريخية فالدراسة الممتازة التي كتبها ليفي بروفنسال (تاريخ المسلمين في أسبانيا) تبرز أمامنا بوصفها خير دراسة لعصر بني أمية في الأندلس "[٤].

أما الباحثون المعاصرون فانه من العسير أن تمر على احدهم دراسة عن تاريخ الحضارة العربية أو تاريخ الأندلس – دون أن يشير إلى كتابات بروفنسال – فهذا الباحث **حكمت الاوسي** عندما أراد الكتابة عن القوة العسكرية العربية عند الفتح الإسلامي للأندلس نراه اعتمد على معلومات واستنتاجات

---

(١) ارسلان ، الحلل السندسية ، ثلاثة أجزاء .

(٢) فروخ ، المستشرقون مالهم وماعليهم ، الجزء١ ، ص٥٤–٦٢.

(٣) ابو القاسم هبة الله بن جعفر ابن سناء الملك (٥٥٠–٦٠٨هـ/١١٥٥–١٢١١م) ، دار الطراز في عمل الموشحات ، تحقيق جودت الركابي ، دار الفكر ، (بيروت ، ١٩٧٧م) ، ص٣٢.

(٤) محمد بن عبود (دكتور) ، منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي ، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، مكتب التربية العربي لدول الخليج (الرياض ، ١٩٨٥م) ، الجزء١ ، ص٣٦٥.

بروفنسال فيقول : " أخذت برأي ليفي في كتابه (تاريخ أسبانيا المسلمة) وهي مطابقة للروايات العربية القديمة"[١].

أما المؤرخ الدكتور **عبد الرحمن علي الحجي** الذي أغنت مؤلفاته المكتبة الأندلسية فانه كان يسلط الضوء على مؤلفات بروفنسال وخاصة عندما يتحدث عن العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس ودول أسبانيا الشمالية خلال الفترة الأموية وعن السفارات التي كانت تأتي الى الأندلس[٢].

و- آخر أيامه

في الساعات الأولى من مساء يوم الثلاثاء المصادف (٢٣/آذار/١٩٥٦م) توفي بروفنسال . حينئذ نعاه صديقه غوس قائلا : " رحل من عالم الأحياء واحد من أفضل أصدقائنا الأسبان ودفن آماله راوية خاتمة السيطرة الإسلامية في أسبانيا التي رسمها من خلال ريشته التاريخية العظيمة"، وكتب أيضا في مجلة هيسبرس بعد وفاته:" لا أبالغ عندما أقول ان موت صديقي الحميم أرعدني كحادث غير متوقع وكنا قد قضينا في أيلول الماضي رحلة مشتركة الى كوبنهاجن(Copenhagun) وكان بروفنسال شديد الفرح بالطبيعة الخلابة التي تحيطنا،وهذا جعله شديد النشاط والاهتمام بالآثار الفنية، لكنه فجأة تكاسل وفضل عدم إكمال رحلتنا الأثرية التي انقطعت في الدانمارك(Dinamapude) وبعدها اعتلت صحته وعانى من نوبات خطيرة في باريس حيث لازم فراشه"[٣].

وعن أيام حياته الأخيرة التي لم يذكرها غير صديقه غوس نذكر أنه في شهر كانون الأول عام ١٩٥٥م كان غوس في رحلة إلى شمال أفريقيا وقد ذكرته بصديقه بروفنسال والدراسات الأندلسية والحضارة العربية الإسلامية لذلك عرج إلى باريس وعند وصوله إلى

---

(١) حكمت علي الاوسي ، فصول في الأدب الأندلسي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، (كلية الآداب ، ١٩٧١) ، ص١٨ .

(٢) الحجي ، أندلسيات ، ص ١٧٧-١٨١ .

(3) Gomez , Levi Provencal , V.XXI , P.1.

منزل ليفي يقول:" استقبلني منتهضا سريره وتحيط به وسائد كبيرة كانت عيونه شاخصة ومعتمة وفوق صدره تتقاطع يداه البيضاء الهزيلة التي لا تزال تكتب لي رسائل أخوية ولكن قد لا يلزمها تقديم أكثر للعلم،وأهله وأصدقاؤه لم يكونوا متشائمين مثلي،لم ارجع إليه بعد ذلك اللقاء ولكن خيال ذلك اللقاء الأخير في مخيلتي"(١).

مات بروفنسال عن عمر يناهز ٦٢ عاما إلا ثلاثة اشهر وأرخ من خلال مؤلفاته التاريخية الكثير عن الأندلس وعن الحضارة العربية الإسلامية فيها ، وقد كوفئ على جهوده في الاستشراق اذ عد المرجع الأول في المغرب لتاريخ الأندلس وأتم في دائرة المعارف الإسلامية ما كان قد بدأه زايبولد عن الأندلس بأوسمة رفيعة وعضوية جمعيات ، منها المجمع الأسباني والجمعية الملكية الآسيوية البريطانية .

---

(1) Gomez , Levi Provencal , V.XXI , P.2.

المبحث الثاني

بناؤه الفكري

أ- آثاره العلمية :

تنوعت كتابات ليفي بروفنسال في تاريخ الأندلس وحضارتها العربية الإسلامية وضمت كتبا عديدة فضلا عن عدد كبير من البحوث والدراسات وتحقيق المخطوطات ومن العوامل التي ساعدته على هذا الإنتاج الغزير والمتنوع وقوع المغرب الكبير تحت الاستعمار الفرنسي فاتيح له أن يدخل المكتبات العامة والخاصة ، وان يقع على مخطوطات لم تصل إليها يد غيره ككتاب (المقتبس) لمؤلفه أبي مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي المشهور بابن حيان (ت٣٧٧هـ-٤٦٩هـ/٩٨٧-١٠٧٦م) [1]. وهو مكون من عشرة أجزاء ، يتحدث فيه عن تاريخ الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى زمن المؤلف (عصر الطوائف)(٤٠٠-٤٨٤هـ/١٠٠٩-١٠٩١م)[2] وعلى هذا الكتاب تعتمد بالدرجة الأولى شهرة ابن حيان ومعرفتنا له حيث إن أجزاء منه هي التي بقيت لنا من مؤلفه الذي فقدت أكثر أجزائه والذي يهمنا هو الجزء الثاني ، غير كامل ، مخطوط في مكتبة القرويين بفاس بالمغرب ولا رقم له ، عثر على هذا الجزء ليفي بروفنسال ، يتحدث في هذا الجزء عن أيام عبد الرحمن الثاني (الأوسط) وأكثر أيام ابنه الأمير محمد وقد قام بتحقيقه الأستاذين الدكتور حسين مؤنس والدكتور محمود علي مكي من دون القطعة المفقودة من هذا الجزء الذي كان في حوزة بروفنسال وقد بقي عنده حتى وفاته وعاد إلى الفقدان بعده . ويؤكد هذا لطفي عبد البديع الذي تحدث عن مؤلفات بروفنسال بقوله : " كما وقف على

---

(١) ابو القاسم خلف بن عبد الملك الانصاري ، ابن يشكوال ،(ت٥٧٨هـ/١١٩١م) ،كتاب الصلة ، مطبعة الدار المصرية ، (القاهرة ، ١٩٥٥م) ، القسم١ ، ص١٥٤ ؛ عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، مطبعة الترقي ، (دمشق ، ١٩٥٧) ، الجزء٤ ، ص٨٨ .

(٢) حاجي خليفة ،كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، المكتبة الإسلامية الجعفرية ، (طهران ، ١٣٧٨) ، الجزء٤ ، ص١٧٩٢ .

قطعة من كتاب المقتبس لابن حيان أطلعني عليها وأنا في باريس في صيف عام ١٩٥٣م)[١].

وكان لا يرده في الحصول على المعلومات ما تواضع عليه الناس من سلوك أو ما ساد بينهم من أعراف ومهما تجاوز به الأمر حدود اللياقة أو الأخلاق[٢].من ذلك أنه قام بنبش القبور والتنقيب بها وقد كان بروفنسال يترجم الكتابة اللاتينية والعربية إلى الفرنسية وخاصة في قبور طليطلة حيث حصل على معلومات قيمة حول أخذهم وعطائهم وبيعهم وشرائهم وجميع صكوك معاملاتهم التي كانت تكتب بالعربية[٣] والى جانب ذلك عمل أستاذا في جامعات باريس والجزائر وفي المعاهد العليا في تونس والرباط[٤].فهم بروفنسال الظروف التي أحاطت بالأندلس فهما صحيحا وعرف الوضع العام في أسبانيا الإسلامية تحت الحكم العربي وعوامل الفتح وظروفه وتأثيراته في المجتمع الأندلسي ، والأوضاع العامة التي كانت سائدة في الأندلس قبل الفتح العربي .ووقف على طبيعته وعناصره ووضعه اللغوي وذلك لأنه قدم إلى الشرق وعاش فيه سنوات طويلة وأبدى إعجابه بحضارة الشرق وأهله ودرس أخلاق العرب وعاداتهم وطبائعهم ونظمهم ومعتقداتهم وعلومهم وآدابهم وصناعاتهم وتأثيرهم في المغرب[٥]. كل هذا سطره في كتبه ومقالاته التي نشرها في المجلات والصحف منها المجلة الأفريقية ومحفوظات البربر ،هسبريس ،اربيكا ،الكاتب المصري ،الأندلس ،كما نشر عددا من المقالات في دائرة المعارف الإسلامية ومجلة فرانكو للدراسات العربية الأسبانية وما كان يعده لمجلة منشورات المعهد الفرنسي بالقاهرة أو في مجال تحقيق المخطوطات أو في الترجمات المتنوعة المتصلة بتراث الإسلام في المغرب والأندلس ،كل هذه كانت بحوثا مفردة مع إننا في العالم العربي

---

(١) بروفنسال ، الحضارة العربية في أسبانيا ، ص٤ .

(٢) ارسلان ، الحلل السندسية في الاخبار والآثار الأندلسية ، الجزء١ ، ص٣٦٥ .

(٣) المرجع نفسه ، الجزء١ ، ص٣٦٥ .

(٤) حمدان ، طبقات المستشرقين ، ص١٨٨ .

(٥) عنان ، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، ص٣٣٤ .

لا نولي البحث المفرد من الأهمية ما نوليه للبحث العام الذي تجمع فيه المعلومات قبل تمحيصها وتسرد المسائل قبل تحقيقها .

لذلك نجد الكثير من كتبه كانت في الأصل هي بحوث مفردة التي تنصب على الموضوع ذاته ، وقد نقلت إلى العربية حيث جمعت بذات الاتجاه الرأسي لاستقصاء جزيئاته وتفريع مسائله واستخراج الحقائق التي يتبنى عليها البحث الكلي حتى تكون كتابا في فصول . كما فعل في كتابه (الإسلام في المغرب والأندلس) حيث نجده مجموعة من البحوث قد نشرت في مجلات مختلفة ، فجمع في كتاب ليسد فراغا في المكتبة العربية ومؤلفات ليفي بروفنسال في الأندلس والحضارة العربية يمكن ان نفصلها على الوجه الأتي :

١- في جانب الدوريات والصحف

كتب ليفي بروفنسال عشرات من البحوث والمقالات والدراسات في الدوريات العلمية ،وإعتمد في بحوثه على حقائق تضمنتها مخطوطات غير منشورة مما أضفى عليها جدة وإصالة[1]، ومن هذه البحوث مايأتي :

أ- ففي المجلة الأفريقية نشر سنة ١٩١٨م بحثا بعنوان (نشيد شعبي من الجبل المراكشي) وفي سنة ١٩٢٠م نشر (كتابان جديدان في تمجاد).

ب- وفي محفوظات البربر ، نشر (قائمة بألقاب قبائل جبلة الشعيبة ، السنة ١٩١٧م ، العدد٢) ، و (ممارسة الزراعة والأعياد الموسمية لقبائل جبلة في وادي الاوراغة ، السنة ١٩١٨م ، العدد٣) ، و (أخبار أولياء المغرب ، سنة ١٩٢٠م ، العدد ٤) .

ت- أما عن مجلة هيسبرس (Hesperis) تصدر بالأسبانية ، مدريد ، كما تحدثنا سابقا عن تأسيسها فقد نشر ليفي عددا كثيرا من الموضوعات وقد ترجمت إلى العربية نذكرها أدناه :-

- (بيان عن قرآن من القرن الرابع عشر) ، سنة ١٩٢١م ، العدد١ .

---

(١) العقيقي ، المستشرقون ، ج١ ، ص٢٧٥-٢٨٢ .

- آخر الأعمال في تاريخ الأدب المغاربي للأعوام ١٩١٤/١٩٢١م ، سنة ١٩٢٢م ، العدد٢ .
- (رنيه باسيه ، ١٨٥٥-١٩٢٤م) ، سنة ١٩٢٤م .
- (هنري باسيه ، ١٨٩٣-١٩٢٦م) ، سنة ١٩٢٦م .
- (تعليق على تاريخ الموحد ، الجزء الثالث : نظرة جديدة من تاريخ الموحد ، مجهول المؤلف) ، سنة ١٩٣٠م .
- (على ذكر جسر القاضي بغرناطة) ، سنة ١٩٣٠م .
- (الفونسو السادس وفتح طليطلة ١٠٨٥)،سنة ١٩٣١م ، العدد ١٢.
- (اختصار الأخبار لمحمد بن القاسم الانصاري متنا وترجمة ، مع مقدمة وتعليق ومعجم) ، سنة ١٩٣١م ، العدد١٢ .
- (مخطوطات جديدة من الذخيرة لابن بسام) ، سنة ١٩٣٣م ، العدد ١٦ .
- (الموحدة زائدة زوجة الفونسو السادس القشطلي وابنها دون سانشو) ، سنة ١٩٣٤م ، العدد١٨ .
- (مخطوطات من مكتبة الخليفة الحكم الثاني) ، سنة ١٩٣٤م ، العدد١٨ .
- (الموحدة زائدة كنة المعتمد) ، سنة ١٩٣٤م ، العدد١٨ .

ث- مجلة اربيكا (Arabica) أسسها ليفي سنة ١٩٥٤م وأصبحت أهم مجلة فرنسية متخصصة في الآداب العربية والعلوم الإسلامية ليلتقي حولها المستشرقون المتخصصون في الدراسات العربية بعامة وفي المغربية والأندلس بخاصة ، وهي لا تزال توالي صدورها وتتمتع بقدر كبير من التقدير والاحترام في دوائر المثقفين[١]، ومن الموضوعات التي نشرها بروفنسال في هذه المجلة هي :

---

(١) حمدان ، طبقات المستشرقين ، ص١٨٨ .

- (المقتبس لابن حيان ، قطعة من مخطوطة القرويين بفاس) ، سنة ١٩٥٤م ، الجزء ١ ، العدد ١ .
- (وثيقة غير منشورة عن غزوة سعديا للسودان) ، سنة ١٩٥٥م ، الجزء ٤ ، العدد٢ .

وفي سنة ١٩٥٥م ، الجزء ٥ ، العدد ٢ نشر ليفي موضوعين هما :-

١. لقب الرئاسة للمراودين وتصديق خلافة العباسيين عليه .
٢. مقالة أدب الكاتب لأبي بكر بن خلدون واستقرار الرازين بالأندلس .

ج- مجلة الأندلس تصدر في أسبانيا ، وقد تحدثنا عنها سابقا ، ونشر ليفي بروفنسال موضوعات كثيرة فيها نبين منها :

- (شذرتان جديدتان من مذكرات عبد الله آخر ملوك غرناطة) ، سنة ١٩٤١م ، العدد٦ .
- (الغزوة الارغونية عام ١٣٠٩م للمريه ، سنة ١٩٤١م ، العدد٦
- (سياسة عبد الرحمن الثالث الأفريقية) ، سنة ١٩٤٦م ، العدد ٩
- (دراسة عن بلنسيو والعرب من تاريخ أسبانيا العام) ، سنة ١٩٤٨م ، العدد١٣ .
- بمعاونة مينداث[*] (دراسة عن الفونسو السادس) ، سنة ١٩٤٨م ، العدد١٣ .
- (وقعة الزلاقة ١٠٨٦م بمعاونة اميليو جارثيا جوميث واوليفر آسين) ، سنة ١٩٥٠م ، العدد ١٥ .
- (إعادة قراءة طوق الحمامة) ، سنة ١٩٥٠م ، العدد ١٥ .

(*) ر. مينـدث بيـدال (١٨٨٩-١٩٣٩) ، كاتب اسباني ، لـه عـدة مؤلفـات في الادب الأندلسي انتخب عضـوا في المجمع اللغوي الاسباني (١٩٠٢م) ، وفي مجمع التاريخ (١٩١٢م) وحصل على اكبر جائزة اسبانية للدراسات التاريخية (١٩٥٦م) ، ويشرف على لجنة تصنيف تاريخ أسبانيا العام ، وضع في نحو ٣٠ جزءا ، اشترك مع ليفي بروفنسال بدراسات عديدة ، للمزيد ينظر العقيقي ، المستشرقون ، الجزء٢ ، ص٥٩٩ ؛ ليفي بروفنسال ، حضارة العرب في الأندلس ، ص١٢٢ .

- (نصوص غير منشورة من المقتبس لابن حيان) بمعاونة اميليو جاريثا جوميث) ، سنة ١٩٥٤م ، العدد ١٩ .

ح- مجلة الكاتب المصري : تصدر في القاهرة نشر ليفي فيها عددا من المقالات نذكر منها (تراث الأندلس) ، سنة ١٩٤٧م ، العدد ٤ .

خ- مجلة معهد الدراسات الشرقية : تصدر بالقاهرة نشر فيها (تأسيس فاس) سنة ١٩٣٨م ، العدد ٤ .

د- دائرة المعارف الإسلامية : نشر فيها عددا من المقالات نقتطف منها :-

- كتب عن الصميل ، المجلد ١
- كتب عن مدينة (شيرش) ، المجلد ٩ .
- كتب عن مدينة (رندة) ، المجلد ١٠ .
- كتب عن مدينة (الزلاقة) ، المجلد ١٠ .
- كتب عن مدينة (بلنسية) ، المجلد ١٠ .
- وكتب في المجلد ١٢ موضوعين هما :-

١. من حياة الناصري احمد بن خالد السلاوي .
٢. بني تجيب ابان حكم المسلمين للأندلس في عهد الخلفاء الأمويين .

٢- التأليف والكتب

تناول بروفنسال في كتابته الحضارة العربية الإسلامية وتاريخ الأندلس والنظم الإسلامية في مختلف النواحي، فقد وصف في مؤلفاته اصل الجنس العربي في الأندلس والبيئة العربية وعرض للتاريخ السياسي للإسلام بصورة يأخذ بمجامع قلوب القراء في إنشائه ، ومن بين مؤلفاته نذكر :-

١- تاريخ أسبانيا المسلمة ، وهو من دون شك كتاب مهم من الناحية العلمية ومن الناحية الفنية وعمل يعتمد على تحليل نقدي للمصادر المتمثلة في الفقرات المطلوبة من التاريخ الأندلسي والفترة العربية

الإسلامية في أسبانيا المسلمة . ولو اقتصرنا على هذا الكتاب وحده لحق علينا ان نعدّه من أهم المؤرخات الأندلسية وكان يفوق كل من سبقوه في انه يرى المصدر كلا متكاملا . ولذلك وقف حيال المدونات الفنية عظيما رفيعا وكان في إحساسه انه ينبغي تجديد كل شيء من أساسه لا يجد ضرورة ملحة في الاحاطة بكل شيء علما وفي مناقشته وتمحيصه[1] نشره باللغة الفرنسية عام (١٩٥١م) بعنوان (Histoire de l'Espagne musuilmane) بثلاثة أجزاء كبيرة[2] تبدأ من الفتح العربي عام (٩٢هـ/٧١١م) إلى سنة (٤٢٢هـ/١٠٣١م) وفيها سقطت الدولة الأموية حيث عزلت السلطتين الزمنية والروحية وعزل آخر خلفائها هشام الثالث المستنصر بالله وأجلي من تبقى من المروانية عن قرطبة ودخلت الأندلس تحت حكم الملوك والطوائف (حكم دويلات المدن) ، وفي ذلك يقول ابن الخطيب : " ومشى البريد في الأسواق والارباض بان لا يبقى احد بقرطبة من بني أمية ولا يكنفهم احد) [3]. وكان ليفي في نيته أن يمضي في كتابة تاريخ أسبانيا الإسلامية بعد تلك الحقبة لكن عاجلته المنية وحالت دون إكماله[4].

٢- أسبانيا المسلمة في القرن العاشر الميلادي ، النظم والحياة الاجتماعية (باريس ، Larose ، ١٩٣٢م) [5] .

٣- تأملات في دولة المرابطين في بداية القرن الثاني عشر ، صدر في ذكرى الاحتفال بمرور خمسين عاما على تأسيس كلية الآداب ، جامعة الجزائر ، ١٩٣٢م) [1] .

---

(١) عنان ، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، ص٣٣٤ .

(٢) فروخ ، المستشرقون مالهم وما عليهم ، ص٦١ .

(٣) ابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج٣ ، ص١٥٠-١٥٢ .

(٤) الشكعة ، مناهج المستشرقين ، ج٢ ، ص٢٨٧ .

(٥) العقيقي ، المستشرقون ، ج١ ، ص٢٧٨ .

٤- حضارة العرب في الأندلس ، ترجمة ذوقان قرقوط ، دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، د.ت) .

٥- كتاب نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى ، مطبعة لاروز، (باريس ، ١٩٤٨م) .

٦- الشرق الإسلامي والحضارة العربية الإسلامية ، دار الطباعة المغربية ، (تطوان ، ١٩٥١م) .

٧- محاضرات عن أسبانيا المسلمة ، مجموعة محاضرات ألقيت بكلية الآداب / جامعة فاروق الأول بين سنتي ١٩٤٧-١٩٤٨ ، ترجمة وتحقيق عبد الهادي شعيرة ، منشورات كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، (القاهرة ، ١٩٥١م) .

٨- الحضارة العربية في أسبانيا ، ترجمة احمد مكي الطاهر ، دار المعارف ، (مصر ، ١٩٧٩م) .

٩- فهرسة أسماء الكتب المخطوطة والمحفوظة في خزانة المدرسة العليا للغة العربية واللهجات البربرية بعاصمة رباط الفتح المحروسة ، (باريس ، ١٩٢١م) .

١٠- الإسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة كل من السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي ، راجعه لطفي عبد البديع (مطبعة النهضة ، القاهرة ، ١٩٥٦م) .

(١) العقيقي ، المستشرقون ، ج١ ، ص٢٧٨ .

٣- التحقيق ونشر المخطوطات

نالت المكتبة العربية الإسلامية اهتماما متميزا من الدراسات الاستشراقية وبشكل خاص الدراسات الفرنسية وكان من نتائج هذه الاهتمامات المتنوعة تحقيق عدد كبير من المخطوطات العربية النادرة ومع أن بعض تحقيقاتهم اعتمدت نسخة أو نسخا معدودة ، وكانت اقرب للنشر منها إلى التحقيق ،لكن أعمالهم هذه أفادت المكتبة العربية كثيرا باغنائها بالكتب المحققة وقد ركزت الدراسات الاستشراقية الفرنسية على مدن منطقة بلاد المغرب أو ما يسمى بالمغرب الإسلامي[(١)].

وفيما يتعلق بنشاط ليفي بروفنسال في هذا الجانب ما ذكرناه من ان من بين اهتمامه انه قدم إلى أسبانيا ليكمل الجزء الثالث من فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الاوسكوريال[(٢)]. وتواصل عمله في النشر والتحقيق إلى نهاية حياته . ولم يكل يوما عن البحث والتقصي عن مخططات جديدة يمكن نشرها ولكن عمله هذا أوقعه في أخطاء كثيرة أبعدته عن المنهج العلمي للتحقيق والمتمثلة في (جمع النسخ وإجراء المقابلة والنقد الداخلي والخارجي وعدم التجاوز على المتن) [(٣)].

نشر بروفنسال كتاب (صفة جزيرة الأندلس) منتخبة من كتاب (الروض المعطار في خبر الأقطار) للحميري ، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (٨٦٦هـ/١٤٦١م) [(٤)]، وقد قام الدكتور صلاح الدين المنجد بدراسته[(٥)] فوجد أن

---

(١) منتران ، الاستشراق الفرنسي ، أصوله وتطوره ، ص٣٦ .

(٢) العقيقي ، الجزء٢ ، ص٥٧٦ .

(٣) صلاح الدين المنجد (دكتور) ، قواعد تحقيق المخطوطات ، ط٤ ، دار الكتاب الجديد ، (بيروت ، ١٩٧٠) ، ص٧-٨ ؛ برجستراسر (١٨٨٦-١٩٣٢م) ، أصول نقد النصوص ونشر الكتب ، مطبعة دار الكتب ، (القاهرة ، ١٩٦٩م) ، ص٨٨-١٢١ ؛ عبد السلام هارون (دكتور) ، تحقيق النصوص ونشرها ، دار المعارف (القاهرة ، ١٩٥٤م) ، ص٢٤-٥٥ .

(٤) ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري (ت٨٦٦هـ) ، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، نشر وتحقيق وتعليق حواشيه أ.ليفي بروفنسال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، ١٩٣٧م) ، الصفحات (ت،ث) .

(٥) صلاح الدين المنجد (دكتور) ، مواد أندلسية جديدة من الروض المعطار ، مجلة معهد المخطوطات العربية (جامعة الدول العربية ، ١٩٥٩) ، المجلد ٥ ، الجزء ١ ، ص٥٧-٥٨ .

بروفنسال اعتمد على مخطوطتين بلا تاريخ وثالثة مبتورة الأول والآخر ورابعة نشرت في مراكش سنة ١٠٤٩هـ ، وهذا ما توفر له واعتمد عليه يومئذ غير ان معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية استطاع أن يصور مخطوطتين أخريين من الروض وهما أقدم من النسخ التي اعتمد عليها ، أحداهما في مكتبة عارف حكمة بالمدينة المنورة (رقم٣٦٥) تاريخ كتابتها سنة (٩٧١هـ/١٥٦٣م) والثانية في مكتبة بيرم باشا الملحقة بنور عثمانية (رقم٤٤) كتبت في حدود سنة (٩٩٠هـ/١٥٨٢م) ويقول المنجد : " وكنت أخبرت الأستاذ ليفي بوجود هاتين المخطوطتين في زيارته الأخيرة للقاهرة عام ١٩٥٤م"[١]. ولكن وفاة ليفي بروفنسال حالت دون قيام ذلك فقام المنجد بالمقابلة بين المخطوطتين والنص المنشور فتبين له أن المخطوطتين تحمل مادة جديدة تتعلق بالأندلس لا توجد بالنص الذي نشره ليفي وقام المنجد بنشره في مجلة معهد المخطوطات العربية بالتتابع[٢][*].

ومن الأخطاء التي وقع فيها بروفنسال في التحقيق هو اعتماده على طلابه أو معارفه لمراجعة النص وهذا ما أشار إليه هو نفسه ففي مقدمة كتاب نسب قريش يذكر : " علّي ان أشكر أعواني وخلصة طلابي ألان وطلابي القدماء في السوربون الذين أشركتهم في العمل"[٣]. ومن أخطائه الأخرى أنه قام بنشر كتاب (التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة) والذي ذكره أبو الحسن النباهي (مالقه ٧١٣-غرناطة ٧٩٣هـ) في كتابه (المرتبة العليا) ولكن بروفنسال

---

(١) المنجد ، مواد أندلسية جديدة من الروض المعطار ، ص٥٨ .

(٢) المرجع نفسه ، ص٥٨ .

(*) لو رجعنا الى كتاب صفة جزيرة الأندلس الذي نشره ليفي ، نشاهد ان مدينة (شاطبة) قد استقطبت من المخطوط الاصلي الذي عمل عليها ليفي في حين أضافها المنجد الى الكتاب عندما حققه ، ينظر : بروفنسال ، ليفي ، صفة جزيرة الأندلس ، ص١٠٠-١١٧ .

(٣) عبد الله بن بلقين بن ادريس بن زيري (٤٤٧-٤٨٣هـ) ، التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة ، نشر وتحقيق أ.ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، (القاهرة ، ١٩٥٥م) ، ص٧ .

انتحل له عنوان(مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بين زيري بغرناطة (٤٤٩ – ٤٨٣هـ / ١٠٥٧ – ١٠٩٠م) [١].

وقع الكتاب في نفسه وقال : " إن الكتاب إلى جانب كونه وثيقة تاريخية فهو وثيقة لغوية من طراز خاص إذ نستطيع أن نتبين منه طائفة من الاستعمالات اللغوية التي تنفرد بها الأندلس والمغرب العربي) [٢]. ان تغيير العنوان ليس من حقه وهو مخالف لضوابط التحقيق والنشر .

أما المخطوطات التي قام بروفنسال بنشرها بنفسه او بمعاونة آخرين فضلا عن ما ذكر أعلاه فنذكر ما يأتي :–

- (أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين) ، لأبي بكر الصنهاجي المكنى البيذق ، ونشرها في الشركة الفرنسية للمطبعة مدينة انجي (باريس، ١٩٢٨م) ، يتكون من ثلاث أقسام ، الأول رسائل للإمام المهدي والخليفة عبد المؤمن والثاني المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب (ويقصد أصحاب المهدي بن تومرت) أي حكام الدولة الموحدية والقسم الثالث تاريخ الموحدين لأبي بكر بن علي الصنهاجي المكنى البيذق
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، لابن عذارى المراكشي ، قام بروفنسال بتحقيق المجلد الأول ، تاريخ شمالي أفريقيا من الفتح إلى القرن الحادي عشر ، والمجلد الثاني ، تاريخ أسبانيا المسلمة من الفتح إلى القرن الحادي عشر طبعه بمعاونة كولين في ٧×٧×٣١٨×٣٠١ صفحة (ليدن ١٩٤٨–١٩٥١م) [٣] والجزء الثالث قام بروفنسال بنشر قطعة (تاريخ المرابطين) وهي قطعة جليلة الشأن في إلقاء الأضواء على تلك الفترة التي فقدت أكثر مصادرها الأهلية ، وقد كانت أوراقا وعثر عليها ليفي بروفنسال

(١) المرجع نفسه ، ص٨ .

(٢) العقيقي ، المستشرقون ، الجزء١ ، ص٣٨٠ .

(٣) بروفنسال ، الإسلام في المغرب والأندلس ، ص٢٠٢ .

ونشر منها الجزء الخاص باستيلاء السيد الكنبطور على بلنسيه ثم قام الأستاذ هويس ميراندا بنشر سائرها في مجلة هيسبرس عام(١٩٦٠م) [(١)].

- صفة جزيرة الأندلس ، منتخبة من كتاب (الروض المعطار في خبر الأقطار) ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري ، جمعه سنة ٨٦٦هـ وهو معجم جغرافي تاريخي ، نشرها وصححها وعلق عليها ليفي بروفنسال ، (القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٩٣٧م)
- نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى ، منتخب من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر لمؤرخ مجهول الاسم ألفه سنة (٧١٢هـ/١٣١٢م) ، اعتنى بنشرها وتصحيحها أ.ليفي بروفنسال ، معهد العلوم المغربية العليا ، (الرباط ، ١٩٣٤م) في ١٠١ صفحة .
- جزء من صلة الصلة ، لابن الزبير ، وهو تقويم للسير الأندلسية في القرن الثالث عشر الميلادي في ٣٨٥ صفحة (الرباط ، ١٩٣٨م) .
- سبع وثلاثون رسالة رسمية لديوان الموحدين ، في٧×٢٧٤ صفحة (الرباط، ١٩٤١م) .
- مجموعة رسائل رسمية للموحدين ، في ٧٨ صفحة (باريس ، ١٩٤٢م) .
- كتاب رايات المبرزين وشارات المميزين لابن سعد المغربي ، متنا وترجمة أسبانية بتعليقات إضافية (مدريد ، ١٩٤٢م) .
- آداب الحسبة ، لابن عبدون ، بترجمة فرنسية مع مقدمة وتعليقات في ٣١×١٧٨ صفحة ، مجلة الإسلام بالأمس واليوم ، المجلد ٢ ، (باريس ، ١٩٤٧م) .
- تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا للنباهي ، في ١٠×٢٤٧ صفحة ، دار الكاتب المصري ، (القاهرة ، ١٩٤٨م) .

---

(١)العقيقي ، المستشرقون ، الجزء١ ، ص٢٧٨ .

- تاريخ غفل لعبد الرحمن الثالث الناصر ، في ١٧٦ صفحة ولوحين مستقلين ، منشورات معهد منخيل آسين (مدريد ، غرناطة، ١٩٥٠م) .
- جمهرة انساب العرب ، لابن حزم الأندلسي ، في ١١٢×٥٢٤×١١ صفحة ، مجموعة ذخائر العرب ، الجزء ٢ ، دار المعارف (القاهرة ، ١٩٤٨م) .
- وصف عربي غير منشور للحميري عن جزيرة كريت ، قام بترجمته للإيطالية ، مجموعة تكريم ليفي إلى دلافيدا ، (روما ، ١٩٥٦م) ، المجلد ٢ .
- صحيح البخاري ، وهو تصوير بالزنكوغراف للإحصاء المغربي العتيق المعروف بإحصاء ابن سعدة الذي وضعه في مرسيه عام (٤٩٢هـ-١٠٩٨م) مع مقدمة وتذييل بدراسة إضافية في ١٧٧×٣٠×٣٩ صفحة (باريس ، ١٩٢٨م) .

ولو أردنا أن نعرف عن المستشرق ليفي بروفنسال وما ناله في حياته الممتدة بين (١٨٩٤-١٩٥٦م) من شهرة وتقدير بين المؤرخين الذين بحثوا عن الأندلس والحضارة العربية الإسلامية وهو مستشرق فطن إلى فضل العرب والحضارة العربية على حضارة أوربا فاخرج كتاب حضارة العرب في الأندلس الذي ترجمه للعربية ذوقان فرقوط ومن كتبه الحضارة العربية في أسبانيا ترجمة الدكتور الطاهر احمد مكي ومنها كتاب نخب جامعة لأخبار المغرب الأقصى والكثير من المحاضرات التي القاها عن فضل الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية .

لقد سلك في مؤلفاته طريقا لم يسبقه إليها احد فجاء جامعا لعناصر هذه الحضارة وتأثيرها على العالم ، شاملا لجوانبها باحثا في قيام دولة العرب وفي أسباب عظمتهم مبتعدا عن أوهام المستشرقين الأوربيين التقليدية في العرب والإسلام .

الفصل الثالث

المنهج التاريخي عند ليفي بروفنسال وسمات مؤلفاته

المبحث الاول

المنهج التاريخي عند ليفي بروفنسال

اذا عرضنا توجه ليفي بروفنسال الدراسي والفكري لتاريخ الأندلس على النقد ، فإننا بكثير من الجهد ، وحتى من الصرامة المفتعلة قد نلمح انه ابتعد عن الأهداف المعروفة للاستشراق ، او بعبارة أخرى يمكن القول انه اتبع المنهج العلمي في الدراسات الاستشراقية بعيدا كل البعد عن الأهداف الأخرى التي تسعى الدراسات الاستشراقية الى تحقيقها في خدمة الغرب الأوربي .

انه مؤرخ معجب بهذا الشرق وبالحضارة الشرقية الإسلامية ، وأكد ذلك في كثير من كتبه فعلى سبيل المثال يقول : " وأريد في هذه السلسلة من المحاضرات عن أسبانيا الإسلامية التي كرست لها مدى سنين طويلة ..... كما قد تعلمون – صفوة جهودي الدراسية "[١]، وفي مكان آخر يقول : " التواصل الدراسي للمدينة الإسلامية في العصور الوسطى ، ويجهدنا لاستكشاف بعض نواحيها المهمة ونشر مصادرها التي اتيح لنا إخراجها من زوايا النسيان وبقيامنا بالدفاع عن تلك المدينة والتقدير لمجدها ، والرفع لمنارها والانتصاف في ازدهار الأدب والفنون الجميلة في أوربا . فنتمنى ان يساعدنا الدهر في المستقبل ولا نخيب أولئك الأصدقاء في مأمولهم منا ، وان لا تزال الأيام تؤهلنا لعطفهم وتشجيعهم وتحبيذهم ، وتمكننا من تتبع نشاطنا الدراسي الاعتيادي بحب ميلنا إليه وعنايتنا بمختلف مظاهر الثقافة العربية وتحديدها الحالي المعجب "[٢].

(١) ليفي بروفنسال،محاضرات عن أسبانيا المسلمة ، ترجمة وتحقيق عبد الهادي شعيرة ، جامعة فاروق ، (القاهرة ، ١٩٥١) ، ص٢

(٢) ليفي بروفنسال ، مجموعة رسائل موحدية من إنشاء كتابات الدولة المؤمنية ، المطبعة الاقتصادية ، (الرباط ، ١٩٤١) ، الصفحة ز .

وبناء على ما تقدم فانه من الإنصاف القول إن بروفنسال بمشاعره الإنسانية القوية وثقافته الموسوعية العالية المتفتحة ، قد كان من بين أوائل المستشرقين الذين حاولوا وضع الاستشراق على محك العلوم الإنسانية ، بل ودمجه فيها ، وهذا ما نلمسه من خلال مقالات عديدة في علم الاجتماع الحضري واللسانيات والتاريخ . ويعد من المؤرخين الذين قاربوا الإسلام (دينا وثقافة) ، فيقوم بتحليله على رؤى ثبوتية وماهوية واختزالية فيتبع المنهج التاريخي بالبحث في كيفيات المادة وأحوال تغيرها لا في ماهيتها(١)

.

صفات منهجه

١- الاستقراء والخبر

وهذا الاستكشاف لا يتم إلا بمنهج الاستقراء(*) وخير مثال على ذلك معالجته موضوع السفارات بين قرطبة وبيزنطة في القرن (٣هـ/٩م) فقد قدم دراسة وافية مستفيضة متكاملة منتقدا منهج دوزي(**) في كتابه (تاريخ مسلمي أسبانيا)(٢) الذي وصفه بعدم الوضوح والإيجاز وذلك في قوله : " غير إن هذا العالم الهولندي وغيره من المؤرخين الذين جاؤوا بعده – لم يوضحوا هذه العلاقات إلا بإيجاز" (٣) .

---

(١)صبحي ، في فلسفة التاريخ ، ص١٢ ..

(*) منهج الاستقراء : يقتضي جمع اكبر عدد ممكن من الأحوال المتعلقة بالظاهرة المراد دراستها في الظروف المتغيرة من اجل الوصول الى القانون ، للمزيد ينظر : صبحي اعلاه ، ص١٢ ؛ الموسوعة الفلسفية ، م . روزنتال ، ط٢ ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، (بيروت ،د.ت) ، ص٥٠٣ .

(**) رينهارت دوزي (١٨٣٠-١٨٨٣م) ، مستشرق هولندي من اصل فرنسي ،كان أستاذا في جامعة ليدن – اشتهر بدراساته الأندلسية – وفي مقدمتها كتابه اعلاه (٤ أجزاء) للمزيد : ينظر الموسوعة الميسرة ، ص٨١٧ .

(٢) رينهارت دوزي ، تاريخ أسبانيا المسلمة ، مراجعة ليفي بروفنسال ، ترجمة حسن حبشي (القاهرة ، ١٩٦٣) .

(٣) بروفنسال ، الإسلام في المغرب والأندلس ، ص٩٢ .

وعندما يستعرض المؤرخين المسلمين الذين تناولوا تلك السفارة ما يرى إن ما أشار إليه المقري (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م)[١] ضئيلٌ جدا لا يسمح برسم الصورة الصحيحة للعلاقات العربية البيزنطية[٢] حيث يكتفي المقري بذكر قدوم سفارة من قبل الإمبراطور توفلس إمبراطور الأسرة العمورية[*] إلى قرطبة .

وبقي ليفي يبحث عن هذه السفارات إلى أن عثر على نصوص جديدة مجتمعة في مخطوط مكتبة جامع القرويين بفاس وصفها بقوله : " وفيها عثرت على القضية الخاصة بالأمويين في أسبانيا المسلمة أبان القرن التاسع "[٣] . وبعد دراستها أتضح إنها تؤلف المجلد الثاني من كتاب (المقتبس) لمؤلفه أبي مروان ابن حيان (٤٦٩هـ/١٠٧٧م) مؤرخ الأندلس ، ومن صفات مؤلفاته انه يتدرج في عرض الحوادث مرتبة حسب السنين . وذكر أن هناك سفارات مزدوجة للعام (٢٢٥هـ/٨٣٩-٨٤٠م)[٤] . وتحقق ليفي من المصادر التي استقى ابن حيان مادته التاريخية التي تهم السفارات فوجد أنها منقولة من مؤرخين عاشا في زمن مقارب لعصره ، وهما الحسن بن محمد بن مفرج (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م)[٥] ، وعيسى بن احمد الرازي (توفي في القرن العاشر) ، يقرران ان سفيرا من لدن الإمبراطور توفلس ملك الروم الكبير وصاحب القسطنطينية قد وصلا في سنة (٢٢٥هـ/٨٣٩-٨٤٠م) إلى العاصمة

---

(١) المقري ، نفح الطيب عن غصن الأندلس الرطيب ، ط٣ ، (ليدن ، ١٨٨١) ، ج١ ، ص٢٢٣ .

(٢) بروفنسال ، الإسلام في المغرب والأندلس ، ص٩٢

(*) عمورية ، بلد ببلاد الروم ، غزاه المعتصم وفتحه وكان من أعظم فتوح الإسلام ، للمزيد انظر : صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت٧٣٩هـ/ ١٣٣٧ ، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار احياء الكتب العربية ، (القاهرة ، ١٩٥٤) ، الجزء٢ ، ص٩٦٣ .

(٣) بروفنسال ، المصدر نفسه ، ص٩٦ .

(٤) ابن حيان القرطبي ، المقتبس باخبار بلد الأندلس ، قطعة بتحقيق ليفي بروفنسال في مجلة الأندلس **Al-Anddalus** ، غرناطة (مدريد ، ١٩٥٤) ، م١٩ ، القسم الثاني ، ص٣٠٤ ، مخطوطة القرويين ، لارقم لها وتمثل الجزء الثاني من المقتبس ، طبع في بيروت ، تحقيق محمود علي مكي .

(5) Boignes , ponsfvancisca , historiadors y geografos Arabgo-Espanoles , medrid , 1898 , p11 , N586 .

الأندلسية[١] . وأوضح بروفنسال إن السفير هذا كان يعمل ترجمانا بالبلاط البيزنطي واسمه قراطينوس الرومي ، وكان يحمل هدايا إلى أمير الأندلس ورسالة رسمية يطلب فيها توفلس من عبد الرحمن الأوسط مواصلته ويرغبه في ملك سلفه بالمشرق ، ويطلب منه ان يعقد معاهدة صداقة معه[٢] .

وعندما يوازن بروفنسال بين ابن حيان والمقري يثني على ابن حيان وقال : " انه لم يجد غير هذه الوثائق وعد معلوماته هي الإثبات القاطع للسفارة على الرغم من وجود معلومات في مؤلفات أخرى كحكايات ابن الغزال[*] " [٣] ، والتي وصفها بأنها : " ليست بذات أصالة كبيرة لكنها بلا ريب تكون ذات قيمة ، لأنها حجة تؤيد ما ثبت في مخطوط ابن حيان وهي أخيرا أخبار لا تخلوا من الأهمية " [٤] .

ومن متابعته لقضية السفارات بين الإمبراطور البيزنطي وأمير قرطبة يتضح لنا أن بروفنسال قد طبق المنهج التاريخي ، فهو جمع اكبر عدد ممكن من الوقائع التاريخية في ظروف مختلفة وقام بدراستها لهدف الوصول إلى أحكام كلية وصياغتها صياغة علمية دون أن يحول قداسة النص حيث حافظ على (الصدق ، وعدم التشويه ، والاهتمام بالجانب الحضاري) وأعطانا نصا حديثا في ضوء خبرته بالماضي[٥] .

(١) مؤنس (دكتور) ، الجغرافية والجغرافيون في الأندلس ، معهد الدراسات الإسلامية ، (مدريد ، ١٩٥٩-١٩٦٠) ، المجلد ٧-٨ ، ص٢٥٢ .

(٢) بروفنسال ، الإسلام في المغرب والأندلس ، ص٩٧ .

(*) يحيى ابن حكم المعروف بالغزال (١٥٦-٢٦٠)هـ /(٧٧٢-٨٦٤)م ، شاعر بمثابة تلميذ عباس بن ناصح الذي استفاضت شهرته ايام الحكم الرفضي لقب بالغزال لوسامته وظرفه أوفده أمير البلاد الى القسطنطينية في سفارة الى الإمبراطور البيزنطي توفلس استجابة لرغبة الامبراطور في عقد معاهدة مودة بين قرطبة والقسطنطينية ، للمزيد انظر أخباره وأشعاره في نفح الطيب للمقري ،الجزء ١،ص ٤٤١-٤٤٦ والجزء٢،ص ٢٥٦-٢٥٩ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، الترجمة ٨٨٧ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، الترجمة ١٤٦٧ ؛ المراكشي، المغرب في حلي المغرب ،الجزء ٢،ص ٥٧ .

(٣) بروفنسال ، "الشعر العربي الكلاسيكي في الأندلس " ، محاضرات عن أسبانيا المسلمة ، الجامعة الإسكندرية ، (القاهرة ، ١٩٥١) ، المحاضرة الاولى ، ص٦-٧ .

(٤) بروفنسال ، الإسلام في المغرب والأندلس ، ص١٠٧ .

(٥) احمد محمود صبحي ، في فلسفة التاريخ ، ص٢٢-٢٣ ؛ هـ.أ.مارو ، من المعرفة التاريخية ، ترجمة جمال بدران ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، (القاهرة ، ١٩٧١) ، ص٣٥ .

٢- مجدد ويهتم بالمفاهيم التعبيرية

وصفة أخرى في منهج بروفنسال التاريخي هي انه مجدد ويهتم بالمفاهيم التعبيرية في النسق الثقافي فلو فحصنا كتابه (مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية) الذي أصدره عام (١٩٤١م) نجد انه يقول في مقدمته : " فمن راجع درسنا سيجد فيه برهانا عما قدمناه من قيمتها ، وكذلك بعض الإشارات على أسلوبها الاصطلاحي ومميزاتها التعبيرية والضوابط الشكلية التي كان يراعيها الكتاب في المكاتبة الرسمية " [١] .

٣- اهتمامه بالحقيقة الجوهرية

ومن سمات منهجه اهتمامه بالحقيقة الجوهرية ، فهو وفق المنهج التاريخي يحمل البصيرة التاريخية ، فيبقي الواقعة التاريخية حية في ذهنه لأنه يملك عليها دليلا تاريخيا أي " يصبح التاريخ حدسا وليس مجرد فكر ، حدسا يحيي فيه الماضي في المؤرخ الحاضر ، ويبلغ من ذاته درجة الوعي لا مجرد الفهم الظاهري فهو ينفخ به الروح فيبعث به الحياة " [٢] . فنشاهد ذلك من خلال عرض ارسلان ، عن كتابة وجدها في احد بيوت بلنسية وجاء فيها كلمة (سيد بونه) فوصفها ليفي : " انها مركبة من لفظة (السيد) العربية و (بونة) اللاتينية . وان هذا لم يكن نادرا في الأندلس فقد أورد المسيو (ريبارة) عدة أسماء اسبانيولية دخلت في اللغة العربية منها (بيبش vives ، وبشكوال ، غرسيه ، وفيرو ferro) وغيرها ، ومن جملتها (بونة) والتسمية بها لا تدل على ان المسمى اسبانيولي الاصل " [٣] .

وقد أكد بروفنسال هذه الحقيقة عندما ضرب مثلا على هذه التسمية بان رجلا من أهل قسطنطانية اسمه أبو احمد جعفر بن عبد الله بن محمد سيد بونه الخزاعي

---

(١) بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية في إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، المقدمة .

(٢) صبحي ، في فلسفة التاريخ ، ص٣٣ .

(٣) ارسلان ، الحلل السندسية ، الجزء٢ ، ص٢٤١ .

(ت٦٢٤هـ) [1]. وكذلك أبو زكريا يحيى بن احمد بن يحيى بن احمد بن يحيى بن سيد بونه الخزاعي (ت٥٨٧هـ) من قسطنطانية أيضا[2] ، ويذكر عن أبي زكريا انه كان احد الأعلام المنقطعي القرين في طريق الله تعالى ، أصله من مشرق الأندلس ، ويقول بروفنسال بعد تمحيص هذه الكتابة المحفورة على الخشب نستطيع أن نحكم على الحقيقة الجوهرية لأنها في هذه المسائل بعد أن تعارضت كتابة المؤرخين مع الكتابة المنقوشة على الباب أو القبور فإنها كتبت ليس للتاريخ ولكن تعدّ وثيقة أو سنداً في حين كتابتها[3] .

٤- التزامه بالموضوعية والتحقق من صحة الوقعة التاريخية

ومن سمات منهجه في كتابة التاريخ التي تبدو للقارئ هو التزامه بالموضوعية وابتعاده عن الميول الشخصية ، فالدراسة التاريخية تتطلب منه أن يعيش الموضوع ذاته وكما قلنا سابقا تجربة حدسية مباشرة تجعل شخصيات الماضي جزءا من التجربة الحاضرة ، تجعل من الموضوع الذي يدرسه موضوعاً اندماجياً ذاتياً [4] . فعند حديثه عن المعتمد بن عباد[*] ، ملك اشبيلية يقول : " بقيت ذكراه حية قريبة إلى نفوس أهل المغرب والمشرق العربي على السواء ، وقد اتخذ أصحاب الروايات والتمثيليات حياته موضوعا لقصصهم وقد درست من حياته جانبها السياسي وهو جانب لا ينهض بحقه من غير شك

---

(١) ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٦٥٨هـ-١٢٥٩م) ، ابن الآبار ، التكملة لكتاب الصلة ، المكتبة الأندلسية العربية ، (مدريد ، ١٨٨٧م) ، الجزء ، رقم .

(٢) المقري من نظر دانية من شرق الأندلس ينظر عنه في ، ابن الآبار ، التكملة ، رقم(٢٠٥١) ؛ ابو جعفر احمد بن الزبير (ت٧٠٧هـ) ، كتاب صلة الصلة ، مكتبة خياط ، (بيروت، ١٩٣٧م) ، رقم(٣٧١) ، ص١٨٨ .

(٣) ارسلان ، الحلل السندسية ، الجزء٣ ، ص٣٩٧ .

(٤) بروفنسال ، محاضرات عن أسبانيا المسلمة ، ص١٤ .

(*) المعتمد بن عباد الاشبيلي اللخمي (٤٣١-٤٨٨هـ)/(١٠٤٠-١٠٩٥م)، شاعر ولد ببجابة بالأندلس كان ابو امير اشبيلية قد دربه على الحرب والسياسة وبعثه لغزو مالقة ولما نشبت الحرب بينه وبين الفونسو السادس ملك قشتاله اضطر المعتمد الى الاستعانة بيوسف بن تاشفين امير المرابطين ، فنغلب على الفونسو ولكن يوسف طمع بالأندلس لخيراتها ، فاستولى على مدنها وانتصر على المعتد سنة (١٠٩١م) واسره وسجنه باغمات ، للمزيد ينظر : المعتمد بن عباد ، دراسة أدبية وتاريخية ، الدكتور صلاح خالص ، دار الاخبار ، (بغداد ، ١٩٥٨) ، غربال ، الموسوعة الميسرة ، ص٧١٨ .

" [1] ، أما الجانب العاطفي والذي يعدّ اشد خلابة وأسرا وكذلك نهايته المحزنة التي انتهت إليها المشكلة الخاصة بتاريخ أو أسطورة المعتمد بن عباد[2] ، فان قليلا من المؤرخين عنوا ببيان هذه الظروف سواء منهم من كتبوا بالعربية أم اللاتينية[3] .

وليفي بروفنسال وظف عملية التفكير التاريخي وجانس العناصر مع العملية التاريخية ذاتها ، وان التاريخ عنده ليس مجرد دراسة لما وقع ، لان الواقع الفعلي يحدده فكر لابد أن يتمثله المؤرخ فان موقفه اقرب إلى موقف الفنان حيث يتمثل كلاهما الواقع بنظرة فردية[4] فهو قد طبق النظرية الوضعية[*] ،عند معالجته لموضوع (المؤرخين من أسرة الرازي) ودورهم في حفظ تاريخ الأندلس حيث لا يورد المؤرخون والجغرافيون أي إيضاح مفصل عنهم لكن ليفي وظف الأحداث بما يتلاءم مع الموضوعية التاريخية بحيث يمكن لكل حدث من الأحداث أن يفهم على انفراد . وفي صدد عائلة الرازي وكيف استخرج المؤرخون منها مادتهم التاريخية ، فقد بدأ بروفنسال بدراسة العائلة منحدرا من الجد الأكبر ثم تدرج في ذكرهم حسب القدم وكما يأتي :-

١. محمد الرازي

محمد بن موسى بن بشير بن جنّاد بن لقيط الكناني الرازي ، وقد نسب إلى مسقط رأسه مدينة الري من أعمال فارس[5] ، وفد إلى الأندلس في ٢٤٩هـ/٨٦٤م ، وسكن قرطبة ونال حضوة لدى الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨-

---

(١) بروفنسال ، محاضرات ، ص١٤ .

(٢) عبد السلام الطود ، بنو عباد ملوك اشبيلية ، المملكة المغربية ، (تطوان ، ١٩٤٦م) ، ص١٦٩ .

(٣) المقري ، نفح الطيب ، الجزء٢ ، ص٧٤٨ ، ابن بسام ، الذخيرة ، مجلد٤ ، ص١١٦-١٣٢ .

(٤) صبحي ، في فلسفة التاريخ ، ص٣٢ .

(*) النظرية الوضعية : (التي تذهب الى ان يكون موضوع المعرفة التاريخية هو الفكر بالتحديد وليس الأحداث التي يتصرف اليها الفكر) ، ينظر : ر.ج.كونجرد ، فكرة التاريخ ، ترجمة محمد بكير خليل ، مراجعة محمد عبد الواحد خلاف ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ، (مصر ، ١٩٦١م) ، ص٣٣٥ .

(٥) ابن الآبار ، تكملة الصلة ، ج٥ (رقم١٠٤٨) ؛ المقري (ت١٠٤١هـ) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها ابن الخطيب (بيروت ، ١٩٦٨) ، الجزء٢ ، ص٧٦ .

٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) [١] ، كان تاجرا وسفيرا ومشاورا للأمراء[٢] ، رحبت به التجمعات العلمية في الأندلس لتبحره في الثقافة العربية الإسلامية ولقد عهد إليه عدة مهام سياسية أخرها سفارته إلى البيرة بتكليف من الأمير والتي مات فيها في (ربيع الثاني٢٧٣هـ/ ٥تشرين الأول ٨٨٦م) [٣] .

أما من ناحية كونه مؤرخا فيقول بروفنسال : " إننا لا نعرف إلا القليل عنه ، سوى ما ذكر عنه محمد بن مزين[*] ونقله الكاتب المراكشي محمد الوزير الغساني (ت١١١٩هـ/١٧٠٧م) في مؤلفه عن سفارته إلى الأندلس عام ١٦٩١م بعنوان (رحلة الوزير في افتكاك الأسير) [٤] ، ويقول ابن مزين في مؤلفه هذا انه رأى في إحدى مكتبات اشبيلية عام (٤٧١هـ/١٠٧٨-١٠٧٩م) كتابا صغيرا من تأليف أو تصنيف محمد بن موسى الرازي عنوانه (كتاب الرايات) يتحدث فيه عن فتح المسلمين للأندلس ، ويفصل الكلام على الفرق العربية المحاربة التي دخلت شبه الجزيرة مع موسى بن نصير (٩١-٩٧هـ/٦٤٠-٧١٥م) وكانت كل فرقة منها تتميز برايتها الخاصة " [٥] . وقد حقق ليفي بروفنسال في قول ابن مرين ، ووصل

---

(١) ابو مروان بن خلف ابن حيان (ت٤٦٩هـ) ، المقتبس في الاخبار بلد الأندلس ، تحقيق عبد الرحمن الحجي ، دار الثقافة ، (بيروت ، ١٩٦٥م) ، الجزء٤ ، ص٣٩ .

(2)Levi-Provencal ,"surl , in. stallat : on des razi en Espagne" Arabica revue (Leiden , 1955) , Tome 11 , pp.228-230 .

(٣) بروفنسال ، (مادة الرازي) ، دائرة المعارف الإسلامية ، اعداد وتحرير احمد الشنتاوي وآخرون ، ط٢ ، دار الشعب (القاهرة ، ١٩٦٩م) ، مجلد٩ ، ص٤٤٧-٤٤٨ .

(*) محمد بن مزين : هو الكاتب الأندلسي ابو بكر محمد بن عيسى بن مزين ، وكان حيا سنة (٤٧١هـ/١٠٧٨م) وعنه ينظر : ابن الآبار ، الحلة السيراء ، ٨٨/١ .

(٤) كحالة ، معجم المؤلفين ، الجزء١٠ ، ص٢٧١ ؛ محمد بن عبد الوهاب الغساني ، رحلة الوزير في افتكاك الاسير ، نشر الفريد البستاني ، المغرب، (تطوان ، ١٩٣٩) ، ص٩٩-١٠٢؛ عبد الواحد ذنون طه (دكتور) ، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس ، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة ، هيئة كتابة التاريخ ،دار الشؤون الثقافية العامة ،(بغداد ، ١٩٨٨)،ص٢١-٢٢

(٥) بروفنسال ، (مادة الرازي) ، دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد٩ ، ص٤٤٨ .

ووصل إلى نتيجة إن العبارة وردت في كتاب ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) عند ذكره لتاريخ فتح الأندلس[١].

ويتفق بروفنسال مع غرسيه غومس ، في إن محمدا الرازي لم يكن له أي دور في كتابة التاريخ ودليلهما على هذا ان رواية حفيده عيسى بن احمد الرازي المذكورة لا تشير إلى أي نشاط لمحمد في مجال التدوين[٢] ، وإنما كان له وفادة تستدعي منه الكتابة في موضوعات سياسية ، وذلك لأنه كان متبحرا في ثقافة عصره كما قلنا سابقا .

٢. احمد بن محمد الرازي:-

ابن صاحب الترجمة السابقة ، ويلقب بالتاريخي وذلك لمؤلفاته العديدة في الأندلس ورجالاتها وهو أقدم مؤرخي الأندلس الأكابر .

ولد بالأندلس في العاشر من ذي الحجة عام ٢٧٤هـ/٢٦ نيسان ٨٨٨م ، وتوفي في ١٨رجب٣٤٤هـ / ١-١١-٩٥٥م . درس في قرطبة على مشاهير العلماء أمثال احمد بن خالد [*] وقاسم بن اصبغ[**] ، ويلقب بابن لقيط الكاتب[٣] .

وقد أشاد بروفنسال بالمؤرخ احمد الرازي فقال عنه : " إن المؤرخ الأسباني الكبير احمد الرازي ، يقدم لنا بدقته المعتادة دونما حاجة إلى أن نحمل نصه معنى أكثر مما يحمل أو نضطر إلى قراءة مابين سطوره معطيات مقيدة إلى حد يثير العجب عن

---

(١) المرجع نفسه ، مجلد٩ ، ص٤٤٨ .

(٢) طه ، عبد الواحد ذنون ، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس ، ص٢١ .

(*)احمد بن خالد بن يزيد القرطبي (٣٢٢هـ -٩٣٤م) ، للمزيد عنه ينظر : ابو عبد الله محمد ابن ابي نصر الحميدي (ت٤٨٨هـ -١٠٩٥م) ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، (القاهرة ، ١٩٦٦) ، ص١٢١-١٢٢ ؛ احمد بن يحيى بن احمد بن عمير ، الضبي (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م) ، بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الأندلس ، المكتبة الأندلسية العربية ، (مدريد ، ١٨٨٥م) ، ص ١٦٣ـ١٦٤ ، الحافظ ابو الوليد عبد الله بن محمد ابن يوسف بن نصر الازدي، ابن الفرضي (ت ٤٠٣هـ-١٠١٢م) ، تاريخ علماء الأندلس ، ، مصر ،(القاهرة ، ١٩٦٦)، الجزء١ ، ص٣١

(**) قاسم بن الاصبغ البياتي (٢٤٤-٣٤١هـ)/(٨٥٩-٩٥٢م) من استجه ، له رحلة الى المشرق ، ولي القضاء ببلده فأساء معاملة اهله وشكوه فعزل عنهم ، للمزيد ينظر : ابن الفرضي ،المصدر نفسه ، الجزء١ ، ص٩٦ .

(٣) بروفنسال (مادة الرازي)، دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد٩ ، ص٤٨٨ ؛ العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص٣١٧

النصيب الراجح الذي فاز به الشرق الإسلامي في تكوين الثقافة الأندلسية في القرن التاسع الميلادي "[١] . وقد عرض ليفي قائمة بإسهام احمد الرازي في تدوين تاريخ الأندلس نذكرها على النحو الأتي :-

١-عدة رسائل في تاريخ الأندلس .
٢- تاريخ ملوك الأندلس .
٣- كتاب في صفة قرطبة ، كتبه على منوال كتاب صفة بغداد لابي الفضل بن ابي طاهر .
٤-كتاب موالي الأندلس .
٥-كتاب الاستيعاب ، وهو كتاب كبير في انساب عرب الأندلس وقد اعتمد عليه ابن حزم في تأليف كتابه (جمهرة الأنساب) .

وجميع هذه المؤلفات لم تصل إلينا وما وصل منها شواهد قليلة حفظها لنا الكتاب والمؤرخون مثل ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) فقد حوى تاريخه (الكامل) الكثير من الاقتباسات التي أخذها عنه في رواياته التاريخية[٢] . ويبقى بروفنسال يتتبع أخبار احمد ، ويذكر انه عثر على مخطوط غير كامل لتاريخ الأندلس في القرن التاسع الميلادي قال عنه : " زودنا بمقتطفات مطولة من احمد الرازي وابنه عيسى "[٣] [*].

ويتابع بروفنسال أخبار احمد عند المؤلفين والمؤرخين العرب مثل الضبي[٤] ، وياقوت الحموي[٥] ، حيث أشارا إلى وجود جغرافي أندلسي يسمونه احمد بن محمد التاريخي ، له كتاب مطول في مسالك الأندلس الذي يدور معظمه حول (صفة الأندلس) ،

---

(١) بروفنسال ، حضارة العرب في الأندلس ، ص٤٧ .

(٢) بروفنسال ، حضارة العرب في الأندلس، ص٢٠ .

(٣) بروفنسال ، (مادة الرازي) دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد٩ ، ص٢٤٩ .

(*) وقد جمعت هذه المقتطفات تحت عنوان :

Documents in edits d'historic hispano unaiyade

ويتضح انها بالفرنسية وقد وعد بروفنسال بنشرها مترجمة ولم نحصل عليها .

(٤) الضبي ، بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الأندلس ، رقم(٣٢٩-٣٣٠) .

(٥) ياقوت الرومي (٥٧٥-٦٢٦هـ) ، إرشاد اللبيب ، مطبعة مرغوليوث ، (ليدن ، ١٩٠٩م) ، الجزء٦ ، ص٢ .

أي الوصف الجغرافي لشبه الجزيرة الايبرية ، وهو يصور خطط الأندلس ومدنها وحصونها وأقسامها الإدارية وصلة كل قسم بالأخر من الناحية الجغرافية[١] ، وينسب المقري هذا الكتاب إلى احمد الرازي مباشرة[٢] .

وفي سبيل التحقيق من صحة الواقعة التاريخية ، اتخذ بروفنسال مسارا مخالفا لمسار الزمان ، يتلمس السبل من صحة الوثيقة والرواية التي قرأها حتى نسبتها إلى راويها وصحة مطابقتها للحادثة المروية ، فقام بسلسلة من الانتقادات والتحليلات والاستدلالات على كتاب (صفة الأندلس) .

فيذكر في القرن السابع الهجري/بداية القرن الرابع عشر الميلادي قام احد القساوسة البرتغاليين المدعو خيل بيرت(Gil Perez) بترجمة ذيل كتاب (صفة الأندلس) الذي كتبه بشكوال والتكملة إلى اللغة الأسبانية أي انه نقلها من اللغة القشتالية البرتغالية واللاتينية[٣] ، وهناك رواية أخرى تذكر إن المستعرب الأسباني بشكوال دي جاينجوس قام بنشر (وصف لبلاد الأندلس) عام ١٨٥٠م في ترجمة له بلغة قشتالية ، وهو ذيل لكتابه (وصف أسبانيا) وقد أكمل نشره رامون منديث بيدال عام ١٨٩٨م[٤] .

وبعد إطلاع بروفنسال عليها اثبت ان الذيل والتكملة هما كتاب واحد وأخذا من النص العربي المفقود والذي يسمى (المدونة التاريخية لوصف أسبانيا) [٥] .

وبقي بروفنسال يساوره الشك حول كتاب وصف الأندلس للرازي بسبب وصوله إلينا عن طريق ترجمتين يشوبهما في كثير من الأحيان إهمال شديد ، واضطراب في ضبط

---

(١) بروفنسال ، (مادة الرازي) دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد٩ ، ص٤٤٩ ؛العبادي،في تاريخ المغرب والأندلس ، ص٣٣-٣٤

(٢) المقري ، نفح الطيب ، الجزء٢ ، ص١١١-١١٨ .

(٣)بروفنسال ، "وصف الأندلس لاحمد الرازي" ، مجلة الأندلس ، مدريد (غرناطة ، ١٩٥٣) ، الجزء١٨ ، ص٥١-١٠٨ ؛ العقيقي ، المستشرقون ، الجزء١ ، ص٢٨١ .

(٤) طه ، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس ، ص٣٦ .

(٥) بروفنسال ، " وصف الأندلس لاحمد الرازي" ، ص٥١-١٠٨ .

الأسماء والأماكن ، ومع هذا فهو يعدها وثيقة جليلة الشأن من الناحية الجغرافية والسياسية والاجتماعية بالنسبة للقسم الإسلامي في أسبانيا في عهد عبد الرحمن الثالث (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) .

وظل هذا الأمر على هذا النحو إلى أن كان عام ١٩٥٢م إذ عثر احد الباحثين البرتغاليين واسمه (Luisf Lindley Centra) على نسخة من مؤلف الرازي (صفة الأندلس) وهي نسخة فريدة من المخطوط وتخص القسم الجغرافي [١].

وقد عمد بروفنسال إلى دراسته وعارضه بما ورد في المراجع العربية للمدونة التاريخية لوصف أسبانيا ونشره بالفرنسية في مجلة الأندلس[٢] ، فظهر بأنها أكثر صحة من النصوص القشتالية (الأسبانية) المعروفة إلى حد الآن ، وأنها تعد إلى حد كبير جزءا قيما من الأصل العربي الضائع . وفي عام ١٩٥٥م عثر المؤرخ لطفي عبد البديع على نص جديد وجده في كتاب ابن غالب الغرناطي[*] المعنون (فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس) ونشره في (القاهرة ١٩٥٥م) [٣] ، يتحدث فيه عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة الهجرية ، كانت فرحة ليفي كبيرة ، وقام بمطابقته بما توصل اليه من حقائق فوجدها اخطر الوثائق ، انه يطفئ ظمأ المتعطشين الى ما ورد في تاريخ أحمد بن محمد الرازي من وصف أسبانيا الإسلامية ، فقد ضاع النص العربي فيما ضاع من تراث الأندلس .

---

(١) طه ، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس ، ص٣٦ .

(2) Levi. Provencal (La description de l'Espagned" Ahmed razi) , Al-Andalus , Madrid , Granad 1953),V. xviii , pp. 51-108 .

انخيل جنتالين بالنتيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس (القاهرة ، ١٩٥٥) ، ص١٩٧ .

(*) ابن غالب ، محمد بن ايوب (من اهل القرن السادس الهجري) للمزيد انظر : مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية (القاهرة ، ١٩٥٥-١٩٥٦)، العدد١ ، ق٢ .

(٣) لطفي عبد البديع ، "نص جديد (قطعة من فرحة الأنفس) لابن غالب ، عن كور الأندلس " ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية (القاهرة ، ١٩٥٥) ، مجلد١ ، الجزء٢ ، ص٢٧٩-٢٨٠ .

وقد درس هذه النصوص دراسة وافية المؤرخ المصري حسين مؤنس وقد صرف النظر عن التفصيل في هذا الموضوع وقال عنه : " فيه وصف شاهد عيان لكل إقليم من أقاليم أسبانيا وما تشتهر به من محاصيل ومعادن وثروات " [١] .

وبعد ذلك قام بروفنسال بمطالعة هذه الحقائق والمعلومات وعارضها بما ورد في المراجع العربية والأجنبية التي استقت من الرازي فظهر له إن هذه النسخة هي الوصف الذي أفاد منه ياقوت بصفة خاصة فيما أورده من إشارات عن الأندلس في كتابه (معجم البلدان) ، ويقول بروفنسال : " نحن نستطيع بمقارنة النص الأسباني لوصف الرازي بما ذكره ياقوت أن نكشف عن صلة وثيقة بين هذين الكتابين ، فقد اتفق الكاتبان في ذكر عدد كور الأندلس في العهد الأموي للقرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي) وهي تبلغ إحدى وأربعين كورة " [٢] .

وبهذا الأسلوب من المنهج الموضوعي التحليلي استطاع بروفنسال ان ينجح في استخدام المنهج التاريخي وان يكون حلقة إيصال بين الواقعة التاريخية في الماضي وبين المؤرخ في الحاضر وهو يطبق المذهب الوضعي الذي يقول فيه كروشيه : " نحن لا نعرف إلا ما هو جزئي وما هو محدود ونرفض ما لا نستطيع أن نملكه ولا نملكه لأننا لا نستطيع أن نحدده " [٣] . وعمل بمقولات ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) في الكلية والعلية ، حيث نراه ربط الحوادث التاريخية الجزئية ليكون وحدة الموضوع[٤] ، ولم يتم هذا الشيء إلا بعد أن قام بتعليل الحدث بشرط التقيد دائما في استنباطه للأسباب بواقعه الجزئي ، ملتزما بأطر التاريخ من فردية الزمان والمكان[٥] .

٣. عيسى بن احمد الرازي

---

(١) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، معهد الدراسات الإسلامية (مدريد ، ١٩٧٦م) ، ص٥٩-٧٢ .

(٢) بروفنسال ، (مادة الرازي) ، دائرة المعارف الإسلامية ،مجلد ٩، ص٤٥٠ .

(٣) صبحي ، في فلسفة التاريخ ، ص٣٢ .

(٤) أ.هـ.مارو ، من المعرفة التاريخية ، ص١٠٥ .

(٥) محمد جلوب فرحان ، الفيلسوف والتاريخ ، مكتبة بسام (الموصل ، ١٩٨٧) ، ص١٣-١٤ .

هو ابن صاحب الترجمة السابقة وحفيد صاحب الترجمة الأولى عاش في أواخر القرن الرابع الهجري /أواخر القرن العاشر الميلادي[١] ، واشتغل في البلاط الأموي بقرطبة[٢] .

وقد ذكر بروفنسال : " انه أتم كتاب أبيه عن تاريخ الأمويين إلى عهده أي إلى القرن الرابع الهجري ، وتوسع في الأجزاء التي تتناول العهود المتقدمة مستعينا في ذلك بمصادر لم تكن في متناول أبيه ، ولم يشر إليه احد من كتاب السير الأندلسيين الذين نشرت مؤلفاتهم ، وان كان المؤرخون المتأخرون قد استشهدوا به كثيرا "[٣] ، فقد نقل عنه ابن حيان في أماكن مختلفة من كتابه (المقتبس) [٤] وابن الآبار يذكر : " ان عيسى كتب أيضا رسالة عن حجّاب بلاط الأمويين بقرطبة عنوانها (كتاب حجاب للخلفاء بالأندلس) "[٥] . واعتمد عليه ابن عذارى وابن الخطيب فحفظوا بذلك هذا التراث الضائع[٦] مما ضمته مؤلفاتهم .

ومن هذه الواقعة التاريخية التي تحدث عنها ليفي لـ(المؤرخين من عائلة الرازي) يمكن أن نستنتج إن المنهج الذي طبقه في كتاباته فهو ربط العلاقة بين الطرفين وقائع الماضي وعقل المؤرخ[٧] وكان موضوعيا في تسجيل الوقائع التاريخية وتصويرها تصويرا دقيقا من وجهة نظر المؤرخ فتعرف على الواقعة عن طريق الوثائق والأصول التاريخية لأنها حلقة الاتصال الوحيدة وبعد ذلك اخذ يتلمس السبل وهو تقديم الشك على اليقين والاتهام على البراءة ، فكان يحقق كل وثيقة أو مخطوط جديد ويرده إلى راويه ويطابقه مع الحادثة المروية ، وبهذه السلسلة من

---

(١) بروفنسال ، (مادة الرازي) ، دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد٩ ، ص٤٥٠ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، الجزء٤ ، ص٣٨ ؛ المقري ، نفح الطيب ، الجزء٢ ، ص٦٧١ .

(٣) بروفنسال ، (مادة الرازي) ، دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد٩ ، ص٤٥٠ .

(٤) الجزء٤ ، ص٦٢ ، ص٩٦ .

(٥) ابو عبد الله محمد بن عبد الله ، ابن الآبار (ت٦٥٨هـ/١٢٥٩م) : الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف (القاهرة ، ١٩٦٣) ، ص٧٤ .

(٦) العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص٣١٧ .

(٧) صبحي ، في فلسفة التاريخ ، ص٥١ .

الانتقادات والتحليلات والاستدلالات وصل إلى الواقعة الحية ، وجمع تراثاً ضائعاً مشتتاً في عدة مدن وبشتى اللغات .

وكذلك نشاهد التزامه بالموضوعية التامة والتجرد عن الميول الشخصية فلا يزّور ولا ينتحل ولا يمالي بتفسيره التاريخي ، وتجسدت بصيرته التاريخية ، باستخدامه حدسه ليعيش الواقعة التاريخية ، بهذا فانه استخدم المذهب الوضعي إذ استطاع أن يحيي الماضي في ذهنه ويبلغ من ذاته درجة الوعي لا مجرد الفهم الظاهري[1] ، بل انه بعث الحياة في الماضي الميت وأخرجه من بطون الكتب المتفرقة .

٥- التحقيق من الحبر والوثيقة والرواية عن طريق الآثار :

وقد استخدم بروفنسال طريقة ثانية في كتاباته التاريخية وذلك عن طريق هوايته الأخرى وهي قراءة الكتابة على الخشب أو الخشب المطلي بالشمع وقراءة الكتابة المحفورة على شواهد القبور أو على الأبواب أو حيطان المساجد فهو إذن يعمل عمل الاثاريين والوثائقيين[2] ، يعمل هذا ليختبر جملة من الروايات التاريخية التي يتعامل معها في البحث التاريخي وكثيرا ما يحجم عن الكتابة في موضوع لم تتكشف وثائقه او جانب كبير منها[3] .

لذلك يلجأ إلى الأثر وهو المصدر البكر للتاريخ[4] ، وأنها إن صحت لان كاتبها لم يرد بها شهادة للتاريخ كما قلنا سابقا ، وان كانت هناك أثار كثيرة وضع أصحابها في اعتبارهم إنها ستكون شاهدا على التاريخ مثل جامع قرطبة الكبير[5] .

---

(١) فرحان ، الفيلسوف والتاريخ ، ص٢٤-٢٦ .

(٢) ارسلان ، الحلل السندسية ، الجزء٣ ، ص١٠-١١ .

(٣) فرحان ، محمد جلوب ، الفيلسوف والتاريخ ، ص٣٧.

(٤) عبد الرحمن عبد الله الشيخ (دكتور) ، المدخل الى علم التاريخ ، دار المريخ (بيروت ، ١٩٨٤) ، ص٥٦ .

(٥) ابن عذارى ، البيان المغرب ، الجزء٢ ، ص٢٣٠-٢٨٧ ؛ المقري ، نفح الطيب ، الجزء١ ، ص٣٤٧ ،ص٥٤٥ ، ص٥٦٣ ؛ الحجي ، أندلسيات ، العدد٢ ، ص١٥٩ .

وبهذا نرى ليفي بروفنسال كان شديد الرغبة بالآثار والقراءة على الخشب والقبور فأخذ يتابع الآثار العربية في الأندلس ، حيث استمرت العربية بعد سقوط غرناطة (٨٩٨هـ/١٤٩٢م) في أخذهم وعطائهم وبيعهم وشرائهم وجميع صكوك معاملاتهم وبهذا النشاط تمكن من جمعها ووضعها تحت يده وأخذ الكثير منها إلى باريس وقام بدراستها وألف كتابا بعنوان (كتابات عربية في أسبانيا) في ٦٤×٢٩ صفحة و ٦٤ لوحا مصورا (باريس ،ليدن ، ١٩٣١م) [١] ، ولفت ارسلان الأنظار إلى أهمية الكتابات الأثرية العربية بما فيها النصوص الجنائزية وشواهد القبور ، وأكد عكوف ليفي على جمع هذه الكتابات ودراستها فقال : " إن رغبة مستعربي طليطلة وغيرها من المدن الأسبانية في اللغة العربية جعلتهم ينقشون على قبورهم فضلا عن دورهم الكلمات العربية التي يعبرون بها عن مرادهم وكان بروفنسال يترجم هذه الكتابات إلى الفرنسية " [٢].

ولم يقم بروفنسال بترجمتها فحسب ، وانما نشاهده يعلق عليها ويربطها بالرواية التاريخية المكتوبة عنها ، وكمثال على ذلك انه أخذ كتابة منقوشة على الحجر متعلقة بإنشاء عبد الرحمن الناصر (دار الصناعة البحرية في طرطوشة) المحفوظة في الجدار الخارجي الشمالي من كنيسة هذه البلدة ، ولها مثال عنها في المتحف الاثاري بطركونة والمتحف ألآثاري الوطني في مجريط ، وهذه الكتابة هي عشرة اسطر بالخط الكوفي البسيط نقلها لنا المؤرخ شكيب ارسلان فقال هي : " بسملة ... امرنا بإنشاء هذه الدار عدة للصناعة والمراكب عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين أيده الله فتم بناؤها على يدي قائده وعبده عبد الرحمن بن محمد بعون الله ونصره في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وكتب عبد الله بن كليب " [٣] .

---

(١) العقيقي ، المستشرقون ، الجزء١ ، ص٢٧٨ .

(٢) الحلل السندسية ، الجزء١ ، ص٣٦٥ .

(٣) المرجع نفسه ، ج٣ ، ص١٠-١١ .

فقال بروفنسال : " إن هذه البلاطة التذكارية هي من أجمل الوثائق التاريخية الحجرية المحفوظة من أيام أسبانية الإسلامية ، والملحوظة بالقول (عدة للصناعة والمراكب ، إنها لم تكن للإنشاء فقط بل لإصلاح الأساطيل الخليفية " [١] .

وعندما نرجع إلى كتاب الحميري وعند كلامه على مدينة طرطوشة نرى التأكيد على ما قاله بروفنسال او انه قد نقله منه فيذكر الحميري : " ان على المدينة سور صخر من بناء بني أمية ، على رسم أولي قديم ، ولها أربعة أبواب وأبوابها كلها ملبسة بالحديد ، ولها ارباض من حومة الجوف والقبلة ودار الصناعة قد أحدق على ذلك كله سور صخر حصين ، بناه عبد الرحمن بن النظام وبها جامع من خمسة بلاطات ، وله رحبة واسعة بني سنة (٣٤٥هـ/٩٥٦م) وبها أربعة حمامات وسوقها في الربض القبلي جامعة لكل صناعة ومتجر ، وهي باب من أبواب البحر ، ومرقى من مراقيه (في الهامش مصححا (مرفأ من مرافئه) وتحلها التجار من كل ناحية ، وهي كثيرة شجر البقس ، ومنها يفترق إلى النواحي وخشبها الصنوبر له خاصية في الجودة تفوق جميع خشب الأمصار " [٢] .

يتأكد من نص الحميري إن هذه المدينة كانت تتمتع بظروف للحصانة والأمان حيث الطبيعة الصخرية ، وكذلك المرافئ فهي تكون مرساة للبواخر وكان فيها الخشب لصناعة السفن فهي مؤهلة لتكون دارا لصناعة المراكب وقد قام به الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) منذ بداية حكمه بإعداد أسطول بحري كامل الإعداد والتنسيق وبذل في ذلك جهود جبارة لدرجة ان عمال دور الصناعة - كما يقول ابن عذارى[٣]- لم يجدوا وقتا للراحة وبذلك استطاع ان يشحن موانئه بالسفن والعتاد الحربي والجنود[٤] .

---

(١) بروفنسال ، كتابات عربية اسبانية ، باريس (ليدن ، ١٩٣١م) ، ص١١٦ .

(٢) الحميري (ت٨٦٦هـ/١٤٦١م) ، صفة جزيرة الأندلس ، منخبة من كتاب الروض المعطار ، ص١٢٤-١٢٥ .

(٣) البيان المغرب ، الجزء٢ ، ص٢٤٧ .

(٤) العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص١٨٧ .

إما عن السنة الذي بنيت بها فهي ٣٤٥هـ/٩٥٦م أي في زمن الخليفة الأول في الأندلس وهو عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) الذي بلغت البلاد في عهده شأوا بعيدا في الرقي والعظمة والأبهة والرفاهية[١] . ونظم الأسطول والجيش واهتم بالشؤون المالية والاقتصادية وذكر بعض الرحالة ان الناصر كان أغنى ملوك عصره[٢] . أما القائد الذي تم على يده إنشاء دار الصناعة فهو عبد الرحمن بن النظام الذي يظن بروفنسال انه عبد الرحمن بن محمد[٣] . وأما عبد الله بن كليب فانه كاتب البلاطة التي وضع فيها تاريخ النقش وهو سنة (٣٣٣هـ/٩٤٤م) والذي يؤكد عصر الخليفة الناصر لدين الله[٤] .

وهكذا نرى بروفنسال قد قرأ الأثر وتمعن فيه مقارنا الحقيقة ، أو الحدث التاريخي في أكثر من مصدر وعند مؤلفين لهم أكثر من اتجاه علمي وخرج في النهاية بما يطمئن إليه القلب وهو إن الوثائق والآثار لا يوجد بعدها شيء نستطيع أن نحكم به في هكذا مسائل احكم منها .

(١) المقري ، نفح الطيب ، الجزء١ ، ص٣٤٣ .

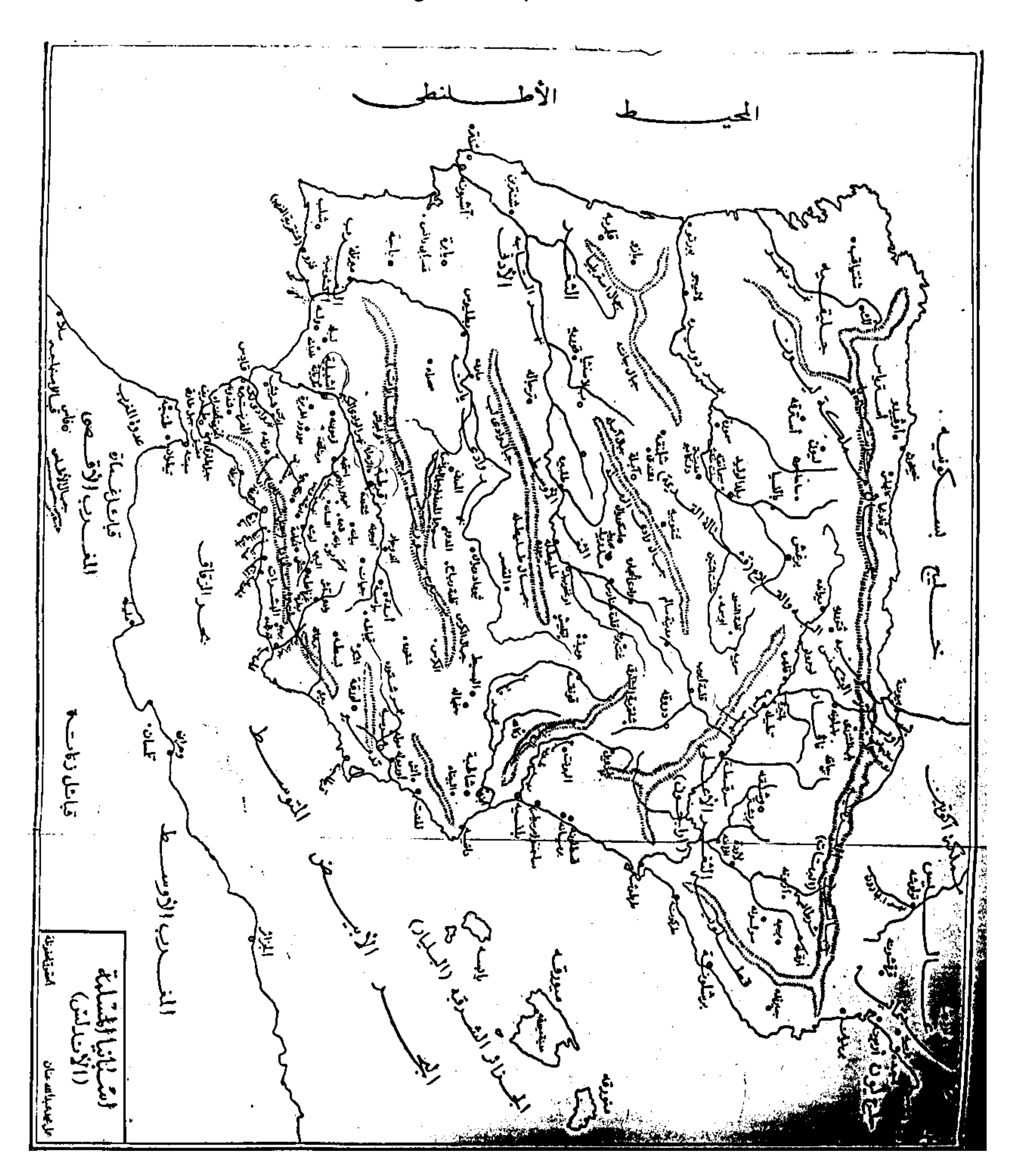
(٢) ابو القاسم النصيبيني ، ابن حوقل (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) ، صورة الأرض (المسالك والممالك) ، (بيروت، د.ت) ، ص٧٧-٧٨ ؛ ابن عذارى ،البيان المغرب ، الجزء١ ، ص٣٢٣ .

(٣) ارسلان ، الحلل السندسية ، الجزء٣ ، ص١٠-١١ .

(٤) بروفنسال ، أسبانيا المسلمة في القرن العاشر ، ص٢٤٤ .

من كتاب الاثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال

محمد عبد اللّه عنان



المبحث الثاني

سمات مؤلفات ليفي بروفنسال

إن إسهامات بروفنسال المنشورة في المجلات الأكاديمية أو الكتب المطبوعة والمخطوطات المحققة : أعمال أصيلة . وقد تحررت إلى حد كبير من الآراء السياسية إذ كانت الستراتيجية الفرنسية تؤيد دمج المغرب مع فرنسا في وقته[١] .

وقد برزت أمامنا دراسته الممتازة (تاريخ المسلمين في أسبانيا) بوصفها خير دراسة للمسلمين في الأندلس ظهرت إلى الآن[٢] . لأنها إسهام ظهر في فترة تاريخية لا تزال بحاجة إلى مزيد من الدراسة في البلاد العربية ومن نواح عديدة . وتنعكس أهميتها على اعتماده المصادر التاريخية الإسلامية العربية والأجنبية[٣] .

ومن الأمور الايجابية التي تسجل لدراسة الأندلس عند ليفي بروفنسال هو انه عالج الموضوع بصفة مشوقةً ، إزاء دخول منهجه في منهج العلوم الإنسانية المختلفة والتي تقع في صميم دراسة التاريخ الإسلامي وعلى حد سواء مع سائر الدراسات التاريخية ، وسمة أخرى له هو انه عالج الموضوع بشمولية رغم اتساع الرقعة الإقليمية وامتداد الفترة الزمنية التي درسها والتي تقدر بثمانية قرون . وتعكس هذه الشمولية تفانيه واهتمامه في دراسة العديد من مجالات الحياة في الأندلس . وربما يعود سبب ذلك إلى إن الإسلامتوسع سريعاً ومبكراً في المنطقة وهذا ما يؤكد ديناميكيته وحركيته والى روح الاعتدال والتنظيم التي امتاز بها مما دفع المستشرقين إلى الكتابة بهذه الشمولية[٤]

---

(١) بروفنسال ، الحضارة العربية في أسبانيا ، ترجمة احمد مكي الطاهر . مطبعة دار المعارف ، (القاهرة ، ١٩٧٩) ، ص٤-٥ ؛مصطفى الخالدي ، وعمر فروخ ، التبشير والاستعمال في البلاد العربية ، ص١١٢ .

(٢) العبادي،في تاريخ المغرب والأندلس ، ص٣٦٠ ؛بروفنسال ،الإسلام في المغرب والأندلس، مراجعة لطفي عبد البديع ، المقدمة

(٣) عبود، محمد ، منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي، مناهج المستشرقين (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الجزء١ ، ص٣٥٥

(٤) بروفنسال ، حضارة العرب في الأندلس، ص٩.٨

ومنهم ليفي بروفنسال .ويمكن ملاحظة ذلك من خلال التحليلات المفصلة التي ملأ بها فراغاً في الأحداث التي تناولها بالكتابة حول جميع المسائل المتعلقة بالسكان والمواصلات والمدينة والفكر والأدب والحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

سنحاول في الصفحات القادمة ان نبين الخطوط والسمات العامة الرئيسة التي امتازت به كتابته والتي شملت كل نواحي العلوم المختلفة من تاريخ الأندلس والتي توضح الدور الراجح الذي لعبته الدولة العربية الإسلامية خلال العصور الوسطى التي شكلت تحديا سياسيا وحضاريا كبيرا لأوربا[١] ذلك لان الفكر والثقافة العربية الإسلامية كانا ارفع درجة من الفكر الأوربي الوسيط فضلا عن الدور الذي لعبه الإسلام في فترات الهدوء والتسامح الديني حيث يقول بروفنسال : " إنما كانت هناك سنوات طويلة لهدنات حقيقة أعطت الأندلس خلالها اكثر مما أخذت كما برهنت في اغلب الأحيان على عقل متسامح بإزاء رعاياها المسيحيين لم يعد احد يماري فيه "[٢] .

وإذا كنا بصدد الحديث عن سمات مؤلفات ليفي في تاريخ الأندلس ، فلابد ان نعرضها بحسب معرفة الحالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية التي كانت سائدة ، كي نستطيع أن نتلمس البواعث الحقيقة التي أدت إلى تشبثه بالكتابة في تاريخ الدولة العربية الإسلامية ومدى مصداقيته للتبحر فيها .

---

(١) حكمة علي الاوسي ، الأدب الأندلسي في عصر الموحدين ، ص٣٩ .

(٢) بروفنسال ، حضارة العرب في الأندلس، ص٧١.

الجوانب والظواهر التي تناولها بروفنسال من تاريخ الأندلس

سوف نتناول بشيء من التفصيل هذه الحالات وهي كما يأتي :-

أولا : الظواهر الاجتماعية :

تعد من ابرز المجالات التاريخية التي تناولها ليفي، فقد صور الحياة الإسلامية في الأندلس في ضوء التقاليد والعادات الإسلامية فيها . وان بقاءها على مرور الزمن جاء ليبرهن تأثير الإسلام على الرغم من زوال سلطانه السياسي والعسكري[1] وتنبئ على إن المبادئ الإسلامية السمحة (الحرية ، المساواة ، الإخاء ، التكافل ، التعاون ، الإبداع) كانت قد نمت تحت راية الإسلام في الأندلس ، وقد أوضح ليفي هذه الحالة في كتاباته العديدة وعن دور الحضارة العربية في الأندلس تقتبس منها : ان قدوم المغني الفنان العراقي زرياب الموصلي (١٧٢ - ٢٤٣هـ / ٧٨٩ - ٨٥٧ م) . يعدّه من أهم الأسباب الفعالة لبث الروح الشرقية ، فان حضوره خلف في جو الأندلس ميلا شديداً إلى كل ما كان يأتي من الشرق[2] .

وفي مكان آخر يصرح بهذا الاختلاط الودي الواثق والمتصل بين مختلف عناصر السكان في الأندلس فيقول : " بل نملك على هذه الناحية شهادة معاصرة لا نستطيع الارتياب في قيمتها ذلك لأنها صادرة عن واحد من انشط أبطال المقاومة ضد الإسلام في شبه الجزيرة في القرن التاسع الميلادي ، إلا وهو (الفارو القرطبي) (LeGardouan Alvaro) . فبينما يحزن لفتور مسيحي أسبانيا وجهلهم باللاتينية نراه يمجد بفصاحة نادرة للثقافة الإسلامية الأسبانية التي كانت في طور التكوين "[3] .

يتضح من قوله إن إقبال المسيحيين على الثقافة العربية أثار حسد القساوسة ورجال الدين الذين كانت لهم أديرة وكنائس في شتى أنحاء الأندلس ، فاخذوا يعيبون

---

(١) بروفنسال ، الحضارة العربية في أسبانيا، ص٣٩

(٢) بروفنسال ، الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية ، دار الطباعة العربية ، (تطوان ، ١٩٥١) ، ص٢٠-٢١

(٣) بروفنسال ، حضارة العرب في الأندلس ، ص٧٢ .

على الشباب المسيحي إقباله على قراءة اللغة العربية وتركه اللغة اللاتينية لغة الكتاب المقدس وسير القديسين[١] .

يرى بروفنسال أن الحضارة العربية والظاهرة الاجتماعية فيها تجاوزت الأطر الزمانية والمكانية في الأندلس على الرغم من طبيعة المجتمع الأندلسي هذا الشعب الذي لا يرضى بالقليل ولا ينقاد انقياداً أعمى إلى السلطة التي تحكمه بل يريد ان يوجه النقد إليها وان يشترك في تقرير السياسة العامة وسير الأمور في بلاده . مما جعلت حكمه من أصعب الأمور وأعسرها [٢] . ولكن سماحة الإسلام ووضوح مبادئه وأهدافه أخذت سكان الأندلس يتمحورون حوله رويداً رويداً . حتى إننا نرى إن التحول إلى الإسلام وأتباعه في زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ – ٣٥٠ هـ / ٩١٢ – ٩٦١م) كان الأقوى والأكثر من حيث تحمسهم وتعصبهم له .وكان عاملاً هاماً في توطيد سلطة عبد الرحمن في الأندلس[٣] ، وجعل الناس يعيشون بطمأنينة وحياة مرفهة وفي ذلك يقول بروفنسال : " ان تاريخ العالم الإسلامي لم ير أياما أعظم انسجاماً ، فهي أيام العروس[٤] ، كما يقول المؤرخون العرب ، فكانت البلاد كلها تحس في آخر القرن العاشر الميلادي نوعاً من الإحساس انها دون سائر العالم ، تمثل ما يجعل الحياة حقا جديرة بان تحيا "[٥] .

وهناك بعض الظواهر التي تؤثر في الحياة الاجتماعية في المجتمع الأندلسي ونستطيع ان نصور شرائح منها :-

(١)محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، (القاهرة ، ١٩٦٩) ،الجزء١، ص٢٢٩؛ جودة هلال، قرطبة في التاريخ الإسلامي، المؤسسة المصرية العامة ،(دار القلم، ١٩٦٢)، ص٩٠

(٢) خالد الصوفي (دكتور) : تاريخ العرب في أسبانيا نهاية الخلافة الأموية في الأندلس ، مكتبة دار الشرق ، (حلب ، ١٩٦٣) ، ص٩٥ .

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، الجزء٢ ، ص٥٦ ؛ المقري ، ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، الجزء١، ص٣٠٦؛ بروفنسال، تاريخ أسبانيا المسلمة، الجزء١، ص١٢٦ .

(٤) المقري ، ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج١،ص١٩٨ .

(٥)بروفنسال، تاريخ أسبانيا المسلمة، ج١،ص٨

سيدات برغش(*)، أو ليون الذي يصفهن بروفنسال بالقول : " وهن يمطرن سفراء البلاط على اثر عودتهم من بعض المهام الرسمية بأسئلتهن متلهفات لمعرفة أنواع الأقمشة والألوان الدارجة وأنسجة البيروكات الثقيلة والمبتكرات من العاج وأحجار الكهرب السوداء وقناني البلور المصقول التي كان التجار يعرضونها في أسواقهم "(١) .

وحمل العرب الفاتحون الحضارة الزاهرة التي أتى بها الدين الإسلامي إلى الأندلس فظاهرة المدلكين بالحمامات ؛ أشار إليها بروفنسال بقوله : " من المهن التي ليس من اليسير أن ندخلها في عداد المهن الاقتصادية هي المدلكين في الحمامات "(٢) وان خريطة للقرى التي فيها حمامات تدل بوضوح على المنطقة التي خضعت لتأثير إسلامي تميزت عن غيرها من المناطق التي بقيت بعيدة عن سيطرة الدولة الإسلامية ، وذلك لان الحمام يرتبط بالغسل والطهارة في الإسلام(**).

ولذلك قام المدجنون ببناء الحمامات في مناطق (اشبونة ، واشبيلية وغرناطة والجزيرة الخضراء ومرسيه) وغيرها من مناطق الأندلس وفي لوائح بلدية قشتالة هناك نصوص تدل على إجبار صاحب الحمام ان يقدم للداخلين فيه الماء الساخن والصابون والمناشف (٣) . ويستمر بروفنسال في تلمس الحضارة العربية وتأثيرها في الأندلس فيجدها في ظاهرة دفن الموتى و غسل الميت قبل دفنه ، ففي ملحمة فرنان جنثالث التي يرجع تاريخها إلى سنة (٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م) نشاهد أن الكونت فرنان يقوم بغسل عدوه الكونت دي تولوز قبل ان يلفه في الأكفان وبهذا تحدث الفونسو الحكيم في المدونة

(*) برغش ، في بلاد الروم بالقرب من مدينة ليون ، وهي مدينة كبيرة ، حصينة ، ذات اسواق وتجار كثيرين (ينظر الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص٤٤) .

(١) حضارة العرب في الأندلس ، ص٨٥ .

(٢) محاضرات في تاريخ أسبانيا المسلمة ، ص٩٢ .

(**) للمزيد عن الحمامات في أسبانيا انظر (الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص١٧ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٧٤ ، ١١٧)

(٣) عبد الرحمن بن نصر الشيزري (ت ٥٨٩هـ) ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق الدكتور السيد الباز العريني ، دار الثقافة ،(بيروت ، ١٩٦٩م) ، ص٨٨ ؛ المقريزي ، (ت ٨٤٥هـ) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، الجزء٢ ، ص١٣١ ، ص١١ .

العامة [1] . وقد أكد هذا التقليد الإسلامي بروفنسال عند كلامه عن شعر (ابن قزمان)[*]حيث انه يقول في إحدى خمرياته انه تمنى أن يدفن عند جذع كرمه فقال[2] :

فاذا مت ، مذهبي في الدفن	**اني ترقد كرمه بين الجفن**
وتضم الورق علي ، كفن	**وفي رأسي عمامه من زرجون[*]**

فان ابن قزمان تمنى ان يكون كفنه من ورق الكرم بدلا من القماش ، من هذا تستقي أساليب الدفن في الأندلس وهي طريقة إسلامية ولو انه تجاوز فيها حدود الأخلاق المرعية .

وعن ظاهرة الحجاب الإسلامي وجلسات النساء ، يذكر انه كان يحرم على نساء الموريسكين ان يسرن سافرات في الطرق العامة ، وكان القوم يستنكرون ذلك ، إذ كانوا يرون في خروج النساء سافرات انه يتيح الفرصة للنظر إلى وجوههن ، وقد نقل لنا بروفنسال صورة من شعر ابن قزمان أيضا ينصح محبوبته أم الحكم بالاحتجاب عن عيون الناس وصم آذانها عن قالة السوء وأهله فيقول[3] :

واوفي لان محبك وفى
وداع الخروج واحتجب واختف
وصدق لمن قلك الخيرا في
واياك تطيع من يجي لك بنم

وقد أوضح بروفنسال دور المرأة المسلمة في الأندلس فقال : " ولا غرابة في ذلك فقد ثبت ان المرأة في الأندلس كانت تتمتع بقدر من الحرية ، وكان لها في حياة الأسرة والمجتمع دور أهم بكثير مما كان لبنات جنسها في بقية العالم الإسلامي ، بل إن

---

(١) لطفي عبد البديع ، الإسلام في أسبانيا ،مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة ، ١٩٥٨) ، ص٦٤ .

(٢) محاضرات عن أسبانيا المسلمة ، ص٣٤ .

(*) الزرجون : هو حطب شجرة الكرم ، اذ كان يستخدم في اعداد الشراب الذي درج بنو امية الأندلسيون على تناوله تجنبا لشراب الخمر . انظر (لسان العرب ، ابن منظور ،(مادة زرجن) .

(٣) محاضرات في تاريخ أسبانيا المسلمة ، ص٤٠ ؛ الحضارة العربية في أسبانيا ، ص٣٧-٣٨ .

المرابطين في العصر الذي ازدهرت فيه الموشحات والأزجال ، قوّوا في الأندلس الشعور باحترام المرأة ، ربة الدار ، ولها القول الفصل في المناقشات العائلية وذلك طبقاً لما يقتضيه المثل الأعلى البربري الذي ظل متعلقاً بنظام اجتماعي أولي يقوم على الأمومة " [١] .

ومن بقايا التأثير العربي في الأندلس ، جلوس النساء على الأرض وهي عادة اكدها سرفنتش[*] ، وان الأسبان أخذوها من المسلمين وخاصة في أيام الأعياد الدينية ، فتقام الاستقبالات في قاعات القصور الفخمة وقد وصفها بروفنسال فقال : " القصور الباذخة بحدائقها الخاصة وساحاتها المزينة بفساقي الرخام المنقوش ومجموعات متصلة من قاعات مستطيلة ذات سقوف وفيرة الزينة وقباب دقيقة وجدران مغشاة بالرخام المنقوش ما تيسر النقش فيقوم الشعراء بمدح السلطان وآبائه وتقام فرق الموسيقية ، تسمع اشهر ما في مجموعة الموسيقى الأندلسية من الأغاني ، اما السهرات الموسيقية الزامرة وكانت تسمى (Zambra) فتقام على الأغلب في بيت الحريم ، لأنه لم تكن تجمع بين الرجال والنساء ويبدو ان هذه البيئة الغرناطية ظلت حتى النهاية شديدة الاحترام للقواعد الإسلامية "[٢] .

ومن المراسيم الإسلامية المنقولة الى الأندلس الاحتفال بالأعياد الدينية وقد جسدت قصيدة ابن قزمان إمام الزجل المنظوم بكلام عامة الأندلس والذي نقلها لنا بروفنسال يقول في هذا المقطع من الشعر[٣] .

دخلت نقله السوق فالابد عن امار
والبروز يوم الاثنين فاعطني البشار
ثقله العيد في حملان الكباش القرايب

---

(١) الإسلام في المغرب والأندلس ، ص٢٩٩ .

(*) للمزيد ينظر : سرفنتش تربانتس ، دون كيخوته ، ترجمة : عبد الرحمن بدوي دار النهضة العربية ، (القاهرة ، ١٩٦٥)

(٢) الإسلام في المغرب والأندلس ،ص٢٩٩ ؛ محاضرات في تاريخ أسبانيا المسلمة ، ص٧١-٧٢ .

(٣) محاضرات في تاريخ أسبانيا المسلمة ، ص٣٣ .

والقدور والصحيفات والقلل والمحالـب
وجلوس كل عطار بالعطرف المناصب
وفي شأن تشويط الروس حفر في كل حار
كبش باسم الضحية يشتريه كل مـرماد
ـه ظاهُر لله والقصد فــرح الاولاد
وش يقاسي الانسان من حرارة في الاعياد
بالخروج للمصلى تنطفى ذي الحـرار
ل وجه مرين ليلة العيده وبــرا
والبكا بالمقابر على الاحباب ذمـرا
احتفال الفجايع فاحتفال المـــر
ودموع التراحم في ثياب الشطــار

أما التحية وآداب المجتمع ، فلا سبيل إلى تعليل كثرة ما في اللغة الأسبانية من عبارات التحية والمجاملة إلا في إرجاعها إلى أصول إسلامية ، ففي ملحمة السيد[1] نجد إن الملك الفونسو السادس لما رأى جواد البطل القشتالي أثنى عليه وعلى الفارس الذي يمتطيه . فكان جواب السيد ان قال :" إني أهَبُ لمولاي إن شاء الله " [2] وان قولهم (Si Dios quiere) هي تعريف حرفي لقول المسلم (إن شاء الله) والتي يقدم بها كل عمل من الأعمال امتثالاً لقوله تعالى :- [ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله] [3] .

و بقي لفظ ألجلاله (Ol'e) في الأسبانية التي يردده القوم لإظهار الإعجاب ، كالإعجاب بمصارع الثيران وهو يراوغ الثور ، أو براقصة أندلسية تدق الأرض بأقدامها على أنغام العود ، ومن عبارات التحية نشاهد كثيراً من الصيغ التي تنفرد بها أسبانيا كأن

---

(١) ابن الابار ، الحلة السيراء ، الجزء٢ ، ص١٢٥ (الحاشية) ؛
حسين مؤنس ، السيد القيبنطور وعلاقته بالمسلمين ، المجلة التاريخية المصرية ، (القاهرة ، ١٩٥٠) ، مجلد٣ ، العدد١ ، ص٧١
(٢) بروفنسال ، الإسلام في المغرب والأندلس ، ص١٦٦-١٩٧ .
(٣) سورة الكهف : الاية ٢٣ .

يختم الكاتب رسالته إلى أبيه أو من هو اكبر منه فيقول : " أقّبلُ أيديكم الكريمة .... وإذا قيل إن هذه العادة قد نقلها المسلمون عن البيزنطين أو الفرس فالذي لا شك إن الأسبان المسيحيين قد أخذوها من أهل الأندلس "(١) .

ويذكر ابن حيان – عن توجه سفارة بريل حاكم برشلونة (بين ٣٤٣ –٣٨٢ هـ / ٩٥٤-٩٩٢ م) . إلى الخليفة الحكم المستنصر في نهاية (٣٦٠ هـ/٩٧١م) أنه عند وصولهم إلى باب المجلس الذي فيه سرير الخليفة ، خروا سجوداً إلى أن قربوا من يديه فقبلوها إلى أن عادوا إلى أعقابهم مضوا قياماً وناولوا كتاب صاحبهم فنظر الخليفة فيهم وفاتحهم بالسؤال عن أحوال مرسلهم بريل وبلده (٢) . وقد أكد بروفنسال هذه السفارة وذكر العادات العربية الإسلامية التي اتبعها السفراء في مقام الخليفة المسلم(٣).

وقد تأثر الملوك بالحياة الإسلامية وهذا ما أشار إليه بروفنسال عند حديثه عن الفونسو السادس ملك قشتالة من خلال وجوده بمنفاه في بلاط المأمون(*) ملك طليطلة . فقد قلد المسلمين في كثير من مظاهر حياته وجعل بلاطه صورة لبلاط الدولة المسلمة ولذلك سمي بالأمير ذي الملتين أي (الإسلام والمسيحية) (٤) .

أما عناصر ومقومات المجتمع في الأندلس التي كانت قبل الفتح تحت حكم الإمبراطورية الفرنجية ، وفي الفترة الأخيرة من حكم القوطي فيذكر المؤرخون(٥) إنها قد

---

(١)عنان ، الاثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال ، ص٤٣٨-٤٤١ ؛عبد البديع ، لطفي ، الإسلام في أسبانيا ، ص٩٥ .

(٢) المقتبس في اخبار بلد الأندلس ، ص٢٢ .

(٣) تاريخ أسبانيا المسلمة ، الجزء١ ، ص١٣٠-١٤٠ .

(*) يحيىبن اسماعيل بن ذى النون . المأمون (٤٣٥. ٤٦٨هـ / ١٠٤٣. ١٠٦٧م) ملك طليطلة كان في صراع مرير وحروب اهلية مدمرة مع سليمان بن محمد بن هود (٤٣١. ٤٣٨هـ) ملك سرقسطة واستعان كل منهما بملوك الاسبان ضد الاخر بسبب بعض القلاع والحصون على الحدود سيما مدينة وادي الحجارة مثار النزاع بينهما ، للمزيد ينظر : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، الجزء٩، ص٢٨٩ ؛يجعل السنة ٤٣٤هـ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، الجزء٣، ص٢٧٩. ٢٨٠ .

(٤) المقري ، نفح الطيب ، الجزء٢ ، ص٦٧٢ ؛ ابن بسام ، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، القسم٤ ، ج١ ، ص١٢٤ ؛ دوزي رينهارت ، تاريخ الأندلس ، الجزء٢ ، ص٢٠ ؛ ليفي بروفنسال ، الإسلام في المغرب والأندلس ، ص١٤٩ .

(٥) مؤنس ، فجر الأندلس ، ص٢ ؛ عنان ، محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس ، الجزء١ ، ص٢٧-٢٩ ؛ الحجي ، عبد الرحمن علي ، التاريخ الأندلسي ، ص٢٩ .

فقدت وحدتها السياسية كما فسدت حياتها الاجتماعية وذلك للعديد من الأسباب منها ازدياد قوة النبلاء في الدولة واتساع سلطة الكنيسة وكثرة ثرواتها وانغماسها في السياسة الدنيوية وتدهور السلطة العامة ، وأنواع الحروب الأهلية والمنازعات الداخلية التي غدت قاعدة عامة في الوقت الذي ظهرت فيه العدوة المغربية المقابلة كقوة متماسكة تنتهز مثل هذه الفرصة المؤاتية للتدخل في الأندلس تحت راية الإسلام(١) .

ومنذ اللحظات الأولى بدأ الأندلس يستقبل أفواجا عديدة من العرب الخلص ولكنه في الوقت نفسه استقبل أعدادا أكثر من الأفارقة وهذا ما أكده بروفنسال بقوله:" لقد كان برير المغرب هم الذين تولوا عملية الفتح أولا،وتم ذلك لحساب المشرق الإسلامي "(٢).

يذكر المؤرخون ان الجيش المسلم الفاتح للأندلس كان يضم كلا من البربر وعرب الشام والحجازيين الذين استقروا في المغرب منذ أيام الفتح الإسلامي(٣) .

والسبب في ذلك يرجع إلى أن عرب الحجاز كانوا ناقمين على بني أمية وأنصارهم عرب الشام لأنهم استباحوا بلادهم الحجاز وقتلوا منهم خلقا كثيرا في وقعة الحرة(٤) . فالحجازيون نتيجة لهذه الاضطهادات الأموية فضلوا ترك بلادهم والهجرة إلى المغرب طلبا للجهاد مع أولئك الأمراء الذين تولوا على المغرب أمثال حسان وموسى لعلهم يجدون في تلك البلاد مستقرا ومقاما بعيدا عن الأمويين وحلفائهم الشاميين . وبالفعل استقر جزء منهم في المغرب ، كما استقر الجزء الآخر في الأندلس ، واختلطوا بأهالي البلاد الأصليين حتى أنهم عرفوا باسم ((البلديين))(*) بمعنى أنهم صاروا من أهل البلاد . وظل الحال

---

(١) المقري ، نفح الطيب ، الجزء١ ، ص٢٣١-٢٣٩ ؛عنان ، محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس ، الجزء١ ، ص٣٢ ؛ الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص٥٥-٥٦ .

(٢) بروفنسال ، أسبانيا الإسلامية في القرن العاشر الميلادي ، ص٨ وما بعدها .
الحضارة العربية في أسبانيا ، ص١٨ .

(٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، الجزء٢ ، ص٣٣ ؛ المقري ، نفح الطيب ، الجزء١ ، ص٢٨٠ .

(٤) وقعة الحرة : (حركة المدينة المنورة ٦٣هـ)، ينظر : الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٢٧/٥ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص١٩٥

(*) البلديين : هم المستقرون الاوائل الفاتحون الذين تغلبوا على دولة القوط الغربيين واستقروا مباشرة في الاراضي المفتوحة ، وبشكل خاص على امتداد الطريق التي سلكها كل من طارق بن زياد وموسى بن نصير في اثناء فتوحاتهم الشاملة ، وكان هؤلاء

كذلك حتى إن قدوم الجيش الشامي كان يثير استياء الحجازيين الذين خشوا من أن يحاول هؤلاء الجنود الجدد مشاركتهم في الأراضي التي استقروا فيها[١] .

أما بالنسبة لعرب المغرب فمما لاشك فيه هو أن المسلمين لم يتمكنوا من السيطرة على المغرب إلا بعد أن ابتعدوا عن سياسة العنف وعملوا على اكتساب قلوب البربر عن طريق نشر الإسلام بينهم وإدخالهم في الجيوش العربية كجنود محاربين . إن هذا التحول الفريد الذي طرأ عليهم كانت له آثار ايجابية في فتح الأندلس وذلك لان معظم البربر قبائل تتوق إلى الحرب والجهاد وكان القائد العربي موسى بن نصير على علم تام بنفسيتهم وطبيعتهم فوجههم إلى الفتح . فلذلك يمكن أن نقول إن المسلمين البربر والعرب كليهما دخلوا الأندلس كل هؤلاء – وغيرهم – كانوا دعاة بل الجيش الإسلامي كل أفراده كانوا دعاة لأنه جيش عقيدة فكلهم يفقه دينه وأول وآخر أمر يهمه هو خدمة الإسلام ونشره[٢] . وقد توصل بروفنسال إلى أن تواجد العرب المسلمين في الأندلس يعود : " منذ أن وضع العرب يدهم على أسبانيا لكي تلعب دورا هاما في عملية الاستيطان في هذه البلاد، إذا إن العلاقات التاريخية بين البلدين في العهد الإسلامي ترجع هكذا كما نرى إلى عصور الإسلام الأولى منذ نهاية القرن الأول الهجري . ذلك ان الأندلس سرعان ما استقبلت – بعد أن فتحها برابرة مراكش بادئ ذي بدء لحساب الشرق الإسلامي – كثيرا من العرب الاقحاح ، وفي الوقت نفسه عددا اكبر من الافريقيين أيضا "[٣] .

وذكر بروفنسال المولدين : وهم مسلمي الأندلس الذين ولدوا من آباء مسلمين وأمهات أسبانيات ونشأوا على الإسلام[٤] وكانوا على عهد بنو أمية الكثرة الغالبة من

المستقرون يعدون انفسهم المالكين الوحيدين للبلاد ولهذا فقد سُمّوا بالبلديين أي اهل البلاد واصحابها ينظر : عبد الواحد ذنون طه ، الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا ، ص٢١١ .

(١) الحجي ، التاريخ الإسلامي ، ص١٤٩ ؛ العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص٨٧ .

(٢) الحميري ، الروض المعطار ، ص٩ ؛ المقري ، نفح الطيب ، الجزء١ ، ص٢٣١-٢٣٩ .

(٣) حضارة العرب في الأندلس ، ص١٢ .

(٤) بروفنسال ، محاضرات في تاريخ أسبانيا المسلمة ، ص٦٥ .

السكان وأعطى بروفنسال لهذه الطبقة الأولوية لمنح الثقافة الأندلسية صورتها الخاصة بواسطة أقلام المعبرين عنهم من طبقة المولدين[١] .

وهكذا نجد إن طبقة المولدين يكونون الجزء الأكبر من رعايا الأمويين ، فقد دخلوا في الإسلام بسرعة حتى أصبح بعد فترة ليست بالطويلة من الصعب تمييزهم عن بقية المسلمين ، وقد احتفظ البعض منهم بأسمائهم الأصلية ، كما ان الزواج المتبادل بينهم وبين العرب والبربر ساهم في تقليل الفوارق بينهم[٢].

وذكر أيضا الموالي أو الصقالبة ، إذ كان المسلمون يشترونهم ليزيدوا بهم جيوشهم عدداً وقوة ، وفي بعض الحالات ليكونوا خدماً وقهرمانات داخل القصور ،وبلغوا في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي بخاصة عددا هائلا ، فكان منهم في قرطبة وحدها في بعض الحالات خمسة عشر ألفا ويزيدون [٣]. أما أهل الذمة (المسيحيون واليهود) من أهل الأندلس ، فيقول عنهم ليفي : " إن أفراد هذه الطبقة لقيت تسامحا كبيرا من جانب الأمويين ولذلك ارتقوا في مناصب الدولة مثل الجيش والإدارة ، وتعمقوا في العلوم والآداب والشعر ، وقد فاقوا العرب في الشعر والنثر ولذلك أطلق عليهم المستعربة لأنهم تعربوا في اللغة والثقافة " [٤]. وقد كانت الكتابة بالعربية لا باللاتينية هي التي تستعمل لتحديد النطق وبالحروف العربية ، أيضا كانت تدون كتب التعليم المسيحية ومختارات الصلوات بل كذلك بعض المؤلفات أو المستندات ذات الصبغة العلمانية[٥] . ويذهب ليفي إلى إن رجال الدين والأحبار كانوا يستخدمون من قبل الأمير الأموي في السفارات والمهام السياسية السرية ، حيث كانوا قد أجادوا اللغة العربية وتضلعوا فيها مما

---

(١) بروفنسال ، حضارة العرب في الأندلس ، ص٢٨-٢٩ .

(٢) الشيخ ، محمد محمد مرسي ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالامويين في الأندلس حتى اواخر القرن العاشر الميلادي ، ص٨٩ .

(٣) لسان الدين ابو عبدالله محمد التلمساني ابن الخطيب (ت٧٧٦هـ /١٣٧٤م) ، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق ليفي بروفنسال (بيروت، ١٩٥٦)،ج٢، ص٤٠. ٤١ ؛ ابن حيان ، المقتبس،ص٤٨ ؛ بروفنسال ، حضارة العربية في أسبانيا، ص١١٠.١١١ .

(٤)بروفنسال ، حضارة العرب في الأندلس، ص١٩

(٥) بروفنسال ، تراث الأندلس ، ص٦٢٢ .

يؤكد وجود صلات ود وثيقة متصلة بين مختلف عناصر السكان في الأندلس(١) وفي النهاية ذكر اسم المدجنين (Mudejares) وهي من دجن بالمكان أي أقام – أو المهاجرين او المداخلة أو المعاقدين أو المعاهدين أو حتى المورسيكيين ، وهم المسلمون الذين بقوا بعد الاسترداد وان كان بعضهم قد تنصر كما ان معظمهم تجمع في طليطلة(٢) . وذكر إن عملية الاسترداد وعودة المسيحية إلى أسبانيا حصلت عندما تمكن الملكان فرناندوا وايزابيل من دخول غرناطة في ٢ يناير ١٤٩٢م ورفعت فيها راية شنت ياقب(*) على قمة الحمراء(٣) .

ثانيا : الجوانب السياسية :-

إن ما ورد في كتب التاريخ من تسميات مختلفة عن الأندلس وفتحها على الرغم من وعورة مسالكها وقسوة مناخها إنما تدل على أن هذه الحشود الكبيرة وهذا الهدف الخطير وهذه المدة الطويلة التي استغرقتها في صراع وطراد ومتابعة لابد أن يكون وراءه نصر عظيم حققه العرب والمسلمون .

هذا الفتح لم يقتصر على جنوب الجزيرة أو شمالها بل شمل جميع أنحاء هذه المنطقة. إن هذا الحدث التاريخي الكبير لم يكن مفهوما جغرافيا فحسب بل أن الأندلس تراث وحضارة وتاريخ كما هو شمول لمختلف العناصر البشرية التي ضمتها واستظلت بظل الإسلام حيث كان له جوانبه السياسية والقومية .

واستقر الحكم الإسلامي في الأندلس تدريجيا واستمر المسلمون في الحكم ثمانية قرون ، منذ فتحها بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير وآخرون سنة (٩٢هـ/٧١١م) حتى سقوط غرناطة سنة (٨٩٧هـ/١٤٩٢م). ومرت الأندلس في هذه القرون بعدة عهود

---

(١) بروفنسال ، الحضارة العربية في أسبانيا ، ص١٠٢ .

(٢) عنان ، ، الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال ، ص٤٣٦ ؛ ماجد ، تاريخ الحضارة الأندلسية ، ص٢٧٨

(*) عن شنت ياقب الاسطورة الدينية تلك التي تحيط بشأن المدينة وبالدور العظيم الذي لعبته في تاريخ مملكة جيليقيا وفي حضارتها في العصور الوسطى ، للمزيد ينظر : عنان ، الاثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال ، ص٣٤٢-٣٤٨ .

(٣) بروفنسال ، الحضارة العربية في أسبانيا ، ص٣٦ .

تقلبت خلالها بين الضعف والقوة وبين النصر والهزيمة ويمكن إجمال هذه العهود التي كان لكل منها طابع مميز فأولها عهد الفتح (٩٢-٩٥هـ/٧١١-٧١٤م) وثانيا عهد الولاة (٩٥-١٣٨هـ/٧١٤-٧٥٥م) ثم ثالثا عهد الامارة (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٩م) ورابعا عهد الخلافة (٣١٦- ٤٠٠هـ/٩٢٩-١٠٠٩م) وخامسا عهد الطوائف (٤٠٠-٤٨٤هـ/١٠٠٩-١٠٩١م) وسادسا عهد المرابطين والموحدين (٤٨٤-٦٢٠هـ/١٠٩١-١٢٢٣م) وأخيرا سابعا مملكة غرناطة (٦٢٠-٨٩٧هـ/١٢٢٣-١٤٩٢م) وهي آخر حصن للإسلام هناك حيث تم السقوط وفيها نهاية الحكم الإسلامي للأندلس وذهاب سلطان المسلمين السياسي منها هناك[١] .

وقد أوضح بروفنسال الجانب السياسي للأندلس بقوله : " هذا الشعب الأندلسي المسلم بدا عفويا يحس باصالته الذاتية والواقعية في مطامحه السياسية "[٢] ، إما مسألة الانفصال عن مركز الخلافة في المشرق والاستقلال عنها فيرجعه بروفنسال إلى : " الظروف السياسية الوقتية التي ساعدت على هذا النوع من الانفصال المعنوي ، ومضى يكبر مع الزمن شيئاً فشيئاً ، عندما تهاوت أول إمبراطورية عربية في المشرق ، وأدى ذلك إلى انفصال أسبانيا الإسلامية عنها ، واستقلالها عن ساداتها البعيدين وقدمت نفسها إلى واحد من أحفاد الأسرة التي انتزعت منها الخلافة وأقامت لنفسها منذ ذلك الوقت أسرة حاكمة خاصة بها واستقلت بنفسها عن أفريقيا واسيا معاً "[٣] .

وفي ظل تحقيق الهدوء والوحدة السياسية للأندلس يذكر المؤرخون[٤] الكثير من حالات المشروعية والهيبة على أفكار التحديث والتقدم والثقافة لبعض الحكام فعلى سبيل المثال : حكم الأمير الحكم الأول (الربضي) للفترة (١٨٠-٢٠٦هـ /٧٩٦-٨٢٢ م) فترك

(١) المقري ، نفح الطيب ، ٢٣١/١ ؛ المراكشي ، البيان المغرب ، ٢٥/٢ ؛ الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، ١٥١/١ ؛ ابن سعد الاندلسي ، المغرب من حلى المغرب ، ١٨٢/٢-٤٧٣ ؛ ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ٧٥٣/٢ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ٢٧٩/٢-٢٨٠ .

(٢) بروفنسال ، الحضارة العربية في أسبانيا ، ص٢٠ ؛ تراث الأندلس ، ص٦١٨ .

(٣) الحضارة العربية في أسبانيا ، ص٢٠ .

(٤) ابن عذارى ، البيان المغرب ، الجزء٢ ، ص٦٩ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، الجزء١ ، ص٢٢٨ .

دولـة متماسكة ، مستقلة استقلال تامـاً وقد شبه هذا الأمير ، ((بالخليفـة المنصـور العباسي)) في شدة بأسه وحزمه وقوة عزيمته وحسن تدبيره وهذه الصفات جميعها مكنتـه من القضاء على الثورات والفتن التي هددت عرشه[١] .

وأشار بروفنسال إلى دور الحكم في قيادة الدولـة فقال : " الحكم الأول احد الذين كونوا وحدة الأندلس ، وقد ساعد هذا الهدوء والسلم النسبي على خلق نهضـة وإنمائـها "[٢] .انعكس هذا الاستقلال على النشاط الذي قام به الأمير عبد الرحمن الثاني أو الأوسط (٢٠٦ – ٢٣٨ هـ / ٨٢٢ – ٨٥٢م) فقد تميز عهده الطويل بإحداث متنوعة كانت على جانب كبير من الأهمية ، منها انتقال الحضارة العراقية إلى الأندلس[٣] وجهاده البحري ضد المسيحيين والنورمانديين الوثنيين[٤] والعلاقات الدبلوماسية الأولى بين الأندلس والدولة البيزنطية[٥] ولا ننسى أعماله الإدارية والعمرانية وقد أوعز بروفنسال هذه الأحداث إلى : " إن فترات الهدوء السياسي هي التي تكون دائماً ملائمة لنمو الفكر وتطوره والتعمير والتأثير الثقافي وشدة نفوذه وكثرة إنتاجه ولذلك فانه من الظلم ان لا يمنح عبد الرحمن الثاني المكان البارز الذي يليق به " [٦] . ويؤكد رأيه هذا في مكان أخر قائلا : " إن عبد الرحمن الثاني هو الذي أعطى مملكة قرطبة النظام العباسي ، وانه من الخطأ أن ننسب ذلك إلى الناصر " [٧] .

إن الاستقلال السياسي الذي حصلت عليه الأندلس بهذا الشكل لم يكن يمثل خطراً على الخلافة العباسية، بل بقى يحمل رسالة الإسلام في داخل الدولة العباسية وخارجها ،

---

(١) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، الجزء٢ ، ص٧٢ ؛ بروفنسال ، تاريخ أسبانيا المسلمة ، الجزء١ ، ص١٨٤ ؛ العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص١١٩ .

(٢) الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية ، ص١٩ .

(٣) المقري ، نفح الطيب ، الجزء٤ ، ص١٢٠–١٢٤ .

(٤) ابن عذارى ، البيان المغرب ، الجزء٢ ،ص ١٣٢ –١٣٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، الجزء٦ ، ص٢٣٨ .

(٥) عنان ، عبد الله ، دولة الإسلام ، الجزء١ ، ص٢٧٨ .

(٦).حضارة العرب في الأندلس ، ص٤٥؛ الشرق الإسلامي والحضارة العربية في الأندلس ، ص١٩

(٧) المرجعان نفسهما .

ولهذا لم نجد هناك خصومة أو مواجهة يذكرها المؤرخون لإعادة الأندلس إلى الخلافة الإسلامية ، بل على العكس كان هناك صلات مميزة ورحلات متبادلة وتواصل حضاري بين المشرق الإسلامي ومغربه (١) .

وقد حاول عبد الرحمن الثاني أن يفيد من التطور الحاصل في الخلافة العباسية وأشار إلى ذلك بروفنسال بقوله : " فلكي لا يظهر بمظهر المتأخر بالنسبة إلى خلفاء بغداد كان عبد الرحمن الثاني عندما يصف له رسله بعد عودتهم من الشرق نظم العباسيين ؛ يحاول أن يحذو حذوهم دون أن يسمح للعداوة التقليدية بين الأسرتين ان تكون عائقاً " (٢) .

لذلك نجد في القرن الثالث الهجري ، إن النظام القرطبي يقتفي اثر النظام العباسي على الأقل في مبادئه ، كما ان تكوين بلاط الأمير كان يدل على تقليده لخلفاء بغداد (٣) .

أما عصر الخلافة في الأندلس وهي تسمية جديدة فقد تكيفت تكيفا جديدا تبعا للواقع والضرورة السياسية ومصلحة المسلمين والنظرية الناجحة هي التي تتبع الواقع وتتأثر به ، وكان تعاملهم بالطريقة الديمقراطية حيث كان الخليفة إنسانا اعتياديا قد يخطئ او يصيب والناس أحرار في نقده وان استطاعوا عزله عزلوه لان الخلافة تستند الى السياسة أولا ثم إلى الدين ثانيا(٤) . وقد جسدها بروفنسال بالخليفة عبد الرحمن الثالث (الناصر لدين الله) الذي حكم للفترة (٣٠٠ – ٣٥٠ هـ / ٩١٢ – ٩٦١ م) الذي اشتهر عصره بالرقي والازدهار الداخلي وبالمنشآت المعمارية العظيمة التي تمت في عهده وهو يعدّ من أعظم ملوك العالم في العصور الوسطى ، نظرا لما احتلته قرطبة من مكانة بين

---

(١) المقري ، نفح الطيب ، الجزء١ ، ص١٣٥–٢٧٨ ؛ الحجي ، عبد الرحمن علي ، التاريخ الأندلسي ، ص٢٨٩ .

(٢) الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية ، ص١٩ .

(٣) المقري ، نفح الطيب ، الجزء٣ ، ص١٢٥ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، الجزء٢ ، ص١٣٦ .

(٤) المقري ،المصدر نفسه ، الجزء٢ ، ص١٠٦ .

عواصم الدنيا في ذلك الوقت ، ووفدت السفارات إلى قصر الخلافة متتابعة[(١)] . وفي ذلك يقول ليفي عنه : " ترتبط فترة حكم عبد الرحمن الناصر الطويلة في الحوليات والمدونات الإسلامية لمؤرخي شبه الجزيرة بالازدهار الرائع في كل مظاهر الفكر وفي الوقت نفسه كانت فترة استقرار سياسي " [(٢)] .

وجانب آخر من الجوانب السياسية هي فترة حكم المنصور الحاجب محمد بن عبد الله بن أبي عامر (٣٢٨ – ٣٩٢ هـ/٩٤٠ – ١٠٠٢م) [(*)] وقد وصف بعض المؤرخين سياسته وصفا معبرا فقالوا : " كان المنصور ، آية من آيات الله في الدهاء والمكر والسياسة ، عدا بالمصافحة (أي أعوان الحاجب المصحفي) على الصقالبة حتى قتلهم ، ثم عدا بغالب[(**)] على المصاحفة حتى قتلهم ثم عدا بجعفر بن الأندلسي على غالب حتى استراح منه ، ثم عدا بنفسه على جعفر حتى أهلكه . ثم انفرد بنفسه ينادي صروف الدهر : هل من مبارز ؟ فلما لم يجده ، حمل الدهر على حكمه ، فانقاد له وساعده واستقام له أمره منفردا بسابقة لا يشاركه فيها غيره " [(٣)] . لهذا فان مكانته في الأندلس قائم على

---

(١) احمد بن عمر بن انس العذري (ت ٤٧٨هـ /١٠٨٥م) : نصوص عن الأندلس (قطعة من : ترصيع الأخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك) تحقيق : الدكتور عبد العزيز الاهواني ، أسبانيا (مدريد ، ١٩٦٥) ، ص٧٢-٧٣ ؛ العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص٢٠٤ .

(٢) الحضارة العربية في أسبانيا ، ص٢٤ .

(*) الحاجب المنصور هو المنصور بن ابي عامر وكان الحكم قد استوزره لولده هشام ، فترقى امره حتى بلغ مابلغ من الجاه والسلطان ، وصارت الدولة والعرش والقصر والخليفة الصبي ، وام الخليفة ، كل اولئك طوع يمينه ، ينظر : عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، ص٢٦.

(**) المصاحفة اعوان الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي ؛ الصقالبة اعوان القائد المغيرة بن عبد الرحمن الصقلبي . وغالب هو القائد غالب بن عبد الرحمن قائد الجيش وامير الثغور وكانت له مكانة عظيمة في الدولة ، فتزوج المنصور ابنته واصبح الجيش في ذلك بيده وقد اوغر المصحفي صدر الخليفة عليه فعزله وقبض عليه وزجه في سجن الزهراء الى ان مات ، للمزيد ينظر : ابن عذارى ، البيان المغرب ، الجزء٢ ، ص٢٨٦ .

(٣) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، الجزء٢، ص٧٧ ؛ ابن بسام ، الذخيرة ، الجزء٤ ، ص٣٩ ؛ المقري ، نفح الطيب ، الجزء١ ، ص٣٩٦ .

نشاطه الإداري والعسكري غير إن مآخذ وجهت إليه منها انه كان السبب في الحالة التي أصابت الأندلس وانتهت بقيام الطوائف بعد القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي[١] .

وهو الرأي الذي اعتمده بروفنسال فهو يعدّ المنصور ابن أبي عامر رجل التوسع خلال عصر الأمراء بلا مراء وأعظم أبطاله فعالية ، في ظل حكمه الفعلي بلغت قوة الأندلس ذروة توهجها في العالم الغربي[٢] . ويعد الفترة بعد ابن أبي عامر فترة الانتكاس وبداية الاضمحلال للدولة العربية الإسلامية في الأندلس ويقول : " لم تمض بضع سنوات على وفاته في مطلع القرن الحادي عشر ، وبسبب تدخل القواد البربر والموظفين الصقالبة في إدارة شؤون الدولة على نحو واضح ، اشتعلت الحرب الأهلية فجأة ويعنف لم يسبق له مثيل واتى إعصارها والى الأبد على الدعائم القوية للبناء الذي أقامته الأسرة الأموية في الأندلس " [٣] .

وبعد عصر الإمارة انتهى نشاط الجيش الإسلامي ويمكن القول إن الجهاد والفتح قد توقف وأصبحت الدولة في موقف دفاع ترد هجمات الأعداء أو تجهيز حملات تأديبية ضد الاضطرابات التي تقوم هناك وعادة ما ينتهي الأمر إلى إبرام اتفاق معين أو صلح مع دويلات أسبانيا النصرانية التي كانت على استعداد لنقضه حينما تجد الفرصة المناسبة [٤] ، أما البلدان البعيدة فكانت السياسة قائمة على قبول عروض الصداقة وإبداء التعاون والمحافظة على الوفاء به[٥] .

ومن الأمور السياسية التي تطرق إليها بروفنسال هي كثرة الوفود المتبادلة بين حكام الأندلس وأمراء وحكام الدويلات النصرانية ، فقد قام بدراستها وتعرض إلى قسم منها بالنقد وخاصة السفارة التي قدمت للبلاط الأموي في القرنين (٣-٤ هـ/٩-١٠ م) حيث

---

(١) الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص٣٠٦ .

(٢) الحضارة العربية في أسبانيا ، ص٢٧ .

(٣) المرجع نفسه

(٤) ابن حيان ، المقتبس ، ص١٨٨ ؛ بروفنسال ، تاريخ أسبانيا المسلمة ، الجزء١، ص٣٧٩ .

(٥) الحجي ، أندلسيات ، دار الارشاد (بيروت ، ١٩٦٩) ، ص٨٠ ؛ العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص٢٤٦-٢٤٧

كانت تمثل نوعا من العلاقات الدبلوماسية والثقافية التي تتأثر إلى حد – بالواقع السياسي – وان هذه السفارات وردت من حكام أسبانيا المسيحية قاصدة قرطبة تخطب ودها وتسعى لكسب صداقتها [١] . ومن اشهر هذه السفارات كانت السفارتين التي جاءتا من قبل الإمبراطور الألماني اوتو والتي تحدث عنهما بروفنسال لما فيهما من التباس بانهما سفارة واحدة ، فضلا عما جاء في النصوص التاريخية من أنهما وصلتا من تاريخ مختلف وقد استطاع بروفنسال دراستها والتحقق منها[٢] .

وتطرق بروفنسال عن الشخصيات التي يتم اختيارها للسفارة عند الخليفة في الأندلس ، إذ كان يقوم بدراسة شخصيته ومرافقيه من له خبره وحنكه ،ويعرف طريقة التفاهم ويذكر : " كان الأمير ، أو الخليفة فيما بعد ، يقر دائماً تقريباً ما تنتهي إليه الانتخابات التي تجري لاختيار كبار رجال الدين وبخاصة مطران طليطلة واسقف قرطبة ، ويستخدم هؤلاء الأحبار أنفسهم ، إذا دعت المناسبة ، في السفارات والمهمات السياسية السرية " [٣] .

وقد عبر بروفنسال عن أسفه لضياع الأندلس من أيدي المسلمين العرب بقوله : " نوع من الأسى ظل باقيا على الرغم من تباعد الحقب وضرب من الحسرة على كنز ضائع او على (فردوس مفقود) بتعبير أفصح " [٤] .

ثالثا : الجوانب الاقتصادية

تتصف بلاد الأندلس بكثرة أنهارها وسعة أراضيها الخصبة وتنوع تضاريسها الأرضية (الجبال الصخرية العالية ،والمرتفعات المتموجة ، والوديان العميقة) [٥] . كما

---

(١) بروفنسال : " تبادل السفارات بين قرطبة وبيزنطة في القرن التاسع الميلادي " ، بحث نشره في مجلة (Byzantion) ، بلجيكا (بروكسل ،١٩٣٧) ، ج١٢ ، ص١–٢٤ ؛ بروفنسال ، الإسلام في المغرب والأندلس ، ص٩٢–١١٨ .

(٢) بروفنسال ، تاريخ أسبانيا المسلمة ، الجزء٢ ، ص١٥٣–١٥٤ .

(٣) الحضارة العربية في أسبانيا ، ص١٠٢ .

(٤) محاضرات في تاريخ أسبانيا المسلمة ، ص١ .

(٥) عبد الله بن عبد العزيز بن ابو عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) ، المسالك والممالك ، تحقيق : الدكتور عبد الرحمن الرحمن علي الحجي ،لبنان ، (بيروت ، ١٩٦٨) ، ص٦٦ . ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص٩٧ .

عرفت بكثرة خيراتها وتنوع محاصيلها الزراعية وان صلاتها مع الشرق الإسلامي مكن مزارعيها من إدخال أصناف من الفواكه والخضر والحبوب المعروفة في بلاد المشرق الإسلامي ، كما إن طيب مناخها وغزارة أمطارها وخصوبة أراضيها وتنوع محاصيلها دفع العرب إلى القدوم إلى ارض الأندلس بإعداد كبيرة بعد فتحها عام (٩١ هـ / ٧١٠م) ومما يعرب عن التقدم ما قام به القائد موسى بن نصير من تقسيم الأراضي المفتوحة بين رجال الجيش الفاتح . كذلك قسم مغانمها بعد تخميسها وأبقى ما فتح صلحاً بيد أصحابه [١] .

وسبب استغلال الأراضي الزراعية وزيادة الإنتاج ارتفاع دخل الدولة في عهد عبد الرحمن الثاني (٢٠٦-٢٣٨ هـ /٨٢٢-٨٥٢ م) ونتيجة لزيادة الإنتاج وتوفير فرص العمل ، فقد تحسنت الأحوال الاقتصادية وارتفع مستوى معيشة الأفراد .وقد أشار إلى هذا بروفنسال في تناوله لقدوم زرياب إلى الأندلس والمكانة التي حضي بها لدى الأمير عبد الرحمن الثاني الذي خصص له : " كل شهر مائتي دينار راتباً ، وان يجري على بنيه الذين قدموا معه وكانوا أربعة ، عشرين دينارا لكل واحد منهم في الشهر وان يجري على زرياب من المعروف العام ثلاثة آلاف دينار ، منها لكل عيد ألف دينار ، ولكل مهرجان ونوروز خمسمائة دينار . وان يقطع له من الطعام ثلاثمائة مدى ، ثلثاها شعير وثلثها قمح واقطعه من الدور والمستغلات بقرطبة وبساتينها ومن الضياع ما يقوم بأربعين ألف دينار . فهدأ المهاجر بالا ، ووضع لتردده حدا ، وعزم على الاستقرار في أسبانيا بقية أيامه " [٢] . ومن حديث الموسيقي زرياب نستدل على ان الخزينة الخاصة بالأمير كانت متخمة بالثروة بفضل الدخول الأندلسية الهائلة والتي تتكون من " أعشار التجارة وجزية أهل الذمة ومن الخراج " [٣] .

---

(١) المقري ، نفح الطيب ، الجزء١ ، ص٢٧٢-٢٨٦ .

(٢) محاضرات في تاريخ أسبانيا ، ص٦٧-٦٨ .

(٣)ج . ف . ب ، هوبكنز (دكتور) ، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى ، ترجمة الدكتور امين توفيق الطبسي ، الدار العربية للكتاب ، (ليبيا – تونس ، ١٩٨٠) ، ص٩١ .

أما بالنسبة للتجارة فيذكر إن المجتمع الأندلسي خلال العصور الوسطى كان قائما على " حرية المبادلات وعلى الاقتصاد الحر " [١] . إن النظم الإسلامية القائمة على التسامح وعلى التعدد واحترام مختلف الأديان أدى إلى الرخاء في المدن من خلال الصناعات الحرفية والتجارة وقد أوعز بروفنسال ذلك إلى التقدم الذي حققه المسلمون سريعاً في فن الملاحة حينئذ بدأ المشرق بتنظيم جملة من المعلومات الجغرافية او المتصلة بالطرق ، تتعلق بالأندلس، ومجرد وجودها يبرهن لنا على إن العلاقات بدأت مبكرة في مختلف المجالات وفي حقل الصلات التجارية بخاصة على التأكيد بين جانبي البحر الأبيض المتوسط [٢] .

ولذلك ازدهرت التجارة بفعل العلاقات الاقتصادية التي أخذت ترتقي والتي يرجع سببها كما قال بروفنسال إلى : " إن أساطيل الموانئ الأندلسية التجارية (اشبيلية ومالقا Malaga ودينيا Denia وفالنسيا والمرية) خاصة كانت في جميع طرق البحر الأبيض المتوسط تنقل المنتجات القادمة من مختلف أنحاء أسبانيا أو من المعاقل الصناعية في المدن الإسلامية " [٣] .

ويذكر إن الأندلس كانت تشتهر بصناعات مختلفة منها استخراج المعادن من مناجمها المختلفة وعلى الأخص الذهب من المناجم الواقعة على نهر تاجه والفضة ببعض جهات قرطبة والحديد من جبال طليطلة وشمالي الأندلس [٤] . وكان بالأندلس عدة مقالع للرخام الأبيض والخمري والأحمر والمجزع . وقد وصفها المقري وصفا شائقا وذكر أماكنها

---

(١) مادلين نصر (دكتورة) : صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، (بيروت ، ١٩٩٥) ، ص١٣٨ .

(٢) بروفنسال ، الحضارة العربية في أسبانيا ، ص٥٢ .

(٣) بروفنسال ، حضارة العرب في الأندلس ، ص٥٣ .

(٤) ابو بكر احمد بن محمد الرازي (ت ٣٤٤هـ /٩٥٥م) : صفة الأندلس (قطعة من جغرافية الرازي) ، نشر ليفي بروفنسال ، مجلة الأندلس الأسبانية ، (مدريد، ١٩٥٣) م١٨ ، الجزء١ ، ص١٠٣ ؛ البكري ، جغرافية الأندلس وأوربا ، ص١٢٩ ؛ حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والإداري والثقافي والاجتماعي ، ط٧ دار النهضة ، (القاهرة ، ١٩٦٥) ، الجزء٣ ، ص٣٢٢ .

[1] . وأشار ليفي إلى المنتوجات الصناعية الصادرة من الأراضي الأسبانية أو من مصانع المدن الأندلسية نذكر منها: " أغطية جنجالة Chinchila والمطرزات والسجاد من بازا وكالسينا Calsena , Bazaetda ، وفراء السمور من سرقسطة Saragosse والخزف المذهب من مالقا Malaga والمجوهرات المرصعة والجلود الفائضة عن الحاجة من قرطبة والأسلحة من طليطلة والورق السميك من ياتيفا Jativa " [2] .

وقد ربطت الطرق البرية فضلا عن البحرية الأندلس فهي تبدأ من بلاد الأندلس إلى طنجة عبر مضيق جبل طارق مجتازاً بلاد الغرب الأقصى والأوسط والأدنى عن طريق افريقية (تونس) حتى يصل إلى مصر[3] .

وقد اكد ذلك ليفي فهو يقول : " إما العلاقات الاقتصادية فقد نحت مع الزمن نحوا عجيبا ، وقد كانت هذه العلاقات دائمة ومتينة بصورة خاصة مع مصر ، التي أصبح تأثيرها على الأندلس قوياً " [4] . وعن العلاقات التجارية مع مصر يقول انه عثر خلال النقوش الأندلسية على اسم تاجر من الإسكندرية مات في ميناء (المرية)[*] سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م منقوشاً على احد قبور المدينة ؛ما يدل على انه مات أثناء سفره في العهد الذي كانت المرية فيه تصنع أقمشة فاخرة ذات شهرة عالمية [5] .

إن هذه العلاقات التجارية كانت تدر على خزينة الدولة بأموال كبيرة تسمح للأمير أو الخليفة بشراء الجواهر الفريدة ، والكتب النادرة ، والأقمشة الثمينة ، بأي سعر مهما

---

(١) نفح الطيب ، الجزء١ ، ص٩٥-٩٦ .

(٢) حضارة العرب في الأندلس ، ص٥٣-٥٤ .

(٣)ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبه (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م) ، المسالك والممالك ، طبعة دي غويه ،(ليدن ، ١٨٨٩) ، ص١٥٤ .

(٤) الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية ، ص٢٦ .

(*) ميناء المرية : تعتبر المرية من أجمل الثغور والمدن الاسبانية ، وقد أنشأ عبد الرحمن الناصر مينائها وارصفتها في سنة ٩٥٥هم ، وكانت ايام الطوائف قاعدة مملكة صغيرة زاهرة ، للمزيد ينظر : عنان ، الاثار الاندلسية ، ص٢٦٥/٢٦٦ .

(٥) الحضارة العربية في أسبانيا ، ص٧٧ .

غـــلا ؛ وتعـــود نبهـــاء التجـــار ان يقومـــوا بهـــذه الرحلـــة الطويلـــة والخطـــرة إلـــى الأندلس ليقدموا إلى عاهلها فرائد الأشياء وأثمنها [١] .

وقد دعم العرب المسلمون في الأندلس الجانب الزراعي وذلك لان أراضيها تعدّ من أحسن المناطق الزراعية التي تشجع على الإنتاج والاستثمار وقد وصفها ابن خفاجة بجنة الخلد فقال [٢] :

يا اهل الأندلس ! لله دركـم ماء وظل وانـهار واشجـار

ما جنة الخلد الا في دياركـم ولو تخيرت هذي كنت اختـار

انتفع المسلمون من وجود الأنهار الكبيرة كنهر تاجه والوادي الكبير ووادي يانه الذي يقع جنوب مدينة بطليوس غرب الأندلس ووادي ابُر في المناطق الشمالية الشرقية وأقاموا عليها السدود وشقوا الجداول ، واستخدموا هذه المياه في الزراعة التي أحرزوا قصب السبق فيها ، ويذكر إن العرب وضعوا تقويماً للزراعة عرف بالتقويم القرطبي ، أصبحدليلاً ودستوراً لزراعة النباتات المختلفة في مواعيدها ، وأخذه عنهم غيرهم من الأمم [٣] .

وفي هذا الموضوع يقول بروفنسال : " أن العربية لا تزال لغة الفلاحين الصحيحة ، وبخاصة مفردات بعض المصطلحات التقنية الزراعية وتظهر مرة أخرى في المقاييس والموازين الريفية أيضا، سواء ما اتصل منها بقياس الأرض ومساحتها أم أوزان المحاصيل وقدرها وفيما يتعلق بالري تعود الطرائق المتبعة إلى العصر القوطي ، دون أدنى شك ويختلف في تفاصيلها عن الطرق المتبعة في شمال أفريقيا ومصر بخاصة وبفضل طرق الري هذه ما زالت الأراضي في شرق الأندلس تحرث على نحو ما كان عليه الأمر

---

(١)المرجع نفسه ، ص٦٦ .

(٢) ابو اسحق إبراهيم بن ابي الفتح (٤٥٠-٥٣٣هـ/١٠٥٨-١١٣٧م) : ديوان ابن خفاجة ، تحقيق كرم البستاني ،دار صادر (بيروت ، ١٩٥١) ، ص٨٦ .

(٣) الشنتريني ، الذخيرة ، ٨/٣ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٦٧٠/١ ؛ حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص٣٢٢ ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٧١) الجزء٧ ، ص١٦٠-١٦١ ؛ مادلين ، صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية ، ص١٣٩ .

أيام المسلمين " [١] . ولا تزال كلمة الناعور Noria العربية مستخدمة في أسبانيا . أما المنتوجات الزراعية التي كانت تزرع في الأندلس فهو يثبتها من معاجم النباتات والمفردات العربية مثل : " أسماء الفاكهة والزهور التي تزرع في أسبانيا ، كالبرقوق والمشمش ، والزعرور والياسمين والقطن والزعفران والزيتون [٢] . لذلك فهو يشهد بما أخذته الأسبانية من العربية لتغذية لغتها .

أما طريقة جباية الأموال ، فكان يتم عن طريق ((صاحب المدينة)) وهذا ما أشار إليه بروفنسال فيقول : " والراجح إن صاحب المدينة كان في المغرب صاحب اختصاص في جباية الأموال " [٣] ، ومن النظم المالية التي ذكرها أيضا منصب ((المشرف)) وهذا اللقب ظهر متأخراً نوعا ما أثناء حكم الموحدين ويبدوا أنهم استحدثوه ما لم يكونوا قد أخذه المغاربة من الأندلس ويذكر ليفي انه : " كان للأمويين في قرطبة مشرفون" [٤] ؛ وان أول مشرف ورد ذكره في المغرب كان في نهاية حكم المرابطين إلا وهو ابن الخيار الجياتي الذي يعرف بمشرف فاس قبل استيلاء عبد المؤمن عليها مباشرة [٥] .

فيما يتعلق بواجبات المشرف ، يبدو أنها كانت متصلة بالمكوس أو الرسوم المفروضة على البضائع الواردة إلى المدن وهذا أدق استنتاج وصل إليه ليفي : " إن واجبات المشرف كانت مالية وان كلمة المشرف بالأسبانية (Almojarif) ، والتي تتداول الآن تدل على ان المشرف كان موظفاً جمركياً ، لأنها تطلق على مدير المكوس " [٦] .

---

(١) الحضارة العربية في أسبانيا ، ص ١١٨ .

(٢) بروفنسال ، حضارة العرب في الأندلس ، ص٨٣ .

(٣) محاضرات في تاريخ أسبانيا الإسلامية ، ص٨١ .

(٤) تاريخ أسبانيا الإسلامية ، ج٣ ، ص٤٠ .

(٥) مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق ي . س . علوش ، تونس ، (الرباط ، ١٩٣٦) ، ص١١ .

بروفنسال : وثائق لم تنشر عن تاريخ الموحدين (باريس ، ١٩٢٨) ، ص٦٥ .

(٦) تاريخ أسبانيا المسلمة ، الجزء٣ ، ص٧٠ .

وفي جباية الأموال ذكر أنّ وظيفة (عامل) كثيراً ما تعني وكيلا للسلطات المالية ، مع انه كان له واجبات أخرى كذلك [١] . مثلاً يقال جماعة من الأشخاص كعامل أو مشرف وخازن على المال الذهبي وخازن على الطعام وهي أسماء مترادفة ويستشهد ليفي على ذلك فيقول : " أما كتاب السقطي[*] فيبدأ بمقدمة يبين المؤلف فيها انه يقصد إلى تأليف كتاب يحوي تاريخ الغششه من التجار والعمال ممن يرود الأسواق وتطفيفهم المكاييل والموازين ووسائلهم في بخس البضائع " [٢] .

وبما أن الدولة الإسلامية في الأندلس قد اتبعت الشريعة الإسلامية في إيراداتها ، لذلك كانت تقسم إلى قسمين الأولى إيرادات بمقتضى الشريعة وإيرادات خارج نطاق الشريعة أي بحسب النظرية الفقهية . ويذكر انه كانت فترة مبكرة تحققت فيها في الواقع الدولة الدينية (الثيوقراطية) ، فتقوم بجباية الأموال وإنفاقها ملتزمة في ذلك بما جاء في الشرع التزاماً شديداً [٣] . ومثل ليفي هذا في : " تاريخ أسبانيا أيام الخلفاء وأيام بني عامر أدلة كثيرة على ذلك ، ودليل أخر نجده في عبارة وردت في كتاب (الروض القرطاس) [٤] ، مضمونها إن أقاليم افريقية والأندلس لم يكن أيام المرابطين يدفع يدفع إلا الزكاة والعشر وهي الضرائب الشرعية دون أن تضاف إليها ضرائب إضافية مثل الضريبة العقارية أو الخراج ومثل الحقوق الملوكية" [٥] .

أما الضرائب غير الشرعية ، فإنها فرضت منذ أقدم الأزمنة فالمقريزي يقول : " إن الخليفة عمر بن عبد العزيز (حوالي سنة ١٠٠هـ /٧١٨م) كان ينهي عن المكوس ويأمر بإبطالها "[٦] . ومما يذكر إن هذه الضرائب تظهر عندما تواجه الدولة

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، الجزء٣ ، ص١٣١ .

(*) السقطي : ابو عبد الله محمد بن ابي محمد السقطي المالكي الاندلسي ، كتاب في اداب الحسبة ، طبع في باريس .

(٢) محاضرات ، ص٨٨ .

(٣) هوبكنز ، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى ، ص٦١-٦٢ .

(٤)ابو الحسن علي بن محمد ابن ابي زرع (ت٧٢٦ هـ) ، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة مدينة فاس ، اوبسالة ،(فاس ، ١٨٤٣) ، ص٧٩ .

(٥) محاضرات ، ص٨٢ .

(٦) المقريزي (ت ٨٤٥هـ) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الجزء١ ، ص١٦٦-١٦٧ .

الإسلامية مشكلة تهيئة المال اللازم لتغطية نفقات الدولة ، وبما إن الإيرادات الشرعية (الزكاة والجزية) ليست إيرادا للدولة والمستحصل منهما ينبغي إعادة توزيعه على فئات معينة من الأشخاص ، لذلك فان المصدرين الرئيسيين القادرين على تهيئة إيراد وافر هما الخراج والرسوم الكمركية التي يدفعها تجار ارض الحرب (١).

وعن هذه الضرائب يقول ليفي : " ان الضرائب غير الشرعية المسماة بالمكوس مثار دائماً للحيف في العصور الوسطى وكان خطرها كبيراً لأنها كانت تعطي التزاما وكان ملتزموها من غير المسلمين أحيانا ، مثل ربيع بن ثيودلفو القومس المستعرب الذي عاش زمن الحكم الأول في قرطبة " (٢) . وهذا يعني إن الضرائب غير الشرعية كانت تجر الدولة إلى ضائقات مادية أو تؤدي إلى انهيار الحكم القائم وذلك لان معظم الولاة كانوا شبه مستقلين في مقاطعاتهم ولا يعمدون إلى إرسال الضرائب الى الحكومة المركزية إلا بعد التهديد وكثير من الأحيان بواسطة القوة مما كان يضعف دوما مركز الحكومة المادي لان الخزينة لا يمكن أن تتحمل أعباء المصاريف إلا إذا تلقت الأموال من مختلف المقطعات وليس من العاصمة وحدها ، وبهذا يظهر دور الملتزمين وجشعهم في الأضرار بمصلحة البلاد المادية ، فان محصلي الضرائب هؤلاء الذين كانوا يلتزمون جبايتها من منطقة معينة مقابل دفع مبلغ من المال سلفا للحكومة كان يرهقون الشعب بجبايتهم فيستعملون مختلف أنواع القسوة ويطالبون الناس بأكثر مما عليهم (٣) . فيجدون أنفسهم مضطرين لذلك في كثير من الأحيان طالما إن الحكومة تؤيد الجابي وطالما إن الوالي قد استلم المبلغ سلفا فلا فرق عنده في مقدار المبلغ الذي يحصله الملتزم من الشعب فكان ينتج عن ذلك تأخر في أحوال الشعب المادية يتبعه حتما تأخر الوضع الاقتصادي للحكومة فيساعد على انهيار الحكم القائم (٤) .

---

(١) هوبكنز ، النظم الإسلامية في المغرب ، ص٩١ .

(٢) المحاضرات ، ص٨٢ .

(٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، الجزء١ ، ص١٢٢ ؛ هوبكنز ، النظم الإسلامية ، ص١١٤ .

(٤) الحلل الموشية ، ص٤٢٧ .

وبعد هذا فان ليفي تناول الناحية الاقتصادية بشيء من التفصيل وتناول موارد بيت المال وطرق جبايتها وأوجه صرفها ، والتجارة والصناعة وجميع أوجه نشاطاتها .

رابعا : المظاهر العلمية :-

بدءاً يجب أن نؤكد ، إن الفكر العلمي العربي الإسلامي في الأندلس ، نهر انهمر في قرطبة وغيرها من المدن، وحفظ جوهر الفكر القديم ونقله إلى العالم الجديد بشكل أصيل نابع من الأندلس . وان التلاقح الفكري بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي ، ولد ثمرة في تطور الفكر والمعرفة الأوربية ما قبل عصر النهضة [١] ، وأشار ليفي لذلك فقال : " ظل ذلك المجهود العلمي الذي قامت به أسبانيا المسلمة على الرغم من كل مقاومة ، طابعا عبقريا بارزاً ونتيجة ملحوظة للثقافة الأندلسية التي أنتجتها الثقافة الشرقية ، ونشر لوائها عرب الأندلس ولأموا بينها وبين بيئتهم الطبيعية والجنسية والاجتماعية " [٢] .

ساهمت الأندلس بنصيب وافر خلال مراحل تاريخها في مجهود العلم الضخم الذي كون هذا التراث في الآداب والعلوم النقلية والعقلية وهذا ما أكده ليفي في كتاباته عن الحضارة العربية في الأندلس المسلمة فعلى سبيل المثال أشار إلى إسهام علمائها قائلا : " أسهم علماؤها بمؤلفات عظيمة وفريدة في مختلف هذه العلوم ، وعلى الأقل بتواضع كثير ، قد ألفوا شروحا وتعليقات قيمة على مؤلفات شرقية ، وانه لذلك تحتل بين دول العالم الإسلامي مكاناً بارزاً ولكي نتحقق من ذلك فما علينا إلا أن نتصفح فهارس الكتب التي وضعها (حاجي خليفة) أو (بروكلمان) فيظهر أمامنا أهل

---

(١) فيليب حتي ، تاريخ العرب (المطول) ، بالاشتراك مع ادورد جرجي وجبرائيل جبور، دار الكشاف ، (بيروت ، ١٩٦٦) ، الجزء٢ ، ص٦٨١ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)، المدينة الإسلامية واثرها على اوربا ، (القاهرة ، ١٩٥٠) ، ص٩٨-١٠٠ ؛ زيغريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ص٦٨-٧٤ .

(٢) الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية ، ص٢٨ .

أسبانيا يتجمعون فيها في صفوف عديدة في كل قرن من العصور الوسطى ويحتلون مكانا سامياً " [١] .

لقد جسد ليفي عصر الخليفة الحكم الثاني المستنصر بالله . حين اجتمع في قرطبة علماء كثيرون ، ومكتبة ضخمة وملك عالم ، اجتمعوا في وقت واحد . وهذا يدل على مدى الازدهار العلمي الذي تمتعت به الأندلس في القرن الرابع الهجري فقال : " حتى قبل أن يصل إلى كرسي الخلافة (٣٥٠هـ/٩٦١م) هو الذي بصورة خاصة ، بذل في هذا المضمار الجهود التي كان لها الأثر الحاسم على الاستشراق السابق للتأمل الأسباني في مجال العلوم الرياضية والطب " [٢] وهذا ما أكده المؤرخون بقولهم عن الحكم الثاني إذ كان خبيراً بشؤون الحكم فقد أشركه أبوه معه من قبل في تدبير شؤون الدولة ، وعهد إليه بالإشراف على بناء مدينة الزهراء، يضاف إلى ذلك أن لحكم كان رجلاً عالما منصرفا إلى العلم والقراءة وتصيد الكتب النادرة من كل مكان [٣].

واستشهد ليفي بالتعبير عن الحكم الثاني بكاتب عربي أندلسي في القرن التالي لحكمه وهو سعيد الطليطلي[*] بالقول : " هو الذي عمل على جلب أهم المؤلفات الرئيسة النادرة المتعلقة بالعلوم القديمة والحديثة، من بغداد ومصر وأماكن أخرى في المشرق، وجمع منها في أواخر حكم أبيه ومن ثم طيلة حكمه هو نفسه ،عددا يضاهي تقريبا العدد الذي جمعه الأمراء العباسيون برمتهم في وقت أطول بكثير "[٤] . حتى تكونت في القصر الملكي بالزهراء مكتبة كبيرة حوت نحو أربعمائة ألف مجلد ، في شتى الفنون والعلوم ،

---

(١) بروفنسال ، الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية ، ص٢٧ .

(٢) حضارة العرب في الأندلس ، ص٦٣ .

(٣) المقري ، نفح الطيب ، الجزء١ ، ص٣٦٧ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، الجزء٢، ص٢٥٣ ؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، الجزء٢، ص٥٣٣ .

(*) سعيد الطليطلي (٤٦٢. ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) سكن قرطبة ، روى عن ملك بن انس من مؤلفاته (تصانيف الامم) للمزيد ينظر : الضبي ،بغية الملتمس ، ص٣٠١، الرقم (ت٨٢٤).

(٤) حضارة العرب في الأندلس ، ص٦٣

ورعى الحكم الثاني العلماء المبرزين في كل فروع العلم وأغدق عليهم مبالغ في إكرامهم . وجذب الكثير منهم إلى بلاطه وأحاط نفسه بالعلماء [١] .

نضج الفكر الإسلامي بالترجمة والنقل ، حيث بدأ المشارقة يتجهون إلى الأندلس ، تجذبهم إليه المراكز الثقافية في عواصم المقاطعات المختلفة ، بسبب ماجدّ فيها من ثقافات أجنبية وخاصة ان المسلمين أجادوا التلمذة وهضموا ما نقلوه ، وذلك إتباعا لسنة نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) وحثه على العلم والجد في حصوله . وهذا ما صرح به ليفي فقال : " وأدب التراجم افرد أبوابا خاصة بالأندلسيين الذين ذهبوا إلى المشرق ، وبالمشارقة الذين قدموا إلى الأندلس ، يسمح لنا أن نؤكد دون أن نجازف بالوقوع في الخطأ إن القرن الحادي عشر الميلادي والقرون الثلاثة التي تلته ، شهدت علاقات ثقافية نشيطة " [٢] . وفي مكان آخر أعطى ليفي اليهود دوراً مهماً في الترجمة وفي تنمية حضارة الأندلس فيقول : " فكان إسهامهم في الترجمة أكثر فعالية في الجهد الثقافي الكبير الذي اضطلعت به أسبانيا المسيحية وفي اخر فترة من فترات العصور الوسطى ، وقبل ان ينتقل مركز الثقافة العبرية من جنوب ووسط شبه الجزيرة إلى قطلونية وبروفانس شغل اليهود الجانب الأكبر في فريق الترجمة الذي شكله الفونسو العالم ملك قشتالة ، وكانت كل مظاهر التأمل الفكري تثير اهتمام هذا الأمير الأسباني المستنير " [٣] .

ومن المعلوم إن الأندلس كانت البلد الأوربي الوحيد في العصور الوسطى الذي تمتع فيه اليهود بحقوقهم كاملة كما تمتعوا برعاية الدولة لهم ونتيجة لهذا التسامح المثالي ، وبكافة الأبعاد ،اتخذ هؤلاء اليهود العربية لغة لهم وأتقنوها وجعلوا يكتبون بها أكثر مما يفعلون مع لغتهم اللاتينية وقد اشتغل كثير منهم بالعلوم والأدب والطب والفلسفة

.(١) عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، مطبعة الاستقامة ، (القاهرة ، ١٩٤٩) ، ص٢٥ (الحاشية) ؛ الحجي ، عبد الرحمن علي ، التاريخ الأندلسي ، ص٢٩٩ .

(٢) الحضارة العربية في أسبانيا ، ص٧٦ .

(٣) الحضارة العربية في الأندلس ، ص١٣٧ .

، وكانوا يرون في المسلمين أولئك الفاتحين الذين يتركون لهم حرية الضمائر والشعائر مقابل جزية ضئيلة ، ملائكة منقذين [١] .

إن اللغة العربية التي اعتنقها الشعب الأندلسي بعد دخوله الإسلام تعلمها غير المسلمين فقام هؤلاء بنقل كتبهم المقدسة مثل التوراة والإنجيل والزبور من السريانية والعبرية إلى العربية . وكذلك نقلت إليها سائر العلوم الأخرى وفي ذلك نرى ليفي يمجدها بقوله : " وقد اظهر الشعب الإسلامي الأسباني تقديسه وتعلقه الخاضع للرمز الأدبي والفعلي الذي كانت اللغة العربية تحمله إلى جميع أراضي الإسلام الشاسعة بما بذله في الدفاع عن هذه اللغة " [٢] .

وأصبح المجتمع الأندلسي – نساؤه ورجاله جلهم يقرأ ويهتم بالعلم والتعليم يتذوقه ويستمتع بقراءته ومدارسته وفيه الآلاف من العلماء المتخصصين في كل ميدان يؤلفون ويكتبون بغزارة وفيرة واصالة باهرة وتمكن نادر ، فإننا نتوقع سيلا من الإنتاج جارفا واهتماما بالعلماء والعلم ، ووسيلة ذلك الكتاب ، فكانت الأندلس قبلة العلماء والمتعلمين ليس من العالم الإسلامي فقط ، ولكن من خارجه أيضا [٣] .

وتعد المساجد من المؤسسات الحرة في الأندلس ، وان أنفقت الدولة على إنشاء العديد منها ووفرت الكثير من الخدمات لها ، والمسجد انسب مكان لنشاط الحركة العلمية [٤] . ويذكر بروفنسال : " إن جامع طليطلة الكبير يقوم فيه مشاهير فقهاء المملكة بالتعليم للدراسات الإسلامية " [٥] .

---

(١) المقري ، نفح الطيب ، الجزء١ ، ص١٢٦-١٢٧ ؛ عنان ، محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس ، ق١ ، ص٣٢ .

(٢) الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية ، ص٢٧ .

(٣) عبد الرحمن علي الحجي ،" الكتب والمكتبات في الأندلس "، مجلة كلية الدراسات الإسلامية ، كلية الدراسات الإسلامية ،(بغداد ، ١٩٧٢) ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، ص٣٦٧ .

(٤) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ، الجزء١ ، ص١٥ ؛ ابن بشكوال ، الصلة ، الجزء١ ، ص١٩٥ ، الجزء٢ ، ص٤٨٥ .

(٥) الإسلام في المغرب والأندلس ، ص١٣٣ .

وفي مكان آخر تحدث عن المدن وتخطيط المسجد الجامع الذي عدّ بروفنسال : " أهم المعالم التي تميز مدن المغرب الإسلامي ، إذ هي نواة مدينة مركزية تشمل المسجد الجامع والقيسارية " [١] .

الكثير من العلوم الفكرية التي عمل بها العرب المسلمون حينما نقلوها من اليونان وأضافوا إليها محاولاتهم للتوفيق بينها وبين الشريعة الإسلامية فساعدوا على تقدمها . وقد تناولها بروفنسال بالدراسة والتحليل وذلك لإيضاح دور الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ولذلك سوف نتناول قسما منها :-

١- العلوم العقلية (الفلسفة) :- كان العرب قديما لا يقصدون بها دراسة الحكمة وحدها وإنما يقصدون بها أيضا المعرفة بالرياضيات والطب والفلك والموسيقى [٢] . وعن المؤثرات الشرقية التي يمكن إظهارها ونحن نتفحص أهم الأدلة التي ما تزال سالمة في الأندلس والتي يقول بروفنسال عنها : " إن أسبانيا لتفخر اليوم بذلك الجهد الفلسفي وذلك النزوع الصوفي في عصورها المشبعة بروح الإسلام ، فهي تطالب في أن يكون ذلك كله من ارثها الثقافي ، وتفسح مكانا إلى جانب شخصيات كسينيك Senequa ، وتيريزه الافيلية Threse d'Avila ، لابن رشد وابن سبعين Sab'in ولابن ميمون Maimonide ايضا "[٣] وفي الموضوع نفسه يؤكد بروفنسال قول السيد اسين ميشال Mignel Asin عن فضل العرب في ازدهار الفلسفة في الأندلس بقوله : " ان تاريخ الفكر الفلسفي في أسبانيا المسلمة هو اقتباس أمين من الثقافة الإسلامية المشرقية ودون أية رابطة ايجابية فان التقاليد المحلية تفصح عن ذلك " [٤] . وهذا ما أثبته الفلاسفة العرب من إن العرب المسلمين في الأندلس قد عبروا عن قبولهم التوفيق للفلسفة اليونانية وحرصهم على الإطلاع عليها وإدخالها في شرح

---

(١) محاضرات ، ص٩٨ .

(٢) حاجي خليفة ،كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، الجزء٢ ، ص٢٠٣ ؛ ابن خلدون ، المقدمة ، ص٣٧٩–٣٨١ .

٣ حضارة العرب في الأندلس ، ص٦٣ .

(٤) المرجع نفسه ، ص٦١-٦٢ .

الدين الإسلامي وقد جعلوها سندا للعقيدة إذ وجدوا ضرورة اتفاق العقيدة مع العقل فإلى العرب وحدهم يرجع الفضل في ازدهار الفلسفة في الأندلس فهم الذين أذاعوها في العالم فضلاً عن إنهم يمثلون في الفلسفة عصراً جديداً في الفكر الإنساني[١] .

٢- إما جانب الرياضيات فان العرب والمسلمين كانوا قد توصلوا إلى حقائق علمية رائدة فيها وقد شمل هذا الحقل كلا من علم (الفلك والحساب والهندسة)[٢] . ويذكر المؤرخون إن الخليفة عبد الرحمن الثاني اهتم بعلم الهيئة أو التنجيم ويرمي من وراء رصد حركات الكواكب لأهميتها في تحديد الوقت وعملوا المراصد في المدن (قرطبة ،طليطلة)[٣] . ويذكر ليفي : " إن الحكم أرسل في بداية عهده (عباس بن فصيح) إلى الجزيرة العربية لكي يبحث له وينقل إليه الكتب التي ورثها العرب عن اليونانيين في الفلك والتنجيم . وانه كان يجمع علماء الفلك لكي يشبع رغبته في معرفة المستقبل . وقد أسبغ عليهم نعمه وطلب منهم أن يشهدوا معه السماء ومجموعات النجوم لكي يدرس طالع أتفه حالات الحياة اليومية " [٤] .

٣- أما جانب الطب والصيدلة فلم يقتصر الأندلسيون على ما وجدوه في الكتب بل عمدوا إلى التجارب فأجروها على النباتات والحيوانات فصنعوا الأدوية المستحضرة وشخصوا كثيرا من الأمراض ، فاشتهرت خزانة الطب على عهد الحكم المستنصر . وكان المرضى يحصلون منها على العلاج المجاني وكان للأطباء ديوان [٥] .

---

(١) عبد الحميد ، عرفان (دكتور) ، الفلسفة في الإسلام ، دراسة ونقد (بغداد ، د. ت) ، ص٤٦-٤٨ .؛ عبد الرزاق ، مصطفى ، التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ، ط٢ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، ١٩٥٩) ، ص٢١ ؛ ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، ص٢١٣ .

(٢) ابن صاعدة ، طبقات الأمم ، ص٨٤ ؛ لطفي عبد البديع ، الإسلام في أسبانيا ، ص٥٦ .

(٣)حتي ، فيليب ، تاريخ العرب (المطول) ، ص٦٧٨ .

(٤) الشرق الإسلامي والحضارة العربية في الأندلس ، ص١٨ .

(٥) ابو داود سليمان بن حسان الأندلسي ،ابن جلجل (ت٣٨٤هـ) ، طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد السيد ، دار المعارف ((القاهرة ، ١٩٥٥) ، ص١١٠ .

لذلك يقول بروفنسال عن الصيدلة : " ليس من اليسير إن ندخلها في عداد المهن الاقتصادية " (١) ، ذلك إنها لا تدر موردا ماليا على صاحبها وذلك لان الصيدلي في الإسلام لا يأخذ أجرا على عمله وان معاش صاحبها كان على الدولة ، وكانوا يسمونها (علم العقاقير) أو مخزن العطارين (٢) .

٤- ومما يذكر من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس تطور الصناعات فقد ذكر ليفي علم الكيمياء كثيرا وقال إن عددا من الصناعات التي قام بها المسلمون في الأندلس بوساطة استخدامهم المواد الكيمياوية كثيرة منها صناعة الأواني المذهبة وصناعة الجلود في قرطبة وصناعة العاج وصناعات الأقمشة والسجاد (٣) . وقال عن (عباس بن فرناس) ، " انه اشتغل بالكيمياء و صنع في بيته هيئة السماء ، وخيل للناظر فيها النجوم والغيوم والبرق والرعد " (٤) . وفي مكان آخر قال : " انه كشف في مخبره الطريقة لصناعة البلور " (٥) . وهذا ما ينسب إليه حيث يذكر انه كانت تخرج من داره قناة يجري فيها ماء احمر كالدم ، وانه عرف من الزجاج الشفاف الطبيعي وقلده بالزجاج الصناعي لأنه عرف تكوينه عن طريق الصناعة ويسمى علم الحيلة (٦) (الكيمياء) .

٥- وقد ذكر بروفنسال الفن ، هو احد سمات الفكر الإسلامي ، وقد وضعه العرب المسلمين في خدمة الدين ، فأصبحت الآيات القرآنية وسور القرآن توضع على كل شيء كالأواني والحوائط والأسوار(٧) وقد ركز على جوانب من هذا الفن هي :-

---

(١) محاضرات ، ص٩٢ .

(٢) ابن جلجل ، طبقات الأطباء ، ص١١٠-١١٣ .

(٣) الحضارة العربية في أسبانيا ، ص١٢٧-١٢٨ . ٠

(٤) الحضارة العربية في أسبانيا ، ص٧٤ .

(٥) حضارة العرب في الأندلس ، ص٥٢ .

(٦) الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الأندلس ، (رقم ١٣٤٧) ؛ ابن سعيد الأندلسي ، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف (القاهرة ، ١٩٦٤) ، سلسلة ذخائر العرب رقم (١٠) ، الجزء١ ، ص٣٣٣ .

٧ محاضرات في تاريخ أسبانيا المسلمة ، ص٧٠ ؛ الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية ، ص٣٣-٣٤

أ- العمارة : لقد جسدت قصور الحكام في الأندلس الفنون الجميلة وما أبدعه العلماء فيها من فنون صورها ليفي في قوله : " عن طريق فن قرطبة في عصر الخلافة مباشرة اقتبس الفن الروماني بلا ريب جزئيات عديدة لتزيين كنائس هذا الفن : وان استعمال الـ (Modillon) وهي طريقة في تزيين (الأعمدة) نحتا والقوس المتجاور والقبة المضلعة يظهر جوهر هذه الذكريات " [١] أي إن البنائين والمزخرفين المسيحيين في الأندلس قد اقتبسوا عدداً وافراً من خبرة أشكال الفن الإسلامي ، وأنهم كانوا دائماً يقلدون تلك الأشكال في أوسع مجال من الحرية في العمارة الأندلسية الباقية معالمها إلى حد الآن .

ب- الخط والزخرفة :- عن التأثيرات المشرقية في خزف قصر الزهراء[*] يقول ليفي انه " يثبت بفنه وألوانه وتصويره ومناظره ، انه من اصل عراقي . إما الصناديق الصغيرة المصنوعة من العاج التي هي فخر مصانع الخليفة ، فقد استعيرت مواضعها وصورها ومناظر الصيد والموسيقى ومجالس الشراب من قائمة الفن الآسيوي التقليدي " [٢] . فهو إذن وضح اثر الشرق الإسلامي في البناء الأندلسي ولكن هذا التأثير كان متحرراً من قواعد الفن الشرقي الكلاسيكي الصارمة التي تميز النظم الإسلامية التي تنطبق في تخطيط وبناء المدن وعلى محيطها القريب في آن واحد .

إما الخط فيقول عنه بروفنسال : " فليس النقش فيها كما كان في الآثار الإسلامية القديمة مرسوما من حروف الهجاء الكوفية ذات الزوايا الخالية من

---

(١) حضارة العرب في الأندلس ، ص٨٩ .

(*) الزهراء : مدينة صغيرة أو مجموعة قصور بناها المنصور بن ابي عامر (الحاجب المنصور) وانتقل اليها سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م وتقع شمال شرقي قرطبة على نهر الوادي الكبير وتقابل مدينة الزهراء وقد شيدت في الزهراء القصور الفخمة والحدائق الزاهرة وانتقلت اليها دواوين الحكم وخزائن السلاح والمال واتسعت كثيرا في عهد المنصور حتى اتصلت ارباضها بارضاض قرطبة ، للمزيد : انظر ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢/٢٧٥-٢٧٦ ؛ عنان الاثار الاندلسية ، ص٣٥ ؛ العبادي ، في تاريخ المغرب والاندلس ، ص٢٦٣ .

(٢) الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية ، ص٣٣-٣٤ .

المرونـة ولكنـه مرسوم بحـروف مـن النسـخ المعلـق والمـدور تـدويرا جمـيلاً ، أمـا الأفـاريز المنقوشـة فإنهـا تتخـذ شـكل عصـائب ممتـدة علـى الحافـات أو محيطـة بــالأبواب والنوافــذ ، تحتــوي هــذه النقــوش مــدائح وآيــات قرآنيــة وقصــائد شعرية " [١] فهذا يؤكد قول المؤرخين عن خط الأندلسيين[*] مدورة [٢] ، أو إنهم تفننوا وتأنقوا في تجويده [٣] .

٦- الموسيقى والغناء : لما كان لكل امة حضارة تفصح عنها وتفاخر بها ، وان شاركتها فيها أمم وشعوب أخرى على تفاوت هذه المشاركة لان الحضارة ومنها الفنون تعتبر ثمـرة الأجيـال البشـرية فـي كـل مكـان ، فالغنـاء والموسـيقى العربيـة بصـورة عامـة والأندلسية على وجه الخصوص ، لم تكن في معزل عن التأثير بما لدى الأمم الأخرى التـي اختلطت بهـا . كمـا كـان لهـا اثـر كبيـر فـي غيرهـا أيضـا واستطاع أهل الأنـدلس تطوير هذا الفن ، شانهم فيه شانهم مع كافة فنون المعرفة الإنسانية بل قفزوا بـه مراحل كبيرة إلى الأمام . حتى غدت الأندلس مهوى الطرب وموطن محبيه . إن انتقال الموسيقى إلـى الأنـدلس عن المسلمين ممّا أكده بروفنسـال فـي قولـه : " عن وجـود حفلات الموسيقية وكانت شحيحة عند الأسبان ، حتى دخول الأمويين في عاصمتهم " [٤] .

---

(١) محاضرات ، ص٧٠ .

(*) الخط الاندلسي : وهو خط التدوين وهو اكثر مطاوعة وكان اقرب الى الكوفي البسيط واستخدم في الامور الدينية القضائية والخط التذكاري الذي كتب به على الاحجار والنقوش وما اليها ويحتفظ المغاربة به لانهم يعتبرونه الخط العربي الاصيل ويسمى بالخط المغربي المستدير وهو خطا كثير الائتلاف تقل الاستقامه في الفه ولامه كما يتميز بهبوط في النون اقرب الى الاقواس منها الى انصاف الدوائر فضلا عن انه نحيف مفتح العيون في كتابة المصاحف مطموسها في الخط الدارج ، للمزيد ينظر : الحسيني ، محمد عبد العزيز ، دراسات في العمارة والفنون الاسلامية ، المطبعة العصرية ، الكويت ، د.ت ، ص٢١٧-٢١٨.

(٢) المقدسي ،احسن التقاسيم ، ص٢٣٩ .

(٣) المراكشي ،المعجب ، ص٣٧٢ .

(٤) الحضارة العربية في أسبانيا ، ص٦٣ .

وبوصول زرياب الموصلي (٢٤٣هـ /٨٥٧م) إلى الأندلس في عصر عبد الرحمن الثاني (الأوسط) الذي حكم إحدى وثلاثون سنة وثلاثة اشهر وأيام (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م) ، نقل معه الحياة العراقية بمظاهرها الفنية والاجتماعية ،ودخلت الموسيقى والغناء مرحلة جديدة وأورث زرياب من صناعة الغناء ما تناقله الناس إلى أزمان الطوائف[1] ، واحتلت الموسيقى مكانة مرموقة في الأندلس ولقي الموسيقيون والمغنون عناية لم يلقوها من قبل ، وبعد ان استقر زرياب انشأ معهدا للموسيقى ضم أبناءه وبناته إليه وعددهم ثمانية وضم أيضا عددا من الطلبة الجيدين وجعل له نظاما وأسلوبا خاصا في اختبار تلاميذه وتلميذاته . وهذا ما أكده ليفي بقوله: " انه انشأ في الأندلس معهداً حيث استطاعت الموسيقى الأندلسية بسرعة أن تحقق طابعها الذاتي الذي لا يزال حيا في جميع الغرب الإسلامي . بعد ان كانت متصلة اتصالا وثيقا بالمدرسة الشرقية ، وهي تدين له باختراعات فنية مثل العود ذي الأوتار الخمسة الذي حل محل العود ذي الأوتار الثلاثة الذي كان يستعمل حتى ذلك الوقت " [2] .

إما عن الشعر الغنائي أو ما يسمى (التروبادور) وهو من الزجل والموشحات ، فقد أخذ هذا النوع من الشعر بالظهور في الأندلس منذ أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي [3] ، وهو شعر شعبي غنائي بالعامية ، وعم هذا النوع من الغناء كافة نواحي البلاد لأنه يعبر عن أحوالهم ويصف حياتهم اليومية ويشرح رغباتهم واتجاهاتهم . وقد أشار ليفي إليه كثيراً إذ ذكره في المحاضرة الثالثة من محاضراته التي ألقاها في جامعة فاروق بعنوان (الشعر العربي الأسباني والشعر الأوربي الوسيط) [4] . وفي مكان أخر تحدث عن نشوء هذا النوع من الشعر فيقول : " كان ظهوره بلا شك نتيجة لخضوع الشعر العربي الفصيح لقوالب عروضية صارمة ... على حين إن الشعر الشعبي الذي اخترعه أعمى قبرة مقدم بن معافى ، في رأي بعض

(١) عبد الرحمن علي الحجي ، تاريخ الموسيقى الأندلسية ، دار القلم ،(بيروت ، ١٩٦٩) ، ص٢٣-٢٧ .

(٢) الشرق الإسلامي والحضارة العربية بالأندلس ، ص٢٢ ؛ حضارة العرب في الأندلس ، ص٤٧-٥١ .

(٣) ابن سعيد المغربي ، المغرب في حلى المغرب ، الجزء١ ، ص٢٦٦ .

(٤) محاضرات ، ص٤٣-٥٣ .

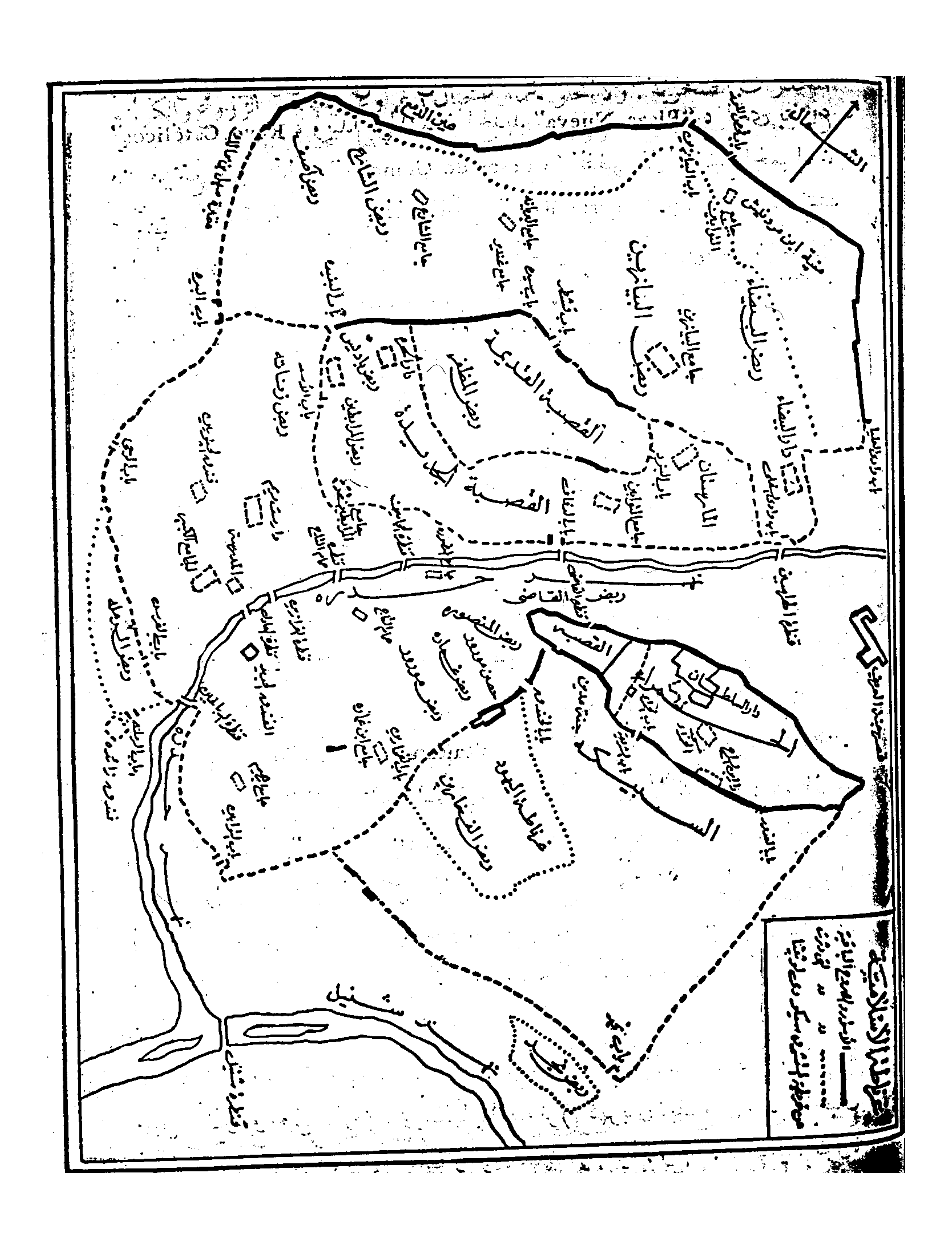
المصنفين الأندلسين ، يجوز فيه للشاعر ان يستخدم بحوراً أخرى غير بحور العروضيين ويخالف بين القوافي في القصيدة الواحدة ، وقد تكون لغة هذا الشعر فصيحة وهذا شأن الموشحات وقد تكون دارجة ملحونة وهذا شأن الأزجال ، فالموشحة(*) والزجل لا يختلفان من حيث تركيبهما اللفظي في اللغة المستعملة " (١) .

بما أوردنا من سمات مؤلفات بروفنسال عن حضارة العرب في الأندلس ، والتي جسدها بالمظاهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية ، أوضحت أثرها الفاعل حتى اليوم في تقدم الإنسانية ، إن وجهة نظره التي انطلق منها تبقى جزئية مثلها مثل كل وجهات النظر الأخرى ، نمت بشكل تأريخي تحت تأثير عوامل متنوعة وأظهرت منهجه الذي دل على الوعي العلمي المتعمق في دراساته عن تأريخ الأندلس هذا البرنامج الكامل في تفاصيل تاريخ الأندلس قد عكس تشكيل مكسب ضخم وتراكم بحوث غزيرة . أوضحت جوانب كثيرة من حضارة العرب المسلمين المتفوقة على الحضارات الأخرى لذا استحق منه هذا الاهتمام الكلي تقريبا عنده ، مقترن بتصور جوهري عن هذه الحضارة نفسها التي اعتقد إنها كانت مزودة بجوهر ثابت هو الدين الإسلامي بصفته المعيار الرائد للتحليل الصائب المعبر عن موقفه العقلي الخاص .وفي المظاهر السياسية استطاع أن يلعب دورا كبيرا في نشر هذه العقيدة المستوردة من داخل المجتمعات العربية – الإسلامية وان يتطرق إلى أكثر من مشكلة والى أكثر من نظام ، تجاوز الإطار الوطني المحلي لكي يصل إلى الإطار الأوسع هو العربي الإسلامي .

تستطيع أن تقول انه حمل من خلال مؤلفاته نبض المجتمعات الإسلامية من الداخل وهذا ما لا يستطيع أن يدعيه أي مستشرق مهما كبر علمه ومهما طالت إقامته في بلاد الإسلام ومهما عاشر من أهلها .

(*) الموشح هو فن شعري معّرب ، استحدثه العرب في الاندلس قبل نهاية القرن الثالث الهجري ، بنوه على ابيت يغلب أن تكون خمسة ، وقد تزيد على العشرة واقل ماترد فيه اربعة ، للمزيد ينظر : مقدام رحيم ، عروض الموشحات الاندلسية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص١١ .

(١) الإسلام في المغرب والأندلس ، ص٢٨١.٢٨٠


غرناطة الإسلامية
الأسوار والأبراج الباقية
عن غرناطة المسلمة لسيكو دي لوثينا
الشمال
ربض البيضاء
دار البيضاء
ربض البيازين
جامع البيازين
باب البيازين
القصبة القديمة
القصبة الجديدة
ربض المظفر
جامع الشائع
ربض الشائع
المارستان
باب البنود
باب الدفاف
ربض زناته
باب الأسد
دار البيضاء
المدرسة
الجامع الكبير
باب البيرة
باب الرملة
ربض الرملة
ربض القاضي
قنطرة الطرسين
قنطرة القاضي
قنطرة ابن رشيق
الحمراء
دار السلطان
جنة مدين
باب الغدور
غرناطة اليهود
ربض الفخارين
ربض المنصورة
ربض عمارة
ربض مورور
جامع ابن عمارة
باب الفخارين
باب الزاهرة
جامع العجيب
الفندق الجديد
باب نجد
ربض نجد
نهر شنيل
قنطرة شنيل
نهر حدرة
السبيكة

الخاتمة

الخاتمة

إذا كان لابد من وضع خاتمة للبحث عن (دراسات ليفي بروفنسال في تأريخ الأندلس) . فيمكن القول ؛ إن مؤرخ الأندلس ليفي بروفنسال من الناس السعداء الذين وضعت حكومته تحت تصرفه كل شيء عن الأندلس ، واستطاع هو أن يصل إليه بصورة سهلة ومعقولة . فضلا عما يملك من ذاكرة عجيبة وروحاً مدفوعة للعمل الدؤوب التي لا تعرف للتعب طريقاً .

كانت الوثائق من أولى اهتماماته ، قضى عمره في البحث عنها سواء كانت على العظام او الخشب والرق يهتم بالمكتوب أو المنقوش على الحجر أو في شواهد القبور والأبنية والمساجد والكنائس . وقد حصل على نفائس المخطوطات عن تاريخ الأندلس وعلى مؤلفات العرب المسلمين ومن أعظم المكتبات في الأندلس أو من المغرب الإسلامي . ويعد ذلك كتب تاريخ الأندلس وقد أكد بروفنسال على الدور الذي لعبته الكتلة الجغرافية المتجاورة المتناسقة تناسقا كافيا لخلق هذه الحضارة والثقافة الإسلامية في الأندلس .

وعلى الرغم من دراسته على أساتذة عظام لكنه لم يتبع أي أستاذٍ من هؤلاء في منهجه فهو يكتب التاريخ بروح الآثاري او الفنان لابروح المؤرخ ، وقد شغل منصب كرسي التاريخ والحضارة والثقافة الإسلامية في عدد من الجامعات ، وهذا ليس بالامر الهين فهو مفكر عظيم التقدير للحضارة والثقافة العربية ، يبغض أشد البغض كل مايسيء اليها أو الحط من قدرها . وقد خلصت هذه الدراسة الى مجموعة من النتائج التي كشف عنها تتبعنا لدراسة مؤلفات ليفي بروفنسال نوردها فيما يأتي :-

١- أوضح الدور الذي لعبته الدولة العربية الإسلامية القوية في الأندلس والتي شكلت تحديا سياسيا وحضاريا كبيرا لاوربا المسيحية ، ويرجع ذلك الى أنّ الفكر والثقافة العربية الإسلامية كانا ارفع درجات عديدة من الفكر الاوربي الوسيط ، ويؤكد على الدور الذي لعبه الإسلام في فترات الهدوء والتسامح الديني التي كانت سنوات

طويلة لهدنات حقيقية أعطت الأندلس خلالها أكثر مما أخذت كما برهنت دراسته في أغلب الأحيان على عقل متسامح بإزاء رعاياها المسيحين لم يعد احد يماري فيه وقد عكس هذا على التلاقح الثقافي بين الغرب المسيحي والشرق المسلم واستشهد بالروابط الاجتماعية وعلى الاستعارات اللغوية الباقية في أسبانيا والدول المجاورة لها ، والتي يعدّها أفضل من جميع الوثائق التاريخية التي يملكها تبرز الإشعاع الحضاري الحقيقي الذي سلطته الأندلس على اوربا المسيحية الباقي في التاريخ المعاصر .

٢- اهتم بالبعد الديني ، وأكد انتشار الإسلام في الأندلس على الرغم ان معاصريه قد أهملوا هذا الجانب نظرا لانتشار الأبعاد اللادينية التي اتخذها المؤرخون الفرنسيون الاستعماريون . فإذا ما قارنا بروفنسال الذي يدرس التاريخ الإسلامي بسواه من المؤرخين المستشرقين والمحترفين وجدنا كتبه تبرز الإسلام كأسهام مؤكد في قيام الحضارة العربية في الأندلس ، وأفكاره مقبولة كحقيقة تاريخية عن تاريخ الأندلس عموما ، فعلى سبيل المثال دراسته في الفقه لاتدنوا في عمقها من المؤلفات المتخصصة لكنه كان يذكر مجالا للتخصص يتسم بالتحديد والوضوح .

٣- أوضح في مؤلفاته مركز صدارة الثقافة الأندلسية والدور العمراني الذي لعبه العرب المسلمين في العصور الوسطى وخاصة لدولة الموحدين في بناء الجيرالندا او البرج الذهبي مثلا ، وكذلك دورهم الباقي في أسبانيا . وقد تلمس ذلك من مظهرهم الخارجي وأساليب معيشتهم وفي داخل بيوتهم وقد ذكر أنهم بقوا محافظين على طابعه الأندلسي حتى في تقاليد زواجهم وتعاملهم وفي المناقشات العائلية وفي تهيئة الطعام التي تختلف عن طرائق سائر البلاد فهو يتابعه في كل سانحة من فروع المعرفة .

٤- عُدّ تاريخ العالم كلا واحد ذا تفريعات من حضارات وثقافات ، وعندما يريد أن يعطي نصيب حضارة (أسبانيا المسلمة) ، يقول تستطيع أن تثبت ذلك من التداخل بين الإسلام والمسيحية في الغرب الوسيط ، هذا التداخل الذي يضع الحضارة

العربية الاسبانية في موضعها الحقيقي في إطار الحضارة المشتركة بين جميع أرض الإسلام وفي إطار الحضارة الوسطية لأوربا الغربية ، أي انه يوضح الإرث الحضاري الذي حصلت عليه شبه الجزيرة الايبرية من حضارة العرب المسلمين ولم تقف عند الاقتباس عن حضارة بغداد بل أخذت تعمل على ان يشع نفوذها بوصفها أمة عظيمة متمدنة إلى خارج حدودها .

والحقيقة التي يقرها الباحث ، أن القوم مهما قرؤوا صفحات من تأريخنا ، ومهما أوغلوا في استنطاقه فان أمورا كثيرة تظل مستغلقة على فهمهم لان مفاتيحها غائبة عنهم ، وهي العقيدة الإسلامية التي يؤمنون بها . ويؤكد ذلك الاضطراب في أسلوب الكتابة في بعض الأحيان أو الفساد والضعف في ضبط بعض الكلمات التي يتصدى لضبطها لاسيما في إيراد الشعر .

لكن هذا لايمنع من القول إن دراسات بروفنسال وابحاثه القيمة قدأحلّته مركزاً سامياً في دولة العلم والأدب ، وفي ميدان البحث العلمي النزيه ، وفتحت أبواباً جديدة في مجرى دراسات تاريخ الأندلس. فهي تحتاج الكثير حتى يمكن إشباعها ، وان الباحث يتمنى أن تكون هناك دراسة عن (النظم الإسلامية في دراسات ليفي بروفنسال) أو (ليفي بروفنسال والثقافة والحضارة العربية) . لذا يهيب الباحث بحكوماتنا العربية الإسلامية ان تتعهد البقية الباقية من تراثنا في الأندلس بالدراسة والتنقيب عن كل ما خفي تحت ركام الماضي ، وتمديد الإنفاق بسخاء على كل ماله صلة بماضينا المجيد في تلك الديار . وحبذا لو عقدت معاهدات وإتفاقيات حول هذا المضمون لتكون اقدر على القيام بهذه المهمة التي تصوت لنا ما تبقى من أطلال ذلك المجد التليد وتشجيع الدراسات الأندلسية وتعريب ما كتب بلغات أجنبية عن الأندلس وتاريخها وآدابها ، وتعريف شعوبنا بما قام به ألآباء حينما سادوا هناك وان يعيد الثقة لامتنا الإسلامية الناهضة وتوجيه الأنظار إلى روعة عطاء أمتهم في مدة من الزمن وإسهامها في الحضارة الإنسانية إسهاما أصيلا نظيفا واتخاذ ذلك العطاء أساسا لحضارة جديدة لامتنا وللإنسانية جميعا والله ولي التوفيق .


المصــادر

المصادر :

١- **القرآن الكريم**

٢- **ابن الآبار** ، **ابو عبد الله محمد بن عبد الله** (**ت ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩م**)

- التكملة لكتاب الصلة ، المكتبة الاندلسية العربية ، (مدريد ،١٨٨٧م) .
- الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، (القاهرة ، ١٩٦٣م) .

٣- **ابن الأثير** ، **عز الدين ابو الحسن الجزري** (**ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢ م**)

- الكامل في التاريخ ، دار المعارف (بيروت ، ١٩٧٦) .

٤- **ارسلان** ، **شكيب**

- الحلل السندسية في الاخبار والاثار الانديليسية ، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت ، ١٣٥٥هـ)

٥- **ابن بشكوال** ، **ابو القاسم حلف بن عبد الملك الانصاري** (**ت ٥٧٨ هـ / ١١٩١م**)

- كتاب الصلة ، مطبعة الدار المصرية ، (القاهرة ، ١٩٥٥) .

٦- **البغدادي** ، **صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق** (**ت٧٣٩ هـ/١٣٣٧م**)

- مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ،تحقيق محمد علي البجاوي ، دار احياء الكتب العربية (القاهرة ، ١٩٥٤) ، .

٧- **البكري** ، **عبد الله بن عبد العزيز ابو عبيد** (**ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤**) .

- جغرافية الاندلس واروبا ،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ، (بيروت،١٩٦٨)
- المسالك والممالك ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن علي الحجي ، مطبعة لبنان (بيروت ، ١٩٦٨)

٨- **ابن تغري بردي** ، **جمال الدين ابي المحاسن الاتابكي** (**ت ٨٧٤ هـ -١٤٦٩ م**) ،

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ،(القاهرة ، د. ت)

٩- **ابن جلجل ، ابو داود سليمان بن حسان الاندلسي (ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م) ،**
- طبقات الاطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد السيد دار المعارف (القاهرة ، ١٩٥٥) .

١٠- **حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي(ت١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)**
- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، المكتبة الاسلامية الجغرافية ، (طهران ، ١٣٧٨ هـ) .

١١- **ابن حزم ، الاندلسي (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م)**
- طوق الحمامة في الالفة والالاف ترجمة بتروف ، (ليدن ، ١٩١٤) .

١٢- **الحموي ، ياقوت بن عبد الله البغدادي الرومي (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨ م)**
- ارشاد الاريب الى معرفة الاديب (معجم الادباء) ، مطبعة مرغوليث ، (ليدن ، ١٩٠٩) .

١٣- **الحميري ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٨٦٦هـ / ١٤٦١م)**
- صفة جزيرة الاندلس ، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ، نشر وتحقيق وتعليق حواشية ، آ . ليفي بروفنسال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، ١٩٣٧) .

١٤- **ابن حوقل ، ابو القاسم النصيبيب (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م)**
- صورة الارض (المسالك والممالك) ، بيروت ، د. ت) .

١٥- **ابن حيان ، ابو مروان بن خلف (ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م)**
- المقتبس في الاخبار بلد الاندلس ، تحقيق عبد الرحمن الحجي ، دار الثقافة (بيروت ، ١٩٦٥) .

١٦- **ابن خرداذبة ، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م)**
- المسالك والممالك ، طبعة دي نحوية ،(ليدن ، ١٨٨٩) .

١٧- **ابن الخطيب ، لسان الدين ابو عبد الله محمد التلمساني (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م)**
- اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، تحقيق ليفي بروفنسال ، (بيروت / ١٩٥٦) .

١٨- **ابن خفاجة ، ابو اسحق ابراهيم بن ابي الفتح** (ت ٥٣٣/ ١١٣٧ م)

- ديوان ابن خفاجه ، تحقيق كرم البستاني ، دار صادر (بيروت ، ١٩٥١) .

١٩- **الرازي ، ابو بكر احمد بن محمد** (٣٤٤ هـ / ٩٥٥م)

- صفة الاندلس (قطعة من جغرافية الرازي) ، نشر ليفي بروفنسال ، مجلة الاندلس الاسبانية (مدريد ، ١٩٥٣) .

٢٠- **ابن زبير ، ابو جعفر احمد** (ت ٧٠٧ هـ / ١٣٠٧م)

- كتاب صلة الصلة ، مكتبة خياط ، (بيروت ، ١٩٣٧) .

٢١- **ابي زرع ، ابو الحسن علي بن محمد** (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩ م)

- الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، اوبسالة ، (فاس ، ١٨٤٣) .

٢٢- **ابن زيري ، عبد الله بن بلقين بن ادريس** (٤٤٧هـ / ٤٨٣م)

- البيان من الحادثة الكائنة بدولة بتي زيري في غرناطة ، نشر وتحقيق أ. ليفي بروفنسال ، دار المعارف ،(القاهرة ، ١٩٥٥) .

٢٣- **ابن سبعين ، ابو محمد عبد الحق المرسي الاندلسي** (ت ٦٦٩/ ١٢٧٠م)

- رسائل ابن سبعين ، تحقيق عبد الرحمن بدوي سويسرة (برين ، ١٩٥٦).

٢٤- **ابن سعيد ، علي بن موسى المغربي** (ت٦٨٥هـ)

- الاندلس ، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضعيف ، سلسة ذخائر العرب رقم (١٠) ، لجنة دار المعارف للترجمة والنشر ،(القاهرة ، ١٩٦٤) .

٢٥- **السلاوي ، ابو العباس احمد بن خالد الناصري** (ت١٣١٥هـ/١٨٩٧م)

- الاستقصا لاخبار دولة المغرب الاقصى ، تحقيق ولدي المؤلف جعفر ومحمد ، دار الكتاب ،(الدار البيضاء ، ١٩٥٤) .

٢٦- **ابن سناء الملك ، ابو القاسم هبة الله بن جعفر** (ت ٦٠٨ هـ / ١٢١١م)

- دار الطراز في عمل الموشحات ، تحقيق جودت الركابي ، دار الفكر ، (بيروت ، ١٩٧٧) .

٢٧- **الشنتريني ، ابو الحسن علي بن بسام (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧م)**

- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، نشره طه حسين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،(القاهرة ، ١٩٣٩) .

٢٨- **الشيزري ، عبد الرحمن بن نصر (ت ٥٨٩هـ / ١١٩٣م)**

- نهاية الرتبة في طاب الحسبة ، تحقيق الدكتور السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، (بيروت ، ١٩٦٩).

٢٩- **الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٤م)**

- كتاب الوافي بالوفيات ، دار النشر فرانز شتايز ،(فيسبادن ،١٩٧٤) .

٣٠- **العذري ، احمد بن عمر بن انيس (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م)**

- النصوص عن الاندلس (قطعة من ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك) تحقيق الدكتور عبد العزيز الاهواني ، اسبانيا (مدريد ، ١٩٦٥) .

٣١- **علي ، جواد**

- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار صادر (بيروت ، ١٩٧١)

٣٢- **الغساني ، محمد بن عبد الوهاب (ت١١١٩هـ/١٧٠٧م)**

- رحلة الوزير في افتكاك الاسير ،نشر الفريد البستاني ، المغرب (تطوان ، ١٩٥١) .

٣٣- **ابن الفرضي ، الحافظ ابو الوليد عبد الله بن محمد ابن يوسف بن نصر (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م)**

- تاريخ علماء الاندلس ، مصر ،(القاهرة ، ١٩٦٦) .

٣٤- **كحالة ، عمر رضا**

- معجم المؤلفين ، مطبعة الترقي ،(دمشق ، ١٩٥٧) .

٣٥- **المقري ، احمد بن محمد التلمساني (١٠٤١هـ / ١٦٣١ م)**

- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق الدكتور احسن عباس ،(بيروت ، ١٩٦٨).

٣٦- **المقريزي** ، **تقي الدين** ، **احمد بن علي بن عبد القادر** (**ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١م**)

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ،(القاهرة ، ١٩٠٦م) .

٣٧- **ابن منظور** ، **ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم** (**ت ٧٧١هـ / ١٢٦٩م**)

- لسان العرب ، دار صادر (بيروت ، د. ت) .

٣٨- **مؤلف مجهول**

- اخبار المجموعة ، نشر اميلو لافونتي أي الكنترا ، (مدريد ، ١٨٦٧) .

٣٩- **مؤلف مجهول**

- الحلل المشبه في ذكر الاخبار المراكشية ، تحقيق ي . س . علوش ، (تونس ، الرباط ، ١٩٣٦) .

الرسائل الجامعية غير منشورة :

١- **ابو هاشم** ، **اميرة قاسم**

- الاستشراق والسيرة النبوية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة المستنصرية ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية (بغداد ، ٢٠٠١).

٢- **الاوسي** ، **حكمت علي**

- فصول في الادب الاندلسي ،رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة بغداد ، كلية الاداب ، ١٩٧١ .

٤٠- **عماد هادي عبد علي**

- موقف بريطانيا من التسلح الالماني (١٩٣٣-١٩٣٩م) رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الكوفة ، كلية الاداب ، ٢٠٠٢م .

المعاجم والموسوعات ودوائر المعارف

١- **بدوي ، عبد الرحمن**

- ، موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين (بيروت ، ١٩٩٣) .
- الموسوعة الفلسفية ، الموسوعة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت ، ١٩٨٤)

٢- **البستاني ، فؤاد افرام**

- دائرة المعارف (بيروت ، ١٩٧٧) .

٣- **جامعة الدول العربية**

- الموسوعة الميسرة ، معهد الدراسات العربية (مصر ، ١٩٥٩) .

٤- **كامل ، فؤاد واخرون**

- الموسوعة الفلسفية المختصرة ، مكتبية النهضة (بغداد ، ١٩٨٣)

٥- **الشنتناوي ، احمد واخرون**

- دائرة المعارف الاسلامية ، وزارة المعارف العمومية (القاهرة ، د. ت) .

قائمة المراجع العربية والأجنبية

١- **احمد ، عزيز**

- تاريخ صقلية الاسلامية ، دار الكتاب العربي (بيروت ، ١٩٨٠)

٢- **ارنولد ، توماس**

- الدعوة الى الاسلام ، ترجمة حسن ابراهيم حسن ، (القاهرة ، ١٩٥٧)

٣- **بالنثيا ، انجل جنثالين ،**

- تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة حسين مؤنس (القاهرة ، ١٩٥٥)

٤- **برجستر اسر (١٨٨٦ – ١٩٣٢) ،**

- اصول نقد النصوص ونشر الكتب ، مطبعة دار الكتب ، (القاهرة ، ١٩٦٩م) .

٥- **بروفنسال ، ليفي**

- الاسلام في المغرب والاندلس ، ترجمة محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي ، مراجعة الدكتور لطفي عبد البديع ، مكتبة نهضة مصر ، (القاهرة ، ١٩٥٦ م)
- حضارة العرب في الاندلس ، ترجمة ذوقان فرقوط ، دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، د. ت)
- الحضارة العربية في اسبانيا الاسلامية ، ترجمة احمد مكي الطاهر ، دار المعارف (القاهرة ، ١٩٧٩)
- الشرق الاسلامي والحضارة العربية الاندليسية ، دار الطباعة المغربية ، (تطوان ، ١٩٥١)
- كتابات عربية اسبانية ، باريس (ليدن ، ١٩٣١)
- مجموعة رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المؤنيسة المطبعة الاقتصادية ، (الرباط ، ١٩٤١) .
- محاضرات عن اسبانيا المسلمة ، ترجمة وتحقيق عبد الهادي شعيرة ، جامعة فاروق ، (القاهرة ، ١٩٥١) .
- وثائق لم تنشر عن تاريخ الموحدين ، (باريس ، ١٩٨٢) .

٦- **البنداق ، محمد صالح** (**دكتور**)

- المستشرقون وترجمة القرآن ، دار الافاق الجديدة (بيروت ، ١٩٨٠) .

٧- **البهي ، محمد** (**دكتور**)

- الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، ط٥ ، دار الفكر ، (بيروت ، ١٩٧٠)

٨- **بيرك ، جاك** (**دكتور**)

- خطابات عربية في الحاضر ، جاليمار (باريس ، ١٩٤٧)

٩- **التفتازاني ، ابو الوفا الغنيمي**

- ابن سبعين وفلسفة الصوفية ، دار الكتاب اللبناني (بيروت ، ١٩٧٣)

١٠- **ثريانتس ، كرفنتس**

- دون كيخونـــة ، ترجمـــة عبـــد الـــرحمن بـــدوي ، دار النهضـــة العربيـــة (القاهرة ، ١٩٦٥)

١١- **حاتم ، عبد القادر (دكتور) واخرون**

- القومية العربية والاستعمار ، دار المعارف (مصر ، ١٩٥٧)

١٢- **حتي ، فيليب ، واخرون**

- تاريخ العرب (المطول) ، دار الكتاب ، (بيروت ، ١٩٦٦) .

١٣- **الحجي ، عبد الرحمن علي (دكتور) .**

- التاريخ الاندلسي ، دار القلم (بيروت ، ١٩٧٦) .
- اندلسيات ، دار الارشاد (بيروت ، ١٩٦٩) .

١٤- **حداد ، جورج**

- المدخل الى تاريخ الحضارة ، مطبعة الجامعة السورية (سوريا ، ١٩٥٨)

١٥- **حسن ، ابراهيم حسن**

- تـــاريخ الاســـلام السياســـي والثقـــافي والاجتمـــاعي ، ط٧ ، دار النهضـــة ، (القاهرة ، ١٩٦٥)

١٦- **الحسيني ، اسحاق موسى (دكتور)**

- الاستشراق نشأته وتطوره ، واهدافه ، مطبعة مصر (القاهرة ، ١٩٦٧) .

١٧- **حمدان ، عبد الحميد صالح (دكتور)**

- طبقات المستشرقين ، مكتب مدبولي ، (مصر ، د.ت)

١٨- **حميش ، سالم (دكتور)**

- الاستشراق في آفق انسداده ، المملكة المغربية (الرباط ، ١٩٩١)

١٩- **الخالدي ، مصطفى وعمر فروخ**

- التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، المكتبة المصرية (بيروت ، ١٩٧٠) .

٢٠- **خالص ، صلاح (دكتور)**

- المعتمد بن عباد ، دراسة ادبية وتاريخيه ، دار الاخبار (بغداد ، ١٩٥٨) .

٢١- **الخربوطلي ، علي حسني ، (دكتور)**

- المستشرقين والتاريخ الاسلامي ، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ، ١٩٨٨)

٢٢- **الخطيب ، عمر عودة**

- لمحات في الثقافة الاسلامية ، ط٢ ، مؤنسسة الرسالة (بيروت ، ١٩٧٧)

٢٣- **دوجا ، ج**

- تاريخ مستشرقي اوربا من القرن الثاني عشر الى القرن التاسع عشر ، ميزوتوف ، (باريس ، ١٩٦٨) .

٢٤- **دوزي ، رينهارك**

- تاريخ اسبانيا ، مراجعة ليفي بروفنسال ، (ليدن ، ١٩٣٢) .

٢٥- **رو دنسون ، مكسيم**

- وضع الاستشراق المختص بالاسلاميات ، مكتسباته ومشاكله ، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي (بيروت ، ١٩٩٤)
- الصورة الغربية والدراسات الغربية في الاسلام ، تحقيق شاكر مصطفى ،سلسلة تراث الاسلام (الكويت ، ١٩٧٨)

٢٦- **الزيادي ، محمد فتح الله**

- ظاهرة انتشار الاسلام وموقف بعض المستشرقين منها ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان (طرابلس ، ١٩٨٣) .

٢٧- **السباعي ، مصطفى (دكتور)**

- الاستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم ، مكتبة دار البيان (الكويت ، ١٩٦٨)

٢٨- **سذرن ، ر.و**

- نظرة الغرب الى الاسلام في القرون الوسطى ، ترجمة الدكتور علي فهمي حثيم والدكتور صلاح الدين حسن ، دار مكتبة الفكر (طرابلس ، ١٩٧٥).

٢٩- **سعيد ، ادورد (دكتور)**

- الاستشراق (المعرفة ، السلطة ، الانتشار) ، ترجمة كمال ابو ديب ، منشورات مركز الانماء القومي (بيروت ، ١٩٨٤)

٣٠- **شرف ، محمد ياسر**
- الوحدة المطلقة عند ابن سبعين ، دار الرشيد للنشر ،(بغداد ، ١٩٨١)

٣١- **شلبي ، احمد**
- الاسلام ، ط٥ ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، ١٩٧٧) .

٣٢- **الشيخ ، عبد الرحمن عبد الله (دكتور)**
- المدخل الى علم التاريخ ، دار المريخ (بيروت ، ١٩٨٤)

٣٣- **الشيخ ، محمد محمد موسى (دكتور)**
- دولة الفرنجة وعلاقتها بالا مويين في الاندلس حتى اواخر القرن العاشر الميلادي ، مؤسسة الثقافة الجامعية (مصر ، ١٩٨١) .

٣٤- **صالح ، هاشم**
- الاستشراق بين دعاته ومعارضيه ، دار الساقي (بيروت ، ١٩٩٤)

٣٥- **صبحي ، احمد محمود (دكتور)**
- في فلسفة التاريخ ، مؤسسة الثقافة الجامعية (الاسكندرية ، د.ت)

٣٦- **الصوفي ، خالد (دكتور)**
- تاريخ العرب في اسبانيا نهاية الخلافة الاموية في الاندلس ، مكتبة دار الشرق (حلب ، ١٩٦٣) .

٣٧- **طه، عبد الواحد ذنون (دكتور)**
- نشأة تدوين التاريخ العربي في الاندلس، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة ، هيئة كتابة التاريخ ، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد ، ١٩٨٨)

٣٨- **الطود ، عبد السلام**
- بنو عباد ملوك اشبيلية ، المملكة المغربية (تطوان ، ١٩٤٦)

٣٩- **عاشور ، سعيد عبد الفتاح (دكتور)**
- المدينة الاسلامية واثرها على اوربا ، (القاهرة ، ١٩٥٠)

٤٠- **العبادي ، احمد مختار**
- في تاريخ المغرب والاندلس ، دار النهضة العربية ، (بيروت ، ١٩٧٨)

٤١- **عبد البديع ، لطفي**

- الاسلام في اسبانيا ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة ، ١٩٥٨)

٤٢- **العقيقي ، نجيب**

- المستشرقون ، دار المعارف (مصر ، ١٩٦٤) .

٤٣- **عليان ، محمد عبد الفتاح (دكتور)**

- اضواء على الاستشراق ، مطبعة الجيلاوي ، (القاهرة ، ١٩٨٠)

٤٤- **عنان ، محمد عبد الله**

- دولة الاسلام في الاندلس ، (القاهرة / ١٩٦٩) .
- مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام ، ط٤ ، مؤسسة الخانجي ، (القاهرة ، ١٩٦٢) .

٤٥- **غابر بيلي ، فرانسيكو**

- ثناء على الاستشراق ، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي (بيروت ، ١٩٩٤) .

٤٦- **غلاب ، محمد (دكتور)**

- نظرات استشراقية في الاسلام ، دار الكاتب العربي للطباعة ، (القاهرة ، د. ت)

٤٧- **فرحان ، محمد جلوب**

- الفيلسوف والتاريخ ، مكتبة بسام (الموصل ، ١٩٨٧) .

٤٨- **فوك ، يوهان**

- تاريخ الحركة الاستشراقية ، تعريب عمر لطفي العالم ، دار قتيبة (بيروت ، ١٩٦٦) .

٤٩- **كرم ، يوسف (دكتور)**

- تاريخ الفلسفة الاوربية في العصور الوسطى ، دار الكتاب المصري (القاهرة ، ١٩٤٦) .

٥٠- **كرو نباوم ، جي . ئي**

- الوحدة والتنوع في الحضارة الاسلامية ، ترجمة صدقي حمدي ، مطبعة اسعد (بغداد ، ١٩٦٦) .

٥١- **كولنجود** ، ر.ج

- فكرة التاريخ ، ترجمة محمد بكير خليل ، مراجعة محمد عبد الواحد خلاف ، لجنة التأليف والترجمة والنشر (مصر ، ١٩٦١) .

٥٢- **لويس، بيرنارد**

- حالة الدراسات المتعلقة بالشرق الاوسط ، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي (بيروت ، ١٩٩٤)

٥٣- **ماسينيون** ، **لوي**

- شوق الحلاج (باريس ، ١٩٢٢) ، جـ ١ ، الاعمال الصغرى ، نصوص جمعها ياسين مبارك ، دار المعارف (بيروت ، ١٩٩٣) .

٥٤- **مارو** ، **هـ** . آ

- من المعرفة التاريخية ، ترجمة جمال بدران ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (القاهر ، ١٩٧١) .

٥٥- **المراكشي** ، **عبد الواحد**

- المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، مطبعة الاستقامة ، (القاهرة ، ١٩٤٩) .

٥٦- **المنجد** ، **صلاح الدين** (**دكتور**)

- قواعد تحقيق المخطوطات ، ط٤ ، دار الكتاب الجديد (بيروت ، ١٩٧٠)

٥٧- **مؤلف مجهول**

- اخبار المجموعة ، بنشر اميلو لافونتي أي الكنترا (مدريد ، ١٨٦٧) .

٥٨- **مؤنس** ، **حسين**

- الجغرافية والجغرافيون في الاندلس ، معهد الدراسات الاسلامية (مدريد ، ١٩٥٩ ، ١٩٦٠)
- فجر الاندلس ، (القاهرة ، ١٩٥٩) .

٥٩- **ناجي** ، **عبد الجبار** (**دكتور**)

- تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي ، الموسوعة الصغيرة ، العدد (٨٥) ، دار الجاحظ للنشر (بغداد ، ١٩٨١) .

٦٠- **الندوي ، ابو الحسن علي**

- الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية في الافكار الاسلامية ، دار العلم (الكويت ، ١٩٨٣)

٦١- **نصر ، مادلين (دكتورة)**

- صورة العرب والاسلام في الكتب المدرسية الفرنسية ، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت ، ١٩٩٥) .

٦٢- **هارون ، عبد السلام (دكتور)**

- تحقيق النصوص ونشرها ، دار المعارف ، (القاهرة ، ١٩٥٤) .

٦٣- **هربلو**

- الخزانة الشرقية ، (لاهاي ، ١٩٧٧) .

٦٤- **هلال ، جودة**

- قرطبة في التاريخ الاسلامي ، المؤسسة المصرية العامة ، (دار القلم ، ١٩٦٢)

٦٥- **هوبكنز ، ج . ف . ب (دكتور)**

- النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى ، ترجمة الدكتور امين توفيق الطبسي ، الدار العربية للكتاب ، (ليبيا ، تونس ١٩٨٠) .

٦٦- **هونكه ، زيغريد**

- شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي ، (بيروت ، ١٩٦٤) .

المقالات والبحوث

١- **الاعسم ، عبد الامير عبد المنعم**

- " الاستشراق من منظور فلسفي معاصر " ، مجلة الاستشراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ، السنة ١ ، العدد١ ،(بغداد ، ١٩٨٧).

٢- **بروفنسال ، ليفي**

- "ابو بكر ، احمد بن محمد الرازي (ت٣٤٤هـ/٩٥٥م)وصفه للاندلس قطعة من جغرافية الرازي " ، مجلة الاندلس ، (مدريد ، ١٩٥٣) ، م١٨ .

- "تبادل السفارات بين قرطبة وبيزنطة في القرن التاسع الميلادي" ، بحث نشره في مجلة (Byzantion) بلجيكا (بروكسل ، ١٩٣٧) ، ج١٢ .

٣- **بلاشير** ، **رجيس**

- " ليفي بروفنسال " ، مجلة اربيكا ، السنة ١ ، (باريس ، ١٩٥٦).

٤- **جحا** ، **ميشال** (دكتور)

- " موقف العرب من المستعربين " مجلة الاستشراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، السنة ١ ، العدد ١ ،(بغداد ، ١٩٨٧).

٥- **الحجي** ، **عبد الرحمن علي**

- " الكتب والمكتبات في الاندلس " ، مجلة كلية الدراسات الاسلامية ، كلية الدراسات الاسلامية ، السنة ١ ، العدد ٤، (بغداد ، ١٩٧٢).

٦- **ابو حديبة** ، **عبد الوهاب**

- " الحياة الاجتماعية الاسلامية كما صورها بعض المستشرقين " ، مناهج المستشرقين ، مكتب التربية العربي لدول الخليج (جامعة الدول العربية ، ١٩٨٥) .

٧- **حسين** ، **صبحي ناصر** (دكتور)

- " موقف المشارقة من المستشرقين " ، مجلة الاستشراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، السنة ١ ، العدد١، (بغداد ، ١٩٨٧) .

٨- **داينتسكي** ، **بانوش** (دكتور)

- " الاستشراق بين الشرق والغرب " ، ترجمة عدنان مبارك ، مجلة الاستشراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، السنة ١ ، العدد١ ،(بغداد ، ١٩٨٧) .

٩- **الرحيم** ، **احمد حسن**

- " المستشرق الفرنسي ارنست رينان ونظرته الى اللغة والفلسفة " ، مجلة الاستشراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، السنة ١ ، العدد١، (بغداد ، ١٩٨٧)

١٠- **الشكعة** ، **مصطفى** (دكتور)

- " مواقف المستشرقين من الحضارة الاسلامية في الاندلس" ، مناهج المستشرقين ، مكتب التربية العربي لدول الخليج (جامعة الدول العربية ،/ ١٩٨٥)

١١- **عبد البديع ، لطفي**

- " نص جديد ، قطعة من فرحة الاندلس لابن غالب عن كور الاندلس " ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ، المجلد ١ ، الجزء ٢، (القاهرة ، ١٩٥٥) .

١٢- **عبود ، محمد (دكتور)**

- " منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الاسلامي " ، مناهج المستشرقين ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، (جامعة الدول العربية ، الرياض ، ١٩٨٥)

١٣- **علي ، محمد كرد**

- " اثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية " ، مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد ٧ ، (دمشق ، ١٩٢٧).

١٤- **عمر ، معن خليل (دكتور)**

- " التباين الثقافي بين المستشرق والمجتمع العربي " ، مجلة الاستشراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، السنة ١ ، العدد١، (بغداد ، ١٩٨٧).

١٥- **فروخ ، عمر**

- " المستشرقون ، مالهم وما عليهم " ، مجلة الاستشراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، السنة ١ ، العدد١، (بغداد ، ١٩٨٧) .

١٦- **فوزي ، فاروق عمر (دكتور)**

- " الاستشراق وتاريخ العصر العباسي" ، مجلة الاستشراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، السنة ١ ، العدد١، (بغداد ، ١٩٨٧) .

١٧- **منتران ، روبير**

- " الاستشراق الفرنسي ، اصوله ، تطوره ، افاقه ، بداية الاستشراق الفرنسي " ، مجلة الاستشراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، السنة ١ ، العدد١، (بغداد ، ١٩٨٧) .

١٨- **المنجد ، صلاح الدين (دكتور)**

- " مواد اندلسية جديدة ، من الروض المعطار" ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، (جامعة الدول العربية ، ١٩٥٩) ، المجلد ٥ ، الجزء ١ .

١٩- **مؤنس ، حسين** (دكتور)

- "الجغرافية والجغرافيون في الاندلس " مجلة معهد الدراسات الاسلامية ، ، المجلد ٧-٨ ،(مدريد ، ١٩٥٩-١٩٦٠).
- " السيد القيبنطور وعلاقته بالمسلمين " ، المجلة التاريخية المصرية ، ، المجلد ٣،(القاهرة ، ١٩٥٠) .

٢٠- **الموسوي ، محسن جاسم**

- " الاستشراق السياسي فرضياته واستنتاجاته" ، مجلة الاستشراق ، السنة ٣ ، العدد ٣ (بغداد ، ١٩٨٩م) .
- " لماذا الثقافة المقارنة " ، مجلة الاستشراق ، السنة ١ ، العدد ١، (بغداد ، ١٩٨٧) .
- " مدخل المثقفين العرب للاستشراق " ، مجلة الاستشراق ، السنة ١، العدد ٢، (بغداد ، ١٩٨٧) .

٢١- **ناجي ، عبد الجبار** (دكتور)

- " موقف الاستشراق الامريكي من دراسة المدينة العربية الاسلامية " ، ، دار الشؤون الثقافية العامة ، السنة١ ، العدد١، (بغداد ، ١٩٨٧).

٢٢- **نادر ، البيرنصري**

- " اهتمام المستشرقين بالفكر العربي الاسلامي القديم " مجلة الاستشراق ، السنة١ ، العدد١، (بغداد ، ١٩٨٧).

٢٣- **نكوتسكا ، هانيا**

- " حول تراجم الادب العربي في بولندا " ، مجلة الاستشراق ، السنة١ ، العدد١ (بغداد ، ١٩٨٧).

الموسوعات والمصادر والمراجع الاجنبية:

1- The American Peoples Encyclopedia , New York , Vol.19

2- Boignes , ponsfvancisca , Historiadors y Geografos Arabgo – Espanoles , Madrid , 1898.

3- Garcia Gomiz ,"Levi Provencal , 1894-1956" ,Vol. XXI

4- Jackson , The Making of Medival Spain (California , 1976) .

5- Levi Provencal , "surl , in. stallat : on des razi en Espagne " Arabica revue (Lieden , 1955).

6- Levi Provencal , (La descriptipon de l"Espagned" Ahmadal Razi,) Al-Andalus , Madrid , Granad , 1953).

abstract

Studies of Iverist Leevi Provensal

On the History of AndalUs

It is realized to the Historians that Andalus had an influence upon the west in the middle Ages , for its importance as a path to the intellectual contact and to transfer the Arab Muslim culture heritage which is not found in any other place .

What one really feels is that the period between what was in Morocco and South of Spain , and what is left over up to now , is not only a simple manifestation .

It is a manifestation of relationship between them where the Arab antiques in Ishbeelia , Qurtuba , and Ghurnada are noticed , besides what the mind draws of the original texts symbolized by documents and books , putting them in the clear position and the present picture of the bright East in the Middle Ages . This merging of Latin , Greek and Arab civilizations together in an atmosphere full of peace and forgiveness expresses the intellectual and scientific renaissance of the politicians and rulers as well as the role of the scientists in the social , administration and political life .

The orientalists studied and analyzed Andalus history according to an exact scientific method and a logical order of the research , precision , and taking facts from its first origins as possible . So , their study has become the first source to the researchers in Andalus history ; and translating it into the Arabic language is considered a duty which must be done for the Arab heritage in Andalus .

The first orientalist who raised the matter of Andalus might be the Spanish priest “Khwan Andris” (orientalist in 5 A.H 12 A.D) . He talked about Islamic Spain , the origin and the development of the

European literature written in Italic , publishing it in 81 volumes in which he brought up several literary , intellectual and historical cases . He didn't forget to mention the favor of Arab Muslims as their effect on the western civilization . This disturbed his contemporaries , so they arose against him specially the Italians . This is an early reaction indicating that they interested about Andalus and studying it Islamic history .

However , the studies concerning Andalus has become very important subject for the orientalists who studied Andalus has increased . They formed intellectual schools of different trends , varied between the absolute fanaticism which makes their adopters in decisions and the moderation in measurement .

France contributed in studying the Arab heritage in Andalus , the best who wrote in it was (Iverist Levi Provnsal 1956 A.B. 1894 A.H.) and this is the subject of study. He had got high medals and the membership of several societies such as the Spanish institute and the British Asian Royal Assembly as he had been given many features which made what he wrote of his a special significance . He dedicated his life on studying the civilization of Andalus and Maghreb in its various aspects . In this aspect he produced an enormous number of researches , books and articles ; and he published manuscripts . What helped him is that at this period Maghreb was entirely under the French colonialism , so it was easy for him to pass through public and private libraries and get unmatched manuscripts . He did his best in this field , using all the possible means .

In addition to that and with the assistance of French and its significance in all conditions , he had been given the opportunity to live long in all these places . So , he traveled to the north of Africa where Andalus civilization was originated and became an expert in what he wrote or said in this aspect . Thus , he occupied the position of a professor of the Arab civilization in Sorbon University , a head of the Islamic Arabic Studies Institute in Paris University and a guest professor in Egypt University , Algiers and the high institute in Tunisia and Rubat .

Provinsal's researches depended on facts included in unpublished manuscripts . This added on them seriousness and originality which take out a new fact of the intended text , removing the obscurity or revealing the vagueness of the studies subject . For these manuscript which he studied in this field , he chose (Al-Mehdi Bin Tomert) , beginning with the unified state (Al-Dawla – Al-Muwhidia) for Abi Bakr Al-Snhaji called "Al-Beidaq" , publishing them in his book as documents unpublished in the history of Al-Muwahidean .

He also studied most of the book "Al-Muqtadas" for Ibn Hayan and published a lot of researches in international and Arabic magazine such as (Hesperis) in Spain and (Andalus Magazine .

In this thesis , most of Provinsal's writings have been studied and his historical method has been illustrated . Although it will be difficult to count all the signs left by Levi Provinsal , we can mention some of them and the most important one that should not be forgotten is his book in the history of Islamic Spain ((Histoire del' Espagnu Musilmane)) which was written in three volumes ended by the ages of caliphate . He intended to study the history of Andalus after this period except for he had died in (27-6-1956) . This book is considered as a productive field for the scientific studies to satisfy the needs of the (Andalus library) .

In drawing the Islamic Arab civilization in Andalus with broad and various lines , the researcher has found different subjects : history , culture , Ideology tent , knowledge and literature . So , it is possible to list him within the great oriontalists who studied Andalus , and who were just in their writings about our glorious history . making it bight .

The researcher